206

الواطي

http://www.maktbtna2211.com

رواية

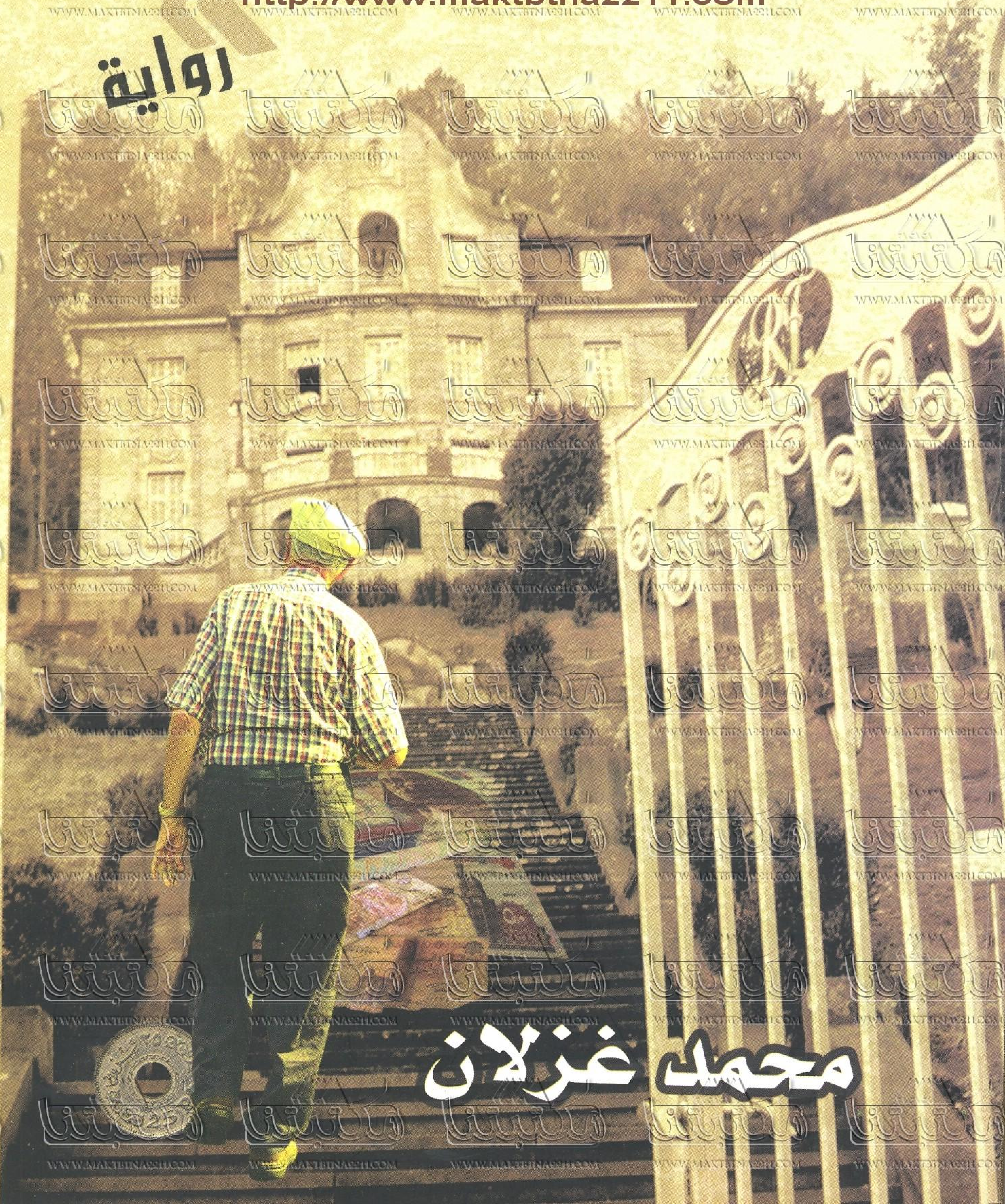

محمد غزلان

Ahmed Mady

Wed.
21/3/2012
Riyadh

أريد كاتباً إخوانجياً مشهوراً، وآخراً ماركسياً "عتويلاً" وكاتباً شيوعياً من التائبين، وآخراً ناصرياً متهوراً، وصحفياً ناصرياً عقلانياً.. أريد باقة تساعدني في الخلطة التي أتمنى أن أقدمها ، و"علي مرجان" قد يساعدني في ذلك.. وفي الوقت نفسه أبحث عن من يدير عملية اشتباك قوية ومخططة بدقة مع الصحف التي تهاجمني.. علي مرجان هذا قد يفيدني في ذلك، السنوات الستة التي قضاها في لندن شهدت معارك صحفية كبرى بين رجل الأعمال المصري الشهير محمد الفايد من جهة ورجل الأعمال البريطاني دوني رونالد وأشرف مروان من جهة أخرى.. تابعها كلها علي مرجان بدقة وأكيد تعلم كيف تدار مثل هذه المعارك. ...

تصميم الغلاف: حاتم عرفة

OKTOB.NET
دار اكتب للنشر والتوزيع

WWW.MAKTBTNA2211.COM

الــواطي

رواية

محمد غزلان

الطبعة الأولى

٢٠٠٨

اكتب
OKTOB.NET دار اكتب للنشر والتوزيع

دار اكتب للنشر والتوزيع

WWW.MAKTBTNA2211.COM

إهداء

إلى روح الصحفي والروائي فتحي غانم صـــاحب رواية " زينب والعرش " .. وإلى الـــزملاء الـــذين عانوا وصمدوا وقاوموا ولم ينحنـــوا فـــي بـــلاط صاحبة الجلالة .

الأيام القادمة

المكان هادئ هدوء المقابر.. لا صوت لسيارات أو مارة أو باعة أو عامل بوتاجاز يدق على أنابيبه.. حفيف خفيف لأوراق الشجر ورذاذ ماء ناعم يأتي من النـــافورة التـــي تتوسط الحديقة. أنزل في الصباح.. كل صباح لأجلس فـــي الحديقة وحدي طوال اليوم.. قبل نزولي من المنزل الـــذي يدعي البعض أنه قصراً يكون الجنايني قـــد أنهـــى عملـــه وجمع الأوراق الجافة وقام بتشغيل النافورة.. منضدة مـــن الخيرزان الاندونيسي وأربعة مقاعد تتوسط الحديقة.. ابـــدأ بشرب الشاي وقراءة العنـــاوين الرئيـــسية فـــي الجرائـــد الحكومية أولاً ثم أطـــالع عنـــاوين الجرائـــد الحزبيـــة أو المستقلة. ما يقتلني كل صباح اسم الشخص الـــذي احتـــل مكاني وأصبح اسمه مكان اسمي بل زاد بكتابة اسمه **ببنط اكبر**.. هدوء المكان يقبض صدري ولم يعد لي رغبة فـــي الخروج أو التجوال، فلا شيء يطمأن في هذا البلد بعـــدما أصبح التشفي هو السلاح الوحيد. سلاح يجيـــد اســـتخدامه السفلة و"الواطيين".

الحديقة رغم اتساعها. تضيق كل يوم عليَ وأفكر في خفض السور بعض الشيء لأرى ما أستطيع رؤيته.. هذا السور العالي طلبت بنفسي تشيده بالمواصفات التي وضعتها.. ارتفاع السور أربعة أمتار ونصف المتر تتوسطه البوابة الرئيسية من الحديد الكريتال.. صورة طبق الأصل من بوابة قصر عابدين إلا أنها لا تفتح إلا إلكترونياً بريموت كنترول.. البوابة يصعب اقتحامها والسور لا يشجع أحد على مجرد الاقتراب منه.. مركب فوقه كاميرات تليفزيونية، أنا الوحيد الذي يعلم أنها لا تعمل ولكنها ترهب من يفكر في الاقتراب. أفكر في خفض السور أو هدمه وبنائه من جديد.. ارتفاع متر واحد فقط من الأسمنت المسلح وثلاثة أمتار ونصف من القضبان الحديدية القوية، لتسمح لي برؤية الفيلات والقصور التي حولي ويسكنها علية القوم أو الذين يظنهم عامة الناس كذلك وأثبت الأيام العكس، فهم أيضاً مجموعة من "الواطيينن". مساحة الأرض الفعلية ألفان واربعون متراً، سرقني المسئول الكبير الذي خصص قطعة الأرض في ثلاثين متراً. خطاب التخصيص الذي معي يقول إن مساحة الأرض ٢٠٧٠ متراً. طول الواجهة أربعون متراً وعمقها ٥١ متراً.

بنيت على مساحة ثلاثمائة متر فقط طبقاً للتصميمات المطلوب الالتزام بها.. فيلا صغيرة من دورين وحديقة رئيسية لا تقل مساحتها عن ثمانمائة متر. في الوسط نافورة وعلى يسارها بيرجولا كبيرة، قطر مظلتها عشرة أمتار وتحتها المنضدة الخيرزان والمقاعد الأربعة. على المنضدة تليفون أرض واحد وتليفون محمول واحد. كان لدى ست تليفونات محمولة يحملها لي السكرتير والسائق الخاص.. كانت التليفونات الستة لا تتوقف عن الرنين وتكفي إشارة من أصبعي للسكرتير أو للسائق كى يخبر المتحدث أن الباشا في اجتماع والآن أتمنى أن يرن التليفون ولو مرة واحدة أو أسمع صوتاً لزميل قديم أو مرؤوس سابق أو مسئول حالي أو حتى سابق.. أتمنى أن أسمع صوتاً غير صوت الجنايني أو السائق أو الخادمة الفليبينية أو صوت أنثوي غير صوت زوجتي التي تكرر جملة واحدة كل صباح وبنبرة واحدة لم تغيرها.. "أنا خارجة ويمكن أتأخر".. وينطلق بها السائق ولا تعود إلا مع حلول الليل. تتركني طوال اليوم مع الخادمة الفليبينية الشابة وتخرج لزيارة أبنائها.. أبناؤنا.. تتنقل من منزل هذا إلى منزل تلك وتعود في نهاية اليوم.

لا تسألني كيف قضيت يومي وإذا كنت خرجت أم لا .. وتنهي يومها بجملة أخرى.. تصبح على خير.. وتدخل حجرة نومها وتغلقها على نفسها من الداخل. أربعة تواريخ أرغب في حفرهن على شاهد من الرخام مثل الذي ينتصب في مقابر المسيحيين.. يوم مولدي ويوم تعييني في الجريدة ويوم أصبحت رئيساً لمجلس إدارتها ورئيس تحرير ويوم خروجي من منصبي. يوم مولدي تحكي عنه أمي. ولدت في بؤنه.. عز الصيف.. كنت لا أحتاج ملابس لارتدائها وحتى وإن كنت ولدت في الشتاء، فلم يكن لدى أبي وأمي مالٌ لشراء ملابس جديدة للمولود الجديد. في بلدتنا يتبادل الناس ملابس الأطفال التي لا تزيد عن جلباب صغير وقطع أصغر من القماش .. "كوافيل".. بامبرز الزمن القديم.. خالتي ظلت تعايرني طوال حياتي بأن أول جلباب لبسته كان جلباب ابنها وأول حذاء وضعت فيه قدمي كان حذاء ولدها القديم وأول "مريلة" ذهبت بها إلى المدرسة كانت "مريلة" ابنها.. لو عرف "الواطيين" هذه القصة لكتبوها في صحفهم الصفراء التي تهاجمني كل صباح.

يوم تعييني في الجريدة بعد حصولي على الثانوية العامة والتحاقي بكلية الآداب "انتساب"، جاء بي ابن خالتي إلى الجريدة.. قابلنا شخصاً قدمه لي ابن خالتي على أنه "بلك"، بلدياتنا يعمل في الجريدة وسيبحث لي عن فرصة عمل. لم ينس ابن خالتي أن يذكره بأن ظروفنا صعبة وأن أبي لا يجد "اللضى" وكله بثوابه. طلب مني أن أمر عليه بعد شهر. مررت عليه ما يزيد عن عشر مرات.. استغرق المرور عليه سنة كاملة. طلب مني صورة من شهادة الثانوية العامة والتحقت بالجريدة موظفاً بمكافأة عشرة جنيهات شهرياً .. يوم أصبحت رئيساً للتحرير ومجلس الإدارة كان يوماً مشهوداً. تطوع أحد الصحفيين الأثرياء بذبح عجلين قبل دخولي إلى المؤسسة ويوم خروجي من المؤسسة، سمعت من يسبني بأبي وأمي ويدعو على بخراب بيتي وتوالى السباب والدعاء حتى الآن.

دخلت الكثير من المعارك وخرجت منتصراً.. كنت محصناً.. هذه المعركة أدخلها عارياً ولا أعلم كيف سأخرج منها. من كانوا معي، أصبحوا ضدي ومن كنت أظنهم سنداً أصبحوا من المحرضين ومن رفعتهم يحاولون الآن أن يخسفوا بي الأرض. لم أحاول أن أقابل أحداً منهم، فهم يتهربون من الرد على مكالماتي. فكيف أذهب إليهم وأنا

أعلم ماذا تفعل السكرتارية في الضيف غير المرغوب فيه. كيف "تلطعه" بالساعات ثم يعتذر المسئول لانشغاله في مقابلات أكثر أهمية، مع اناس في قلب السلطة أو على رأسها.

جرائد الصباح أتى بها السائق.. سبع جرائد.. أربعة حكومية وثلاثة بين حزبية ومستقلة. ألقى السائق بتحية الصباح وألقى بالجرائد على المنضدة الخيرزان وأنصرف.. جاءت الخادمة الفليبينية بشاي الصباح وجلست على مقعد مجاور تصب الشاي. جلست بعد أن كانت تؤدي هذه المهمة من قبل وهي واقفة.. منذ خروجي من السلطة والأبهة.. اعتادت أن تجلس.. فهي تعلم أن "المدام" قد خرجت وتعلم أيضاً أنني خرجت من المنصب رغم عدم معرفتها بكلمة واحدة من اللغة العربية، إلا أن الأمر لا يحتاج معرفة لغات، عرفت بالمشاهدة.. لقد أختفى الحرس فجأة وسحبت المؤسسة السيارات التي كانت مخصصة لي ولأسرتي. طلبت منها تحضير الإفطار.. إفطار كل يوم.. عصير وخس وجبنه بيضاء وزيتون وعيش توست.

طالعت الصحف وعناوينها.. خبر موحد في ست جرائد من السبعة.. أعلم اللعبة ومن ورائها "مطالبة النائب العام بالتحقيق في مخالفات رؤساء مجالس الصحف السابقين،

الخبر هذه المرة على ثلاثة أعمدة.. بدأ بـصياغة مختلفة عما سبق وكأن هناك مخالفات أرتكبها بالفعل رؤساء مجالس إدارات الصحف السابقين.. في الصيف كان الخبر.. نفس الخبر على عمود واحد في صفحة داخلية.. في الخريف أصبح نفس الخبر على عمودين وفي صفحة داخلية أيضاً.. في الشتاء أصبح على ثلاثة أعمدة وفي الصفحة الأولى. تحقيق أخر على صفحة كاملة يستعرض من كتبه ما يظنه أنه مخالفاتي طوال عشرين سنة.. ناديت على الخادمة الفليبينية والسائق.. طلبت من السائق أن يشتري مجموعة من الملفات البلاستيكية وطلبت من الخادمة إحضار مقص.. جاءت بالمقص.. طلبت منها أن تقص الخبر الذي وضعت عليه علامة وأن تقطع الصفحة الكاملة التي بها التحقيق الخاص بما يظن ويعتقد كاتبه أنه مخالفات. هذا الأمر لا يقلقني على الإطلاق، فأنا على يقين بأن لا تحقيق سيفتح ولا مساءلة ستتم ولن يجرؤ أحد على المساس برؤساء مجالس الإدارات السابقين وأنا منهم بالطبع. الأمر مجرد "تهويش" بهدف أن نظل في الظل وألا نفتح أفواهنا بكلمة حتى ولو نهش "هؤلاء الواطيين" أجسادنا وأعراضنا وتاريخنا وتعرضوا لأبناءنا وبناتنا. التعليمات الشفوية الصادرة لنا "لا تنطق بكلمة ولا ترد".

أغلق المسئولون هواتفهم وأطلقوا علينا كلابهم. كلاب غير مدربة، تنقصهم الخبرة. كلب واطيين من هؤلاء الكلاب كان يفضل الجلوس تحت أقدامي ويستعرض أمامي خبراته وقراءته. صدع رأسي بمقولة "إن الكلاب التي تنبح لا تعض" إلا أنه بدأ العض والنهش، وصلت أنيابه القذرة إلى العظام ولا أحد من المسئولين العظام يطلب منه الكف عن أفعاله أو كتاباته. أشار إلي بالاسم والرسم بأنني السبب في فساد المؤسسة وفساد الذمم وأنني ارتكبت كل الموبقات والآثام بين جدران المؤسسة وأنني لا علاقة لي بالصحافة أو الكتابة. لم أكن أتوقع منه ذلك. نجح في خداعي حتى اللحظة الأخيرة وجلس على المقعد الجديد بتزكية مني، ولكن ماذا أفعل في "قلة الأصل"، الكل أصبح يسير على نفس الوتيرة ويغني نفس الأغنية.. الكل أصبح حريصاً على الوطن والمؤسسة والمال العام. كل من غرف من أموال الوطن والمؤسسة يطالب بالقصاص من الفسدة وكلما زاد غرفه، أرتفع صوته في محاولة للتخلص من ماضيه الذي يؤلمه وللحاق بقطار القيادة الجديدة. كل منهم يريد مكاناً متميزاً بجوار السائق ليرى الطريق.

ما يقرب من ستة شهور على خروجي من منصبي، اكتشف كل يوم شيئاً جديداً. رأيت الناس على حقيقتها

ورأوني عارياً.. بلا بطانه.. بلا حرس يسبقني ويسير على جانبي، سِرتِ مجرد شخص، رئيس مجلس إدارة سابق ولم أعد حتى أسمع كلمة "ريس" التي كان البعض يلحنها عند مناداتي. الوحيد الذي ما زال يناديني بـ "الريس" سيد السائق وهو الوحيد أيضاً الذي يؤدي ما يطلب منه بنفس الهمة والحماس قبل أن أغادر منصبي. ورغم قسوتي عليه في فترات كثيرة من عمله معي إلا أنه مازال متمسكاً بجزء من الاحترام. لا يجلس أمامي أبداً حتى وإن طلبت منه ذلك.

لا يدخن أمامي.. يقف طوال الوقت ملبياً أي طلب.. لم أره في حياتي إلا واقفاً أو جالساً خلف عجلة القيادة. لم أسمع منه كلمة سوى نعم أو حاضر وعندما سألته ذات مرة عن أخبار المؤسسة وما يقال فيها، اكتفى بقول.. الله يسامحهم.

أحضر سيد مجموعة الملفات البلاستيكية التي طلبتها ومجموعة من أقلام الفلوماستر الملونة، ناديت على "جوانا " الفليبينية، جاءت مسرعة. وقفت برهة ثم اختارت مقعداً لتجلس عليه.. هذا هو الفارق بينها وبين سيد الذي رشقها بنظرة وكأنه يطلب منها أن تقف عن مخاطبة "الريس". طلبت من سيد الجلوس، تردد. أمرته أن يجلس، فجلس.

أمامنا عمل طويل. سأضع دوائر على الأخبار المطلـوب قصها من الجرائد الصباحية. نوعان من الأخبار. النـوع الأول يتطرق إلى رؤساء تحرير الصحف ورؤساء مجالس الإدارة السابقين بصفة عامة وهذا يوضع في ملف خاص.. كتبت عليه رؤساء التحرير السابقين والنوع الثـاني مـن الأخبار والتحقيقات ما يخصني أنا شخصياً وما يتعـرض لحياتي المهنية والعائلية وعلاقاتي الشخصية. كتبت علـى الملف اسمي.. "فاروق عوض". شرحت ذلك مرتين.. مرة باللغة العربية ومرة أخرى بالإنجليزية حتى تفهـم جوانـا المهمة الجديدة التي ألقيت على عاتقها. هب سيد واقفاً بعـد انتهاء التعليمات، بينما انهمكت جوانا في قص الأخبار التي وضعت عليها دوائر أو علامات.

معرفتي بسيد تمتد لما يزيد عن خمسة عشر عاماً عندما جاءني شاكياً من رئيسه في العمل- رئيس الجراج- صفعه كفاً على وجهه بعد مشاجرة بسيطة. كنت أمام خيارين، إما إرسالهما إلى الشئون القانونية للتحقيق معهما أو انتزاع حق سيد أمام الجميع، خاصة وأن رئيسه في العمل كان يعتقـد أنه فوق المساءلة وفوق القانون وموقفه هـذا كـان يمثـل تحدياً شخصياً لي.

نزلت بنفسي إلى الجراج.. خلفي مجموعة من المحررين الذين تربوا على يدي وقمت بتعيينهم. انقلب الجراج رأساً على عقب. وقف السائقون كأن على رؤوسهم الطير.. رئيس مجلس الإدارة بشحمه ولحمه في الجراج. طلبت سيد ورئيسه.. استمعت لهما وطلبت في النهاية ما جئت لأجله وهو كسر شوكة رئيس السائقين أمامهم. طلبت من سيد أن يصفع رئيسه كما فعل معه.. تردد سيد في البداية. هب فيه المحررون الذين حولي.. طلبوا منه أن يفعل ما أمره به رئيس مجلس الإدارة.. لحظات قليلة من الترقب والحذر، كنت أهم بمغادرة المكان وإذا بسيد يصفع رئيسه صفعه هزت المكان.. أخذت نفساً عميقاً وغادرت المكان ونحيب رئيس السائقين يخترق أذني ويطربني.. بعدها بيومين أصدرت قراراً بعزل رئيس الجراج وقمت بتعيين شخص أخر واخترت سيد سائقاً خصوصياً لي.

لم يكن هذا الكف الوحيد في حياة سيد وإن كان أقتص بنفسه لنفسه، ضربته زوجتي فيما بعد كفاً مماثلاً وضربته أنا عدة صفعات، وكل ما أخشاه أن يأتي الوقت ليقتص لنفسه منا.. عمل سيد معي.. أغدقت عليه المكافآت ليس لمهارته في القيادة ولكن مقابل حفظه لأسرارنا.. أسراري الشخصية وأسرار أفراد العائلة. يعلم كل علاقاتي ومن

أقابل وأين.. يخرج مع زوجتي في الأسـواق والمراكـز التجارية يشتري معهـا احتياجاتهـا وبعـض احتياجـات المنزل.. طوله وعرضه وشاربه هي كل مؤهلاته.. سائق يليق برئيس مجلس الإدارة، لا لغيره.

عندما بدأت تنتشر أخبار قـرب التغييـرات الـصحفية وتأكدت أنها ستطولني، كان همي الأكبـر تـأمين بعـض رجالي حتى لا يبطش بهم من يأتي بعدي. أصدرت عـدداً من القرارات بالنقل والترقية وفكرت في سيد. تأمين سـيد وحمايته تأمين لي شخصياً. في المقهى الذي يحملني إليـه مرة في الأسبوع لمقابلة عدد من الأصـدقاء بعيـداً عـن العيون في أطراف القاهرة. أجلسته معي قبل موعد وصول الأصدقاء بما يقرب من ساعة. أخبرته بمخاوفي عليه بعـد رحيلي من المؤسسة خاصة وأن لـه عـداءات تاريخيـة وفرصتهم جاءت للانتقام منه. طلبت منه أن يقدم اسـتقالته ويعمل معي بضعف الراتب الذي يتقاضاه من المؤسـسة. رفض تماماً فكرة الاستقالة. الوظيفة في رأيه ضمان فـي حد ذاتها لنفسه ولأسرته. أنا لا أخشى عليه ولكن أخـشى منه وأخاف أن يستغله خصومي ضدي. عرضـت عليـه تقديم إجازة دون راتب ويعمل معي بنفس راتبه بالإضـافة إلى قيمة التأمينات وصندوق الزمالة، زائد خمسمائة جنيه..

وافق.. أحضر ورقاً من السيارة وقدم طلب الأجازة. كان طلبه أخر قرار قمت بتوقيعه وظل سيد معي.

أما "جوانا " فهي هدية من صديقي رجل الأعمال الذي استكتبته في الجريدة وحولته إلى مفكر وصاحب رأي وكنت أضع صورته فوق مقاله وعرفه الناس.. كان صديقي إلا أنه اختفى مع من اختفوا وأغلق هاتفه كما فعل غيره. ذهب كما جاء وبقيت هديته جوانا وهي وإن كانت تنتمي إلى طائفة "الواطيين" إلا أنها نوع جدير بالاحتفاظ به. قدم لي جوانا على أنها "غسيل ومكوه" ولن يزيد راتبها عن مائة وعشرين دولاراً في الشهر، من الممكن أن يرتفع إلى مائة وخمسين دولار. لم أقبل هديته في بداية الأمر. كان يلف ويدور ويتحدث عن خبراتها ويذكر مزاياها، مركزاً على أهم ميزة يراها وهي جهلها باللغة العربية وعدم قدرتها على نسج علاقات وهي بالتالي تصبح كالخزينة المغلقة، لن يكون لها مفاتيح إلا ما تحت يدي. أنظر إليها وأتذكر حديثه وهي تقص بهمة كومة الجرائد التي أمامها وتضع الأخبار في الملفات كما أمرتها وأنتظر منها بعد الانتهاء في أن تتحدث عن زيادة الراتب بعد الأعباء الوظيفية الجديدة.

في المقهى الذي نجلس فيه بعيداً عن ضغوط العمل وهو ليس مقهى بالمعنى المعروف ولكنه كوفي شوب. شقة في الدور الأرضي بمدخل خاص حولها صاحبها إلى مقهى.. خصص أحد حجراتها لنا وحدنا نجلس عنده ثلاث أو أربع ساعات يوم الثلاثاء من كل أسبوع.. اخترت الثلاثاء لأنه في منتصف الأسبوع ورواد المقهى قليلون، خاصة وأننا من المشاهير، يعرفنا العامة والخاصة. صديقي محيي ربيع أو تحديداً الذي كان صديقي، لا يأت للمقهى بأيدي فارغة، كان يصحب معهِ في كل مرة فتاتين مختلفتين ولا يعود بهما، يهديهما لأحد منا وأحياناً يتصارع الأصدقاء على الهدايا. هو الذي أقنعني بضرورة تغيير سكرتيرة مكتبي وأثار عليَ الأصدقاء. في رأيه أنها لا تليق بمكانتي والسكرتيرة في رأيه عنوان لصاحب المكتب.

في تلك الليلة ضحك محيي ربيع وأضحكنا جميعاً. سويعات من الضحك تخفف الضغوط اليومية. أخذ يصف سكرتيرتي التي يعرفها جميع الأصدقاء. يصف طريقة كلامها ودلالها البلدي وخطواتها "المفرشحة" وصبغة شعرها.. "ضاربة رأسها ماء أوكسجين" لتبدو شقراء.. لم يترك شيئاً لم يذكره وكأنني أراها لأول مرة من وصفه لها.. صدرها المترهل مثل ثدي العنزة الوالدة والكل يضحك ويتهمني في ذوقي.. في النهاية اقترح أن أختار

إحدى الفتاتين اللتين أحـــضرهما لتكـــون واحـــدة منهمـــا سكرتيرة لي. كان من الصعب أن أتخذ قراراً في اللحظـــة والتو ولا أستطيع استبدال سكرتيرتي هيام فجأة بأخرى، ما لم أبحث لها عن مكان بعيـــداً عـــن المؤســـسة والمكتـــب واستصدار قرار بنقلها.. خاصـــة وأنهـــا صـــاحبة وجـــه مكشوف من الممكن أن تفضحني.

طلبت منه مهلة للتفكير وقد اخترت مبدئياً الفتاة البيضاء الطويلة.. أوضح أن عمرها أربعة وعشرين ربيعاً.. حسنة المظهر كما نرى ولها خبرة كما شاهدنا.

مشكلة هيام هي ميزتها وهي نفس مـــشكلة أم الأولاد. عشرة عمر. هيام معي منذ ما يقرب من عشر ســـنوات.. تحفظني وأحفظها.. تفعل كل ما يطلب منها وما لا يطلب، إلا أنها كثيرة الشجار مع الصحفيات بالذات. الغيرة تقتلهـــا وإحساسها بالدونية تجاه بعض الـــصحفيات المتغطرســـات تقلقها. تمنع دخولهن على مكتبي بحجـــج واهيـــة وأســـمع شجارها معهن كل صباح.. مشكلتها أنهـــا تحمـــل دبلـــوم تجارة. حاولت تزويجها بكل الطرق من أكثر من محـــرر من القادمين من الأرياف.. كانوا يتهربون.. وجدت حلاً.. لماذا لا تدرس مثل بقية الخلق.. أتوسط لها وأحصل لهـــا على منحة دراسية في الجامعة العماليـــة وبعـــد أن تقـــدم أوراقها.. أنصحها بتقديم طلب للنقل إلى أي مكـــان أخـــر

للتفرغ للدراسة بدلاً من طردها بطريقة مهينة. نجحت الخطة.. في المقابلة الثانية أخبرت محيي ربيع بالموافقة على عمل السكرتيرة الجديدة. أوضح أن الناس المحترمين لديهم طاقم سكرتارية لا سكرتيرة واحدة.. نصحني بأخذ الفتاتين معاً ولن أندم.

أنهت "جوانا " المهمة واستفسرت عن أي تكليفات أخرى غير إعداد طعام الغداء. شكرتها وانتقلت للجانب الشرقي من حديقة الفيلا. حمام سباحة صغير مساحته لا تتعدى سبعين متراً.. منضدة صغيرة أيضاً من الخيرزان وعدة مقاعد.. من مقعدي أنظر إلى الحديقة والأشجار وإلى النجيل. معرفتي بالأشجار وغيرها قليلة رغم أنني في الأصل فلاح وابن فلاحين. فلاح بلا أرض وبلا زرع، لا أعرف من النباتات إلا ما يؤكل. سمعت فيما بعد عما يسمى بمغطيات التربة وهي التي تعطي التربة اللون الأخضر الجميل. فيما مضى كنت أعرف "السريس" و"الجعضيض" الذي ينبت على حواف الحقول والترع، أمسح بيدي عود "السريس" وأكله.. كان ألذ من الخس المعروف باسم أيس بيرج.

هذه الفيلا عرفتني بكل الزهور والنباتات واشتريت منها أنواعاً وألواناً، دفعت المؤسسة تكلفتها بالكامل.

على أضلاع الفيلا الثلاثة نخيل زينة، زاميا وسيكس وانيكا بأوراق خضراء وأوراق صفراء ونخيل ملوكي ونخيل كوكس (جوز هند). عندما سألوني عن نوع النجيل الذي أفضله. كنت أرغب في نجيل فاتح اللون مثل الذي أراه في الأفلام والمسلسلات الأجنبية. أوصاني خبير الزراعة الذي جاء لرسم "اللاندسكاب" أنه من الأفضل أن يكون نجيل الممرات من النوع الأخضر الداكن المسمى بـ "باس بولم" وبقية أرضية الحديقة من النجيل الفاتح "التاواي". عندما رأيت الحديقة بعد أن انتهوا من تنظيمها وزراعتها، بهرني جمالها. الآن لا شيء يبهر ولا شيء يسر. النخيل والسور الضخم يحرمني من الاستمتاع بالأفق وأي أفق.. القادم سيء.

جاءت جوانا بصواني الطعام يساعدها سيد السائق وضعت الطعام وهرع سيد لإحضار التليفون من المنضدة المجاورة ليكون أمامي.. انصرفت جوانا وطلبت من سيد أن يجلس معي لتناول الغداء، تردد في بداية الأمر وتظاهر بالأدب إلا أنني أمرته، فجلس. أنا في أشد الاحتياج لسيد أو غير سيد، احتاج من يجلس معي، من يسمعني، من يحدثني بعدما هرب مني من كنت أظنهم بالأصدقاء. أتمنى أن يرن التليفون ولو لمرة واحدة في اليوم، أن أسمع صوتاً يسأل

عن حالي وصحتي وأخباري. كان العشرات ينتظروني أمام مدخل المؤسسة.. يلتفون حـــولي بمجـــرد ترجلـــي مـــن السيارة.. عشرات أمام المصعد وعشرات أمام المكتـــب.. الكل ذهب مع الكرسي.. ربما يفعلون الآن نفس الـــشـــيء مـــع رئيـــس مجلـــس الإدارة الجديدة.

بعدي عن المؤسسة التي بنيتها طوبة طوبـــة وانقطـــاع أخبارها عني يسبب لي حالة من القلق المستمر. لا أعلـــم ماذا يحدث فيها الآن على وجه الدقة وهل هناك من يترحم على أيامي أو الكل سعيد بالإطاحة بي. سيد على علاقـــة قوية بالصحفيين والإداريين ولا ينقطـــع رنـــين تليفونـــه المحمول. التليفون الغالي الذي أهديته لـــه.. يتـــصل بهـــم ويتصلون به.

- سيد ما هي أخبار المؤسسة؟ وهل الناس ينتظـــرون رئيس مجلس الإدارة الجديد على الأبواب.؟

- انتظروه أول يوم بعد قرار تعيينـــه.. بـــاركوا لـــه، شكرهم وطلب منهم عدم انتظاره عند خروجه أو دخوله.. مكتبه مفتوح طوال اليوم لهم.

- لم يذق بعد طعم حلاوة الكرسي.

- أظن أنه سيظل كذلك.

- لا.. أنا أعرفه جيداً.. أعرفه أكثر من أي أحد.

- في آخر لقاء وعد الناس بإصلاحات وترقيات وتعديل الرواتب وإعادة النظر في الحوافز.

- عاوز يعمل بصمة لنفسه. كان غيره أشطر.. يومين ويودعوه مثلما ودعونني.

- طبعاً.. سيادتك مش هتتعوض.. هيعرفوا قيمتك.. يا ريس بعدين.. والله أنا كنت عاوز أكلمك في موضوع يخصني.

- بعدين.. يا سيد.

استمر سيد في تناول طعامه ومسحت أنا يـدي وفمـي بالفوطة. استأذنته للدخول إلى المنزل لأنام بعض الوقـت. أصبح نوم القيلولة أساسي في برنامجي اليـومي منـذ أن خرجت من المؤسسة، بعدما كنت لا أنام ليلاً أو نهـاراً.. تحررت من ملابسي ودخلت بين طيات الأغطية.. سـرير بارد منعش وحجرة خالية من أنفاس الحريم وعطـورهن. منذ انتقالنا إلى المنزل الجديد هذا، خصصت حجرة نوم لي واختارت زوجتي أم العيال حجرة لها في الطابق العلـوي. لا تريد أن تكون حجرة نومها بجوار حجرة نومي.. سعدت باختيارها ولم أعترض ولم أعلق. تكفيني الآن جوانا وحدها بعدما بلغت أنا الثامنة والستين ولم تعد تنفعنى منشطات أو

مقويات. لم أنم.. دارت الدنيا بي ودرت بها. مرت على مخيلتي شخصيات تعاملت معها بعنف وشخصيات أخرى عاملتني بمهانة وإذلال.. رفست الأغطية بقدمي ونهضت. دخلت الحمام.. الماء البارد المندفع من الدش الإيطالي لم يخمد ما في رأسي من مخاوف. هل تجرؤ الحكومة على تقديم رؤساء مجالس إدارات الصحف السابقين إلى المحاكمة؟ هل سنقف خلف القضبان ويتشفى فينا "الواطيين". هل نحن وحدنا الذين أهدرنا ثروات البلد أو هربنا أموالها إلى الخارج؟ الماء ينسال على شعيرات شعر صدري العجوز الجافة. لففت منشفة حول وسطي والأخرى على أكتافي وخرجت لارتدي ملابسي. ضغطت على الجرس وقبل أن أرفع أصبعي، كانت جوانا قد صعدت إليَ. جففت بقايا الماء من على كتفي ورأسي واحضرت لي من الدولاب بدلة لونها اقرب إلى الخضرة وأحضرت لي حذاء وجورب يناسب البدلة.

ارتديت الجورب ووضعت قدمي في الحذاء. حذاء كان اشتراه لي واحد "واطي" كنت ارسلته إلى باريس، عند عودته من المهمة، جاء يهديني الحذاء أمام مجموعة من زملائه يجلسون معي في مكتبي.. شكرته على الهدية.. الحذاء يبدو غالياً.. ذكر سعره ثلاثة آلاف فرنك. غالي

بالفعل.. شكرته مرة أخرى وطبلت منـــه الجلــوس معنــا وتبادلنا حواراً من نوع المجاملة.

- كيف حال باريس.

- تسأل عنك وتتلهف لزيارتك لها.

- الأسعار والفنادق والوجبات في المطاعم.

- أصبحت نار.. فرنسا مثل غيرها مــن دول أوربــا تستعد للانضمام إلى العملة الأوربية الموحدة اليورو.

- كيف قضيت أيامك العشرة.

- خيرك مغرقني. بدل السفر الذي صرفته لي غطــى وزاد.

- أشكرك مرة أخرى على الحذاء وحمله إلى هنا.

- لو الشنطة لم تسعه.. لكنت حملته لك على رأسي!

انفجر الزملاء ضاحكين.. هذا "الواطي" كان أول مــن سبني عندما غادرت المنصب.. اتهمني علناً. بــأنني رأس الفساد وطالب رئيس مجلس الإدارة الجديد برفــع الظلــم وإنصاف المظلومين والمقهورين الذين أذاقهم رئيس مجلس الإدارة السابق من العذاب ألواناً.. واطي من الــواطيين.. إجمالي بدلات سفره خلال العشرين سنة الماضية لا تقــل عن خمسين ألف دولار. زملاؤه الذين ذهبوا إلى الخليج لم

يدخروا مثل هذا المبلغ في رحلة غربة قد تكـــون مريـــرة وطويلة. المشكلة أن هذا الواطي استطاع بسرعة أن يتقرب من الرئيس الجديد واستطاع بما لديه من علاقات ورغبـــة دفينة في الانتقام مني في إمداد صحف المعارضة بما يظنه أسرار يتمنى أن تحملني إلى أروقة المحاكم والتحقيقات.

سيد ينتظرني بالسيارة أمام الباب، لا أعلم أيـــن أذهـــب وماذا أفعل هذه الليلة، أتخذت قراري على وجه السرعة.. أنا هنا في التجمع الخامس منذ ما يقرب من ثلاث سنوات. لم أر المدن التي انشئت ولم أشاهد القصور التي شـــيدت.. فرصة أخرج مع سيد يلف بي أحياء المدينة الجديدة. ســـيد سائق محترف. بمجرد نزولي، ترجل من الـــسيارة وفـــتح الباب الأيمن الخلفي. أغلقت الباب وفتحت الباب الأمـــامي لأجلس بجانبه.

- على فين يا ريس.

- جولة في المنطقة.

أكره الغروب.. أكرهه ولكنى هذا المساء أجد استمتاعا في مشاهدته.. المنطقة هادئة وزجاج السيارة المغلق يعزلنا حتى عن أصوات العصافير التي جاءت للإقامة هنـــا مـــع الأثرياء.. الأشجار والنخيل الذي جلبه سكان القصور مـــن

أماكن بعيدة، أغرى الطيور للإقامة في التجمــع الخــامس والتي كانت من قبل صحراء جرداء.. فــيلات وقــصور وشوارع واسعة وأعمدة أنارة تختلف عن أعمــدة القــاهرة بأسرها. فوانيس الإضاءة تبدو باريسية التصميم.. أنظر في صمت وسيد لا ينطق.. هذه القصور من هــم أصــحابها. أعرف صاحب قصر أو اثنين أو ثلاثة على الأكثر. ســيد موسوعة في هذا المجال. ذكر أسماء أصحاب هذه الفيلات والقصور عندما طلبت منه. الأغلبية منهم مسئولون سابقون خرجوا من الخدمة، بعضهم خرج بهدوء وأخرون بفضائح ولم يمسهم أحد بسوء.

الأسوار العالية هي السمة الغالبة فــي هــذه المدينــة.. أسوار بارتفاعات مختلفة إلا أنها لا تقل عن أربعة أمتــار بحال من الأحوال. الكل اتفق على أن يحمي نفــسه مــن عيون الآخرين، خوفاً من الحسد أو عيون المتلصصين.

- أرغب يا سيد في خفض سور المنزل.

- ماشي يا ريس.

- عاوزك تبحث لي عن مقاول.

- من بكرة يا باشا.

- بكرة تجيب معاك المقاول.

كل القصور والفيلات متشابهة ويبدو أن أصحابهم أيضاً متشابهين. كل قصر أو فيلا ملحق به جراج خاص، إلا أن أصحاب الفيلات يعلنون عـن وضـعهم المـالي بوضـع سياراتهم أمام القصور.. مرسيدس أحدث طراز.. سـيارة هامر.. أغلبية السيارات المتواجدة حول الأسوار من ذوات الدفع الرباعي. فيلا وحيدة، السيارات الواقفة أمامهـا مـن طراز واحد.. خمس سيارات جاجوار.. جمـرك الـسيارة الواحدة اثنين مليون جنيه. قرأ سيد ما يدور في رأسي.

- فيلا الدكتور ماهر يوسف.. صاحب جامعـة النهـار الدولية.

- خمس سيارات جاجوار!

- نعم لديه ثلاثة أولاد وسيارة له وأخرى لزوجته.

- فلنعود إلى المنزل.

- كنت عاوز سيادتك في موضوع يهمني.

- بعدين.

اقتربنا من المنزل.. ضغط سيد على الريموت كنترول.. فتح البوابة.. ممر مرصوف يسع سيارة واحدة ينتهي عنـد باب المنزل.. أنزلني سيد وأدخل السيارة إلى الجراج ليأخذ

سيارته الهونداي التي كنت اشتريتها له ليعود إلى منزلـــه. الجرائد اليومية على منضدة صغيرة في مــدخل المنــزل. غيرت كثيراً من عاداتي اليومية.. كنــت أفــضل قــراءة الجرائد قبل النوم.. جرائد اليوم التالي.. أصبحت أقرأهــا صباحاً مثل أغلب الناس حتى لا أصاب بأرق قبل النـــوم.. الجرائد لم تعد تحمل ما يسر، خاصة في ظل تزايد الحملة على رؤساء مجالس إدارات الــصحف الــسابقين. جوانــا تسألني إذا كنت أرغب في شـــيء وتخبرنـــي أن المـــدام وصلت.

- إذا رغبت في شيء.. سأنزل إليـــك فـــي حجرتـــك كالعادة.

خلعت ملابسي ورميت حذاء "الواطي" بعيـــداً وأغلقـــت الأنوار ونمت.

* * *

الأسوار العالية

صباح بارد، لا ينفع معه فودكا أو غيرها والجلوس في الحديقة غير مناسب اليوم على الإطلاق. حذرتني جوانا من الخروج خارج المنزل، فالجو مترب ومن المحتمل هطول أمطار.. تصحو جوانا وأول ما تبحث عن سماعه هو حالة الطقس وتؤكد أن البي بي سي هي الأصدق وتنبؤاتها هي الأصح. سأقضي صباحي اليوم في لوبي المنزل وهو مؤثث بطريقة الفنادق. بهو كبير فيه ست صالونات، جميعها وارد باريس، انتقيتها بنفسي عندما اصطحبت مهندسة الديكور وقضينا سوياً عشرة أيام هناك. كان ذوقها راق ومطالبها لا تنتهي.

الدور الأول به المطبخ والحمام وحجرة مكتبي وغرفة جوانا الدافئة وباقي المساحة تشغلها الصالونات ومائدة طعام حولها عشرين مقعداً.. في منتصف السقف تتدلى نجفة ضخمة، واحدة من النجفات الثلاثة التي اشترتها المؤسسة لمبناها الجديد الملحق بالمبنى القديم.. النجفات الثلاثة، وقع سيد السائق باستلامهن من الشركة المنتجة، واحدة عرفت طريقها إلى منزلنا العامر في التجمع الخامس. وضعت

جوانا الإفطار والجرائد والعصائر على طاولـــة الطعـــام.. أفضل دائماً المقعد الرئيسي بجوار النافذة بما يـــسمح لـــي برؤية المكان كله وفي الوقت نفسه يحمي الحائط ظهري .

ذوق المهندسة يحسدني عليه كل من أتى لزيارتي مـــن كبار القوم. سجادة من الحرير الخالص مـــساحتها ثمـــانين متراً مربعاً- ثمان أمتار في عشرة، صنعها لي مصنع في السادس من أكتوبر، لا يتعامل إلا مع أمـــراء الخلـــيج ولا ينسج إلا السجاجيد الحرير، السجادة وحدها كلفتنـــي ٢٤٠ ألفاً من الجنيهات. الفاتورة وصلت المؤسسة. وتم استخراج الشيك.. على الحوائط " تابستري " من الحرير في أطر من الخشب الماهجوني من تصميم وإنتـــاج ويـــصا واصـــف بالحرانية.. لم أضع يدي في الطعام.. أجول بنظري فـــي المكان. جوانا أخبرتني أن المدام خرجت قبـــل اســـتيقاظي بحوالي ساعة.. قالت أنها ستغيب اليوم وقد تبيت ليلتها عند ابنتها في الربوة في ٦ أكتـــوبر وربمـــا تتـــصل تليفونيـــاً لإخبارنا بذلك.

جوانا فعلاً هدية قدمها لي محى بعد فترة من الخـــصام بيننا وبعد أن أهدى لي السكرتيرتين. اشترطت كل واحـــدة شروطاً معينة قبل التحاقهما بالعمل.. سيارة خاصـــة مـــن المؤسسة بسائق وساعات عمـــل لا تتجـــاوز الـــسبعة وإذا

عملت أحداهن فترة أطول يصبح اليوم التالي أجازة.. وافقت وكانت المصيبة.. رغم تكتمي الشديد وحرصي على ألا تخرج خارج المؤسسة، إلا أن الكل علم بها وتسربت إلى صحف المعارضة الصفراء. بنت منهما ظلت في المكتب بعد مواعيد دوامها وتغيبت في اليوم التالي.. ذهب إليها السائق.. لم تنزل.. صعد إلى الشقة.. أنكر السكان وجود آنسة بهذا الاسم في العمارة كلها. بعد اسبوعين فقط من التحاقها بالعمل ارتكبت جريمتها .. سرقت حقيبتي الشخصية، بها جواز السفر وخمسين ألف دولار.. كل دولار ينطح دولاراً وعقدين لشراء قطعة الأرض التي بنيت عليها الملحق الجديد. عقد أصلي وعقد مضروب. المضروب والذي كنت سأقدمه للمؤسسة مذكور فيه أن قيمة الأرض اثنتا عشرة مليوناً من الجنيهات والعقد الأصلي مذكور فيه القيمة الحقيقية وهى سبعة مليون.. الفرق ليس كبير. خمسة ملايين جنيه.

البنت فص ملح وذاب. اتصلت بمحى أخبره بما حدث وأسأله عن اسم البنت الحقيقي وعنوانها. أنكر أنه يعلم أن لها اسماً أخراً غير الذي قدمها لي به وأنكر معرفته بعنوان لها غير شارع نخلة المطيعي بمصر الجديدة.. طلب مني أن أبلغ الشرطة أو اتصل باصدقائي في الداخلية وهو يعلم

أنني لن أستطيع. تقابلنا في الكوفي شوب، أقسم بأغلظ الإيمانات أنه لا يعرف شيئاً عن الفتاة غير ما أخبرني به. كنا على وشك التشاجر في المقهى.. تدخل الأصدقاء. تحدثت عن الأشياء المسروقة.. جواز السفر والخمسين ألف دولار ،اخفيت عنه موضوع العقد.. وعدني أمام الأصدقاء بالبحث عنها وأن رجاله سيقلبون مصر رأساً على عقب إلى أن يتم العثور عليها.

لم أرد على مكالمته وعندما جاءني في مكتبي رفضت استقباله.. كل ما أفكر فيه هو عقود شراء الأرض والتي صاغها محام شهير.. اتصلت بالمحامي. قال من الصعب إقناع البائع بتوقيع عقد جديد ما لم يطلب زيادة في قيمة الصفقة لن تقل عن اثنين مليون جنيه! ورطة وفضيحة كبيرة تنتظرني. في اليوم الثالث، اتصلت بي سكرتيرتي السابقة. صوت هادئ وناعم وجسور.

- الشنطة في الحفظ والصون.

- أين هي؟

- سأسلمها لك.

- فيها كل شيء.

- ليس كل شيء.

سقط قلبي وارتبكت، طلبت منها أن تحضرها وتأخذ ما تريد وكأن شيئاً لم يكن. كانت حادة وحاسمة وحازمة وقوية وكأن هناك قوى عظمى تحميها.

- الحقيبة بها جواز السفر وعقود البيع.

- كيف وأين أقابلك ؟

- في المقهى.. تأتي دون حرس أو خلافه. تأتي وحدك بسيارتك.. دون السائق.. الساعة الثانية بعد ظهر اليوم.

أمامي ثلاث ساعات.. لا أعلم كيف سأقابلها وأخشى أن يكون هناك كمين من أي نوع أو تكون البنت طرفاً في لعبة كبيرة لا أعرف خيوطها.. نزلت من المكتب ومعي سيد.. إلى ميدان روكسي.. نزلت من السيارة.. أخذت تاكسي إلى الكوفي شوب.. وصلت قبل موعدي بنصف ساعة.. جلست على مدخل المقهى.. لم أدخل حجرتنا المعتادة. أحضر لي الجرسون شيشة وشاياً.. لم أستطع أن أمد يدي على الشيشة أو الشاي.. جف ريقي.. شربت كوب الماء وطلبت كوباً أخراً. سيارة جيب شروكي سوداء اللون.. توقفت فجأة أمام مدخل المقهى.. نزل منها ثلاثة أفراد مثل أبطال المصارعة.. وقفوا على مدخل المقهى ونزلت سكرتيرتي.. لم تلق تحية أو سلام. ألقت علىَ

الحقيبة وركبت السيارة.. سيارة بلا أرقام. الـشنطة بهـا جواز السفر وعقود البيع وورقـة واحـدة. فئـة عـشرة دولارات. مكتوب عليها " للذكرى الخالدة " أوقفت سـيارة أجرة وعدت إلى سيد في ميدان روكسي.

قاطعت مجموعة الأصدقاء.. لم أذهب إلى المقهى لمدة تزيد عن الشهور الثلاثة.. توسط بعضهم لتنقيـة الأجـواء وأقسموا أن محى خارج اللعبة وأن لا علاقة لـه إطلاقـاً بسرقة الحقيبة.. ذهبت إليهم في الكوفي شـوب.. أخـرج محيي ربيع مصحفاً وأقسم عليـه وعـادت الميـاه إلـى مجاريها.. بعدها بعام قدم لي جوانا. قـال هديـة "غـسيل ومكوه" خبيرة مساج وأمينة.. سألته إذا كان لها اسماً أخـر غير جوانا وأنها من الممكن أن تكـون صـينية وليـست فلبينية. أعتبر أن هذا المزاح يؤكد عدم صفائي له.. التحقت جوانا بالعمل واحتفظت بجواز سفرها. جوانا بالفعل هدية، طماعة بعض الشيء، إلا أن الطمع شعور إنساني عـادي. تتقاضى راتباً شهرياً، تحاول كل فترة أن ترفعه وتتقاضى خمسين دولاراً لكل زيارة لي في حجرتها، هي التي حددت الأجر ومن وقت لأخر أمنحهـا خمـسين أو مائـة دولار زيادة. أنهيت تناول الإفطـار ورفعـت جوانـا الأطبـاق والأكواب وجاء سيد وبدأت في قراءة الصحف فلان يـدلى

بأقواله أمام النائب العام" جريدة أخرى بصياغة أخرى "فتح التحقيق مع فلان. " جريدة ثالثة "فتح ملفات الفساد في المؤسسات الصحفية" الغريب أن المؤسسة التي كان يرأسها علان هذا هي الأعلى صوتاً، نبرة التشفي واضحة في الصياغة والعناوين.. يبدو أن العملية جد.. اتصلت بالمسئول الذي كان صديقي والذي أغرقته بالهدايا طوال سنوات، بدءاً بالجنيهات الذهبية وحتى السيارات.

- أنا هتصل بيك.. لا تطلب هذا الرقم مرة أخرى.

الواطي يتهرب مني.. لم يحاول أن يسمعني رغم شعوره بقلقي وخوفي من الأيام القادمة.. كل يخاف على مقعده. كل يخشى من لقب مسئول سابق. دق جرس التليفون.. ظننت أنه عاود الاتصال بي. لم يكن هو.. المدير المالي والإداري السابق في مؤسستي السابقة. الذي خرج قبلي على المعاش بشهرين.

- أنا قريب منك على بعد مسافة عشر دقائق.

- أرغب في رؤيتك.

- حالاً سأكون عندك.

الأستاذ نعيم مطر مطر.. أستاذ الحسابات والميزانيات، لم أر مثله في حياتي.. لا أحد يستطيع أن يمسك عليه شيئاً.

ورع.. مصل.. حج عشرات المرات أثناء عمله في السعودية كأمين للمخازن في إحدى الشركات. استطاع من وظيفته البسيطة تلك أن يبني عشرات العمارات في مدينة نصر وما حولها.. كان يعرضها كلها للتمليك بمجرد تشطيبها. المطر يشرع في الهطول كما تنبأت جوانا.. دخل نعيم مطر.. احتضنته واحتضني. نحن في قارب واحد ولا نعلم ماذا تخبئ الأيام القادمة. تظاهرت بالقوة والتماسك، فهو أولاً وأخيراً كان أحد المرؤوسين.. اثنى على الفيلا والذوق والأثاث وهو يعلم أن الصالونات الستة جاءت من باريس.. اشتراها مدير مكتبنا هناك وشحنها إلى القاهرة ووقع نعيم مطر بك مطر بنفسه على الشيكات التي تم إرسالها له وجددت أنا بنفسي عقد مدير مكتبنا في باريس لأربع سنوات اخرى مقابل خدماته.

تحدث نعيم مطر عن بناء الفيلا والفترات التي قضاها هنا مع العمال أثناء التشييد وأكد أنه ما زال مع وجهة نظره التي ذكرها من قبل عن السور وارتفاعه وأن السور يجب أن يكون منخفضاً بعض الشيء أو تتخلله فتحات لكسر جدار العزلة.

- قرأت جرائد الصباح واخبار التحقيقات.

- أنا بفكر فعلاً في خفض ارتفاع السور.

- أحنا مش فى السور دلوقتي.

- طبعاً. طبعاً.. قرأت الجرائد .. صاحبك في النيابة اليوم ولا نعلم من سيذهب غداً. !

تماسكت وشددت ظهري إلى المقعد ووضعت ساقاً على ساق، فأنا تعلمت لعبة الحسابات من نعيم مطر هذا وعرفت بمساعدته الشيطانية كيف أحمي نفسي. لا توجد ورقة واحدة أو مستند واحد أو إذن صرف عليه توقيعي، حتى الشيكات لم أوقعها. المكافآت وغيرها من النثريات تركتها لهيام سكرتيرتي السابقة. كانت تكتب بخط يدها المبلغ المطلوب صرفه. المبلغ الذي أمليه عليها وأضع في طرف الورقة علامة √ صح بقلمي الأحمر الذي يعرفه الصرافون داخل المؤسسة.. لم يجرؤ أحد على الاعتراض أو منع الصرف. تقارير الجهاز المركزي للمحاسبات خلال العامين الماضيين قبل خروجي من الخدمة ليس بها أية مخالفات مالية أو إدارية، كان بها بعض الملاحظات والتي كان يكلف نعيم مطر هذا بالرد عليها.

- أنت في الأمان.. يا فاروق.

فاروق مجردة.. فاروق عارية.. لا يسترها لقب أستاذ أو ريس أو يحميها من خلفها لفظ باشا. الأمور ساءت

والرموز ضاعت والهيبة خرجت ولم تعد. سأتحمل هــذا " الواطي " كما تحملت غيره، فأنا الآن في حاجة إلى رفيق.. إلى ونيس- إلى شخص يسأل عني ويتصل بــي ويــودني حتى ولو كان واطي. ليس هناك ما يدينني على الإطلاق، فانا لست فلاناً أو علاناً.. أنا فاروق عوض حتى ولو كنت من غير باشا. الأدهى والأجمل والأذكى الذي لا يعلمه نعيم مطر بك مطر أن الدورة المستندية كانت تعــود لــي فــي النهاية.. المستندات والأوراق وحوافظ الــشيكات.. كانــت كلها تعود إلى مكتبي في النهاية.. احتفظت بها فتــرة فــي شانون لم أعط مفتاحه لأحد.. حتى هيام التي كانت تــسأل عما في هذا الشانون، كنت أخبرها أنها أوراق لــيس لهــا أهمية.

يرشف نعيم مطر بك من كأس الويسكي الذي أحضرته جوانا.. يشرب نعيم مطر صباحاً وعصراً ولــيلاً ويختــتم يومه بصلاة العشاء والاستغفار. أول شخص أقابلــه فــي حياتي يشرب الويسكي بنفس طريقة شرب القهوة.. وضع الكأس على المنضدة وأشار بأصبعه إلى تابــستري معلــق على الحائط، معلقاً أنه أجمل اللوحات المعلقة. نعيم مطر لا يفهم في الذوق أو الفنون.. يفهم في المال وألاعيب الحفاظ

على المال وأساليب الهروب من الاتهام بسوء استغلال المال.. أخذ يثني على مهندسة الديكور التي اثثت الفيلا وعلى ذوقها.. يعلم قصتها معي وأيام باريس ويعلم أنها كلفتني كثيراً وكادت أن تورطني في أشياء أكثر ويعلم كيف انتهيت منها. لقد وقع بنفسه على الشيك الذي حصلت عليه. مائتان ألفاً من الجنيهات وطلب منها شخصياً بناء على تعليماتي بعدم الظهور مرة أخرى في المؤسسة.

أيام قضيتها معها في باريس.. أول ليلة في فندق ريتز.. كانت في حالة ذهول. بعدها وفر لنا مدير مكتب الجريدة في باريس مكاناً هادئاً بعيداً عن الفنادق ووسط باريس المزدحم. فيلاً صغيرة في منطقة "شابل".. لا يسكنها إلا الآثرياء العرب.. لكل شيخ قصره أو فيلته، لا يأتيها إلا أسبوع أو أقل قليلاً في العام. عشرة أيام.. قالت عنها أنها عشرة أيام في الجنة.. سيارة بسائق تحملنا إلى وسط البلد كل عصر. نشاهد معارض الأثاث.. ننتقي ما نريده.. يدفع مدير مكتب الجريدة الفواتير.. عدنا.. ووصلت الأطقم والأباجورات واللوحات.. نسقت هي الفيلا على ذوقها.. ذوق بالفعل عالٍ يحسدني عليه الكل.. بعد أيام اشتكت من وعكة صحية، أخبرتني أنها ستجري تحاليل طبية، فهي

تخشى أن تكون حاملاً.. طلبت من نعيم مطر هذا أن يعد لها شيكاً سخياً وأمراً غبياً بالطرد النهائي.

- ماذا تظن أن يقول صاحبك في التحقيقات؟

- لا يهمني.. وضعه مختلف عن وضعنا.. قامت جهات رقابية كما تعلم بتفتيش مكتبه وصادروا مستندات كثيرة.. تقول الصحف أنها تدينه. نحن ليس لدينا مستندات تديننا أو تبرأنا.. المستندات كلها التهمها حريق.. ماس كهربائي لعين أشعل النار في طابق كامل وأتى على المستندات.. المعمل الجنائي أوضح في تقريره أسباب الحريق وحصر التلفيات وأغلق المحضر وانتهى الأمر. آثار نعيم مطر بك نقطة جديرة بالملاحظة وهي أن من أهم أسباب تقديم صاحبى للنيابة أنه ظل محتفظاً بلسانه داخل فمه، ظناً منه أن الصمت قد ينفعه، إلا أنه أصابه بالأضرار في النهاية. لم يحاول أن يدافع عن نفسه حتى في جلساته الخاصة ولم يحاول أن يورط معه مسئولين كبار وعندما ضاقت عليه الحلقة لم يفكر في الفرار.. نعيم مطر من حيث لا يعلم فتح لي طريقين.. أما الحديث في الجلسات والدفاع عن نفسي أو الفرار.

- لابد أن تخرج وتقابل الناس وأن تعاود اتصالك برجالك داخل المؤسسة.. لابد أن يشعر الناس بأنك مازلت في لياقتك وقوتك.

- سأحاول.. الأمر يحتاج بعض التفكير، فأغلب رجالي طلعوا... لا داعي.

تسأل جوانا نعيم مطر بك إن كان يرغب في كأس أخر. يشكرها.. فهو مضطر للرحيل، فابن أخيه يجلس خارج المنزل في السيارة.. لماذا لم يخبرني ؟.. كل ذلك الوقت وابن أخيه في الخارج!

- يا جوانا.. اندهي على الأستاذ اللي في السيارة أمام الفيلا.

- لا داعي، فأنا على سفر.. تعلم أن لدي ولد وحيد يعيش في أمريكا وقررت السفر إليه والإقامة معه وقلت مفروض أن أمر عليك وأنا في طريقي للمطار.. الطائرة أمامها ساعتين.

الواطي.. لم يخبرني من قبل عن نيته بالسفر أو الهرب. جاءني قبل موعد إقلاع الطائرة.. كيف استطاع أن يخفي خططه عني وكيف استطاع خداعي كل هذه المدة.. وقف على قدميه.. احتضنني حضن الوداع. انسابت الدموع من

عيني.. سيتركني وحدي.. لولا الملامة لتركته يخرج من الفيلا واتصلت بسلطات المطار وأمنعه من السفر حتى ولو بطريقة غير قانونية... فليسافر.. وجوده في مصر في حالة تأزم الوضع قد يصبح عبئاً عليَ.. قد يشهد ضدي إذا ما تطورت الأمور ويصبح أقوى أدلة الاتهام.. مع السلامة يا نعيم مطر.. خطوت معه خطوات حتى باب الفيلا.. ركب السيارة وأشار لي مودعاً.

دخلت الفيلا مرة أخرى.. وجدت جريدة صفراء كان نعيم مطر تركها على المنضدة.. جريدة لم أسمع عنها من قبل ورئيس تحرير لم أقرأ اسمه من قبل على خبر أو تحقيق.. "عين الصقر".. رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير "سيد فانلة". تحقيق على صفحة كاملة، صورتي بالحجم الكبير على ثلاثة أعمدة.. صورة نجاتيف وعنوان على ثمان أعمدة "عشيقات فرفور يفتحن الملفات ويطالبن بتعويضات" فرفور هو أنا فاروق.. سكرتيرتي هيام يرمز لها بالحروف الأولى ، تتحدث عن علاقتي بها وكيف أجبرتها على توقيع إقرار بعدم الزواج لمدة خمس سنوات قبل تعيينها في المؤسسة وكيف تعاملت معها كجارية ومحاولة تزويجها لأحد المحررين القادمين من الأرياف.. السكرتيرة الثانية الحرامية تحكي كيف هربت مني بعد أن

حاولت اغتصابها في حجرة النوم الملحقة بالمكتب وأنني حاولت أن أضع لها أقراصاً منومة في كوب العصير.. مهندسة الديكور تحكي عن أيام باريس والهدايا التي اشتريتها لها والفواتير التي دفعتها المؤسسة وصورة زنكرافية للشيك الذي تسلمته وصورة لطفل تؤكد أنني تهربت من نسبه الىَ.. سيد فانلة هذا وقع ولم يسم عليه أحد. خطأ فادح من الديسك، ترك اسم هيام كاملاً.. من الممكن التقدم ببلاغ للنيابة وتقديمه للمحاكمة وإغلاق الجريدة.

- جوانا.. سيد.. جوانا.. سيد..

ناديت بأعلى صوتي عليهما.. الجريدة لم يتركها نعيم مطر الواطي سهواً ولكنه تركها عمداً.. ليقول لي أشرب لوحدك.. يا فاروق.. كل رجالي طلعوا.... اندفع سيد وجوانا إلى البهو. طلبت من سيد أن يتصل تليفونياً بهيام ويخبرها بالمنشور في جريدة عين الصقر وأن تذهب إلى الشهر العقاري لعمل توكيل لمحامي ذكرت لهِ اسمه وطلبت منه أن يتصل من التليفون الثاني بنجيب أو عبده سليم ويأتونني بكل التفاصيل عن الواد سيد فانلة ومع من يعمل ومن يحركه وأين كان يعمل قبل أن يفتتح هذه الجريدة ومن يمولها؟. في ظرف ساعة على الأكثر أريد أن تكون

المعلومات كلها أمامي. لابد من الضرب.. من الفضح.. من الدفاع.. لن أترك هؤلاء الواطيين يقضون عليَ.. لن اسكت بعد اليوم .

المطر توقف.. لابد من الخروج من المنزل واستنشاق الهواء.. لابد من التفكير بهدوء.. ما يتم مؤامرة.. يحرك خيوطها بعض مما أعرفهم.. بعضهم داخل المؤسسة.. كانوا من المقربين لي.. رفعتهم درجات ودرجات.. بعضهم حولته من شحاذ معدم إلى صاحب ملايين وأراضي وعقارات وأسهم في البورصة.. واطيين منهم أعرفه.. بعد خروجي من المؤسسة، بدأ يأتي إلى الجرنال بسيارة مرسيدس. سأله البعض هل اشتريتها مؤخراً.. أكد أنها معه منذ سنوات، إلا أنه لم يستطع أن يأتي بها إلى الجريدة ولو كان فاروق يعلم أن لديه سيارة مرسيدس لفصله من العمل.. الواطيين أكثر من واحد.. هل بينهم اتفاق أو أن كل واحد منهم يعمل بمفرده.. ما يحدث مؤامرة.. مؤامرة.. هل اتقدم بشكوى إلى نقابة الصحفيين والنقيب..؟ أسألهم عن ميثاق الشرف الصحفي وضرورة معاقبة من يسيئون للمهنة. لو تقدمت بطلب مثل ذلك، لمزقني "مقاطيع" النقابة أرباً وتشفوا فيَ وسألوني عن ميثاق الشرف الصحفي الذي لم ألتزم به طوال رئاستي لمجلس الإدارة وإهانة قرارات

مجلس النقابة ومحاسبة ومطاردة كل من يذهب إلى مبنى النقابة.

النجيل الأخضر الجميل زاده المطر اخضراراً والأشجار والنخيل في الحديقة تخلصت من الأتربة والجو أصبح أكثر نقاء.. هدأ صدري بعض الشيء. معالجة الأمور تحتاج الكثير من التفكير وبعض الهدوء. لن يحميك أحد بعد اليوم يا فاروق وما يحك جلدك مثل ظفرك.. فتول أنت جميع أمرك. جاءت جوانا بعصائر وزجاجات مياه معدنية.. وضعتهن على المنضدة وألقت بنفسها على المقعد المجاور.

- أنت تحتاج بعض المساج.

- ليس هذا وقته.. اتركيني.. يا جوانا.. (سيد يأتي إلىَ مهرولاً، ووجهه يكشف عن فشله فيما طلبته منه. يبدو أن هيام لم تستجب لما طلبته منها.. أريد أن أعرف بالضبط وبدقة الحوار التليفوني الذي دار بينهما.. ماذا قال لها وماذا قالت له بكل دقة.. كنت أتوقع منها الرفض.. الواطية بنت الواطية التي قمت بتعيين كل أقاربها في وظائف مختلفة بالمؤسسة قالت لسيد ما لم أتوقعه. فاروق يريد من يحارب له معركته. لن أتدخل فيما يدور. نعم أجريت حواراً مع الأستاذ سيد فانلة.. هو ناسي أنه رماني مثل الكلبة.. هو

ناسي أنه وقف حالي.. منه لله.. خليها يذوق.. يعتذر سيد بعد كل جملة ينطق بها.. أنا لسه هقول وعندي كتير هقوله.. لسة مشفش حاجة وأغلقت التليفون في وجه سيد بعد أن نعتته بصفة القواد.

- عبده سليم على التليفون الثاني.. يا باشا.

- حوله إلى التليفون الذي أمامي.

- ألو.. أيوه.. أيوه.. أنت فاكر التي بتقوله ده معلومات.. أنت طول عمرك حمار.. أنا مرشحتكش رئيس تحرير إلا لكونك حمار.. أنت تخبص خبصة خايبة وتطلب لنفسك أو لمراتك علاوة أو ترقية.. الدور هيجي عليك وعلى مراتك.. ما هي كانت سكرتيرتي برضه.. ابعتلي نجيب على المنزل على وجه السرعة.

غبي .. هو الوحيد الذي يدعي أنه يدافع عني بعدما تخلى عني كل الواطيين.. يظن أن ما يفعله أصالة وجدعنه أولاد بلد.. قليل الحيلة ومنعدم الكفاءة. نجيب مختلف.. سيأتي لي بكل المعلومات عن الواد سيد فانلة وسأفكر معه في كيفية التعامل مع هؤلاء الواطيين.

- يا سيد قلت هتجيب المقاول عشان السور.

- تليفونه أه يا باشا.. من الممكن الاتصال به.. مكتبهم في مصر الجديدة ومصانعهم في العاشـر مـن رمـضان وممكن يصل إلينا في نصف ساعة.

وصل مهندس شركة الفورجية والكريتال في أقل مـن نصف ساعة.. شاب في العقد الثالث يرتدي بدلـة كاملـة غالية الثمن.. ليس من المفروض أن تلبس أثناء العمـل.. مهذب لدرجة تثير الغيظ. يا باشا.. سعادتك.. ينطقها دون تكلف. سأل عن المطلوب.. إزالـة جـزء مـن الـسور الخرساني واستبدله بفورجيه.. وضع كتالوجاً ضخماً على المنضدة وسأل عن مكان شراء طقم الخيرزان الذي نجلس عليه.. خيرزان أندونيسي.. أنهى حديث المجاملات وأنهمك في حديث العمل. لا يحفظ كلمتين مثل مندوبي المبيعـات ولكنه يعرض ويصمت لسماع رأي أو لتبادل الرأي. مـن الأفضل أن يكون ارتفاع السور الخرساني لا يزيد عن مائة وعشرين سنتمتراً وبقية الارتفاع فور فورجيه.. علمت منه الاسم الحقيقي.. ومن الأفضل ألا يهدم الـسور كلـه لأن واجهة الفيلا عريضة.. لا تقل عن أربعين متراً.. عرفـت انه يقدر المسافات وبدقة دون الحاجة إلى أخذ مقـاييس.. تظل الأعمدة الخرسانية الرأسية كما هي ويترك نصف متر على الأقل من ناحية كل عمـود. والبـاقي يـصبح فـور

فورجيه، يعطي مجالاً للرؤية ومن الأفضل عدم زراعة نباتات متسلقة على السور حتى يظهر جماله والتصاميم التي به.. وفتح الكاتلوج وطلب مني أن أختار التصميم الذي أرغبه.

علمت منه أنه ليس مجرد مهندس بل شريك في الشركة.. أربع شبان قدموا من الخليج بعد رحلة عمل طويلة وقرروا العودة إلى مصر والعمل فيها وفي نفس تخصصهم.. بناء أسوار القصور والفيلات. فهمت منه أن العمل في مصر أكثر ربحاً من العمل لدى الغير في الخليج.. جملة واحدة منه كشفت رواج صناعتهم وتجارتهم الجديدة هنا في مصر. المهندس خريج كلية الفنون التطبيقية، إلا أنه يعلم تاريخ هذه الصنعة تماماً ومتى ظهرت في مصر ومن جاء بها إلى القاهرة والزبائن القدامى والزبائن الجدد. مشايخ وأمراء الخليج فقراء بالمقارنة بأمراء مصر الجدد. تحدث عن الأغنياء بلسان محترم، فهو يكسب عيشه منهم، بل أصبح واحداً منهم.. حصته في الشركة بقيمة ثلاثة مليون جنيه.

قام ليرفع مقاسات السور.. كتب في دفتر صغير معه كل البيانات والأرقام وعاد للجلوس ليتحدث في الأسعار.. هدم السور بالطريقة التي ذكرها تتكلف عشرين ألف جنيه

والسور المعدني سيتكلف مائة وستين ألفاً من الجنيهــات.. سعر لن أجده في أي مكان آخر. والمدة التــي يـستغرقها الهدم والبناء أربعة عشر يوماً منذ تاريخ توقيع العقد ودفع خمسين في المائة من الحساب بشيك مقبول الدفع أو نقداً.. هذا المبلغ لم أدفعه في الفيلا كاملة ولكن للضرورة أحكام.. هذا السور لابد من التخلص منه. أشعر وأنه يضغط علــى ضلوعي وصدري.. ترك بطاقة بها اسمه وأرقام تليفوناته ورقم الحساب في البنك واسم البنك ونهض.. لم يــنس أن يثني على البوابة الجميلة، إلا أنه علق عليها قائلاً أنها زهــر صب.. صناعة صينية.

- سيد سنترك المنزل عدة أيام.. إلى أن يتم بناء السور الجديد.

- نروح شرم الشيخ أو الغردقة يا باشا.

- أنت الباشا.. من يدفع حساب إقامتنا هناك.. ســنذهب إلى البلدة.. أقرب وأرخص.

نجيب بك وصل بصحبة عبده سليم الذي طأطأ رأســه خجلاً بسبب الشتائم التي سمعها مني في التليفون. نعم لقــد أصبح رئيساً للتحرير الأن إن ذلك كله بفضلي ويجــب ألا ينسى، فهو لا يتمتع بذكاء ولا على درجة حرفية عالية وأنا

اختارته بالفعل لأنه حمار وليظل يسبح بحمـدي. نجيـب غيره تمرمط فـي الـصحافة الحزبيـة قبـل أن يلتحـق بالمؤسسة، توسط له أخوه للعمل معنا وقبلتـه شـريطة أن يحكي لي كل أسرار الجريدة التي كان يعمل بها والعلاقات داخلها بين أفرادها. العلاقات السوية وغيـر الـسوية وأن يلتزم بتعليماتي وأن يطهر نفسه من الأيام التي قضاها في هذه الجريدة.. التطهر والوضوء عنـدي سـهل وسـريع وعملي ومفعوله أكيد يقطع كل الصلات القديمة. عليه كتابة مقال يهاجم فيه قيادات حزبه الـسابق ويلعـن أجـدادهم.. المقال هذا هو مسوغ تعيينه الوحيد.. يسلمه لي في اليـوم التالي وأنشره أنا في التوقيت المناسـب وأتبعـه بسلـسلة مقالات تهاجم هذا الحـزب ورجالـه إرضـاء للحكومـة ورجالها.

سلمني المقال ثاني يوم.. اكتشفت أنه يعلم الكثيـر مـن الأسرار.. نشرت مقاله وأصدرت قـراراً بتعيينـه علـى الفور.. بجانب العمل الصحفي سيكلف بمهام أخرى.. منها تنظيم المشاجرات والإشراف عليها داخل المؤتمرات التـي يعقدها هذا الحزب.. اصطياد المنشقين وتقديمهم لي الواحد

تلو الأخر.. لم يمانع .. كان على استعداد أن يفعل أي شيء.

- جريدة "عين الصقر" يا باشا.. جريدة مشبوهه والواد سيد فانلة كان يعمل معي في جريدتي السابقة.. الواد ده مباحث كان بيشغله العقيد مصطفى.. طبعاً سيادتك عارفه.

- هي دي المعلومات. وجهت حديثي إلى عبده سليم الذي يجلس مثل التلميذ البليد.. ينظر حوله في بلاهة.. فكرت أن أتصل تليفونياً بالعقيد مصطفى.. زمن.. زمن المهازل.. في أخر الزمن اتصل بعقيد. كنت من قبل لا أتحدث إلا مع وزيره.. ولكن وزيره مثل غيره لا يرد على مكالماتي.. طلبت رقم مصطفى.. العقيد مصطفى، فأنا احتفظ بتليفونات كل رجال مباحث الصحافة.

- مصطفى باشا.. إيه أخبارك.. أنا فاروق عوض.. أنتم إزاي سايبين عيل زي سيد فانلة يقطعني في جرناله.. مش سيد ده أنت كنت بتشغله في الجريدة الحزبية.. إياها.. قول له عيب يا مصطفى باشا.. أنت عارف أننا كلنا مباحث والمباحث التي تعرفه أحسن من المباحث اللي متعرفوش على راى عمنا كامل زهيرى نقيب النقباء.

حدثته أكثر من ساعة، لديهم قدرة غريبة على الاستماع والصبر وتمرير المعلومات بسهولة ويسر وكأنها زلة لسان أو دردشة.. حدثني عن تلميذي الخائب عبده سليم وشعرت أنه يعلم أنه جالس أمامي.. تحدث عن سوء إدارته للجريدة ومشاكله من الصحفيين وانخفاض التوزيع وجريه وراء النسوان وفلوس الإعلانات التي يحصلها من تحت الترابيزة. أثناء حديثه عن عبده سليم كنت أركز بصري على عبده وأيقنت أن عبده أو نجيب أو كلاهما قد أبلغاه بأنهما في الطريق لزيارتي. أما الحديث عن سيد فانلة وجريدته، فقد أوضح أنه لا يستطيع منعه أو التأثير عليه وأنه شخصياً وقيادات الداخلية لا يتدخلون من بعيد أو قريب في حرية الصحافة.. الصحافة حرة تقول كما تشاء.

الصحافة حرة.. "هذا زمانك يا مهازل فأمرحي".. ولد كتبها منذ سنوات، كان يعمل عندي في الجريدة.. فصلته. وشردته.. ليس بسبب المهازل ولكن بسبب غروره.. كان يظن نفسه كاتباً ولا يعلم أنني الكاتب الأوحد في الجريدة.. سألت عنه ذات مرة.. قالوا غائب.. تزوج من زميلته نجوى.. جن جنوني.. كيف يتزوج دون إذني.. والأهم كيف نشأت العلاقة بينهما ولم تصل إلي الآذان والعيون

التي زرعتها في صالة التحرير.. قررت فصله وأصدرت القرار.. آه.. تذكرت اسمه.. علي مرجان.

- تعرف يا نجيب أين علي مرجان الآن؟

- لماذا جاء على فكرك يا باشا.

- أنا عاوز أعمل جرنال ويصبح مدير تحريره علـــي مرجان.

- جرنال يا باشا.. ألف مبروك.. جرنالك هيكسر الدنيا.

- الدنيا متكسرة من غير جرايد.

- علي مرجان بعد فصله ذهب إلى الخليج.. ظل هناك أربعة عشرة عاماً.. ومن الخليج إلى لندن مكث هناك ست سنوات.. ثم جاء إلى مصر.. لديه مزرعـــة فـــي طريـــق مصر- اسكندرية، لم يعمل بالصحافة منذ عودته.. يصدر كتباً عن الأزمات.. أزمة الضمير.. أزمة الأخلاق.. أزمة الهوية.. أخر كتاب أصدره منذ شهور بعنـــوان "صـــناعة الأزمات".

- هي دي المعلومات ولا بلاش.

جوانا مثل النحلة.. تضع عصائر.. وترفع أكواب وعبده سليم ونجيب يشربان وكأنهما جاءا من صـــحراء قاحلـــة.. معلومات نجيب مؤكدة وموثقة.. لم أندم يوماً على تعيينـــه

في الجريدة، إلا أنني كنت اتعامل معه بذكاء وقسوة في الوقت ذاته.. فهو ذكي بالفعل، إلا أنه جبان ورعديد.. أرخي له الحبل أحيانا وأصادقه وفي أحيان أخرى أعلن عليه غضبي لأرعبه.. إلا أنه يتمتع بأخلاق الخدم والعبيد.. لا يثور ولا ينفعل.. الوقت مناسب بالفعل لأطبق نصائح نعيم مطر.. يجب أن أعاود الظهور في الأماكن العامة وأشارك في الجنازات وأقدم واجب العزاء في السرادقات.. يجب أن أتحدث وأهاجم من يهاجمونني وإن كنت أعرف أعداء اليوم والذين خرجوا من جحورهم، فإن هناك أعداء آخرين يتربصون.. يستعدون.. الهجوم على الأعداء الظاهرين يلقي الخوف في قلوب الآخرين أو على الأقل يجعلهم يفكرون مائة مرة قبل التعرض لي والهجوم عليَ.

- عاوز يا نجيب قعدة كبيرة تنظمها على المركب النيلى إياه.. تدعو باسمي عشرين شخصاً على الأقل.. ولتكن بعد الغد.. ليلة الخميس.. ارجو أن تختار من تدعوهم بعناية حتى لا تتسرب الأخبار ولا يتناقل ما دار في الجلسة خارجها. أخبرهم أن عشاء خمس نجوم في انتظارهم.

انتهى اللقاء مع عبده سليم ونجيب، لم أتعود أن أصافحهم.. ذهبا.. جاءت جوانا تخبرني أن المدام اتصلت

تليفونياً وستبيت ليلتها عند ابنتنا في ٦ أكتوبر.. ونصحتني بأخذ قسط من الراحة، فاليوم كـان صـعباً بالنـسبة لـي وغمزت بعينها وافصحت أنني في حاجة إلى مساج الليلـة وأنها ستنتظرني في حجرتها. تستخدم جوانا كلمة مـساج بدلاً من التعبيرات الفجة، خاصة وأنها متدينـة.. دخلـت معركة معي.. هددت فيها باللجوء إلى السفارة ما لم تمـنح يوم الأحد أجازة للذهاب إلى الكنيـسة.. وأخبرنـي سـيد السائق أكثر من مرة أنه شاهدها في مصر الجديـدة مـع ضابط الشرطة الذي يرأس الكمين فـي مـدخل التجمـع الخامس.

مساج ليس مثل كل مساج.. أزاح بعض الهم والكـرب. كانت جوانا في كامل لياقتها.. حاولت أن أدس لها ورقـة الخمسين دولاراً تحت الوسادة كما تعودت أن أفعـل كـل مرة.. رفضت وبشدة.. أول مرة ترفض.. أصـرت علـى أنها لن تأخذ مني أي مبلغ بعد الآن مقابل المساج على أن أرفع راتبها. حدثتني كثيراً عن فرص الإقامة في الفلبـين وفرص الاستثمار فيها وإذا كنت أعاني من مـشاكل فـي مصر، فإنها تستطيع أن تحصل لي على تأشيرة إقامة دائمة في الفلبين.. وأرحل إلى هناك وابتعد عن المشاكل إلى أن تهدأ الأمور.. لأول مرة تحتضني من الخلف أثناء مغادرة

حجرتها وتطبع قبلة على كتفي.. يبدو أن سوء حالي والقلق الذي يعتصرني شعرت جوانا به.. بلغة عربية مكسرة.. قالت لي ما لم تقله لي زوجتي هذه الليلة.. "تصبح على خير".

* * *

الدعوة عامة

أثق في قدرات نجيب التنظيمية، فهو تربى في حزب معارض. هذه الأحزاب لا تعارض ومن الظلم وصفها بالمعارضة ولكنها نجحت بطريقة أو أخرى في جذب هواة الشهرة وأصحاب العقليات التآمرية والباحثين عن لقمة أو منفعة تسقط من هنا أو هناك. نجيب يتمتع بكل ذلك باستثناء حب الشهرة، فهو يعمل في صمت وفي "خباثة" ويرضي بالقليل. أثناء رئاستي للمؤسسة، منحته أكثر من علاوة استثنائية نظير أعماله غير الصحفية، سينجح نجيب في جمع توليفة، تركت له اختيارها، إلا أنني سأحاول الاستفادة قدر الاستطاعة بنصائح الواطيي نعيم مطر مطر الذي تركني وسط الأمواج وهرب إلى أمريكا.

اليوم سأعاود الظهور مجدداً في الأماكن العامة، يجب أن أكون في أفضل حالاتي وأعلى لياقتي الذهنية والعصبية بحيث من يراني لا يصدق ما قيل عني خلال الشهور الماضية. ليلة أمس التي قضيتها مع جوانا كان لها فعل السحر. نمت نوماً هادئاً واستيقظت مبكراً ونزلت إلى الحديقة قبل موعدي. سيد السائق وجوانا أول من

صافحتهما عيناي.. الجميل في جوانا أنها صباحاً مديرة منزل أو خادمة.. لا دلال ولا ميوعة.. أنا السيد وهي الخادمة.. لو كانت جوانا مصرية لخلطت الأمور ببعضها.. جاءت بالإفطار والعصائر كعادتها.. وضع سيد الجرائد الصباحية.. طلبت من جوانا أن تصعد إلى حجرة نومي لتأتي بمجموعة الفيتامينات التي على الكومدينو المجاور للسرير.. لم أتناول هذه الأقراص منذ خروجي من الخدمة، إلا أنني اليوم في أشد الحاجة إليها لتدفع بالدماء الحارة مجدداً إلى وجهي ولأبدو أكثر يقظة.

جوانا بالفعل أجمل هدية قدمها لي محيي ربيعى الذي كان صديقي. عندما أدخل حجرتها ليلاً.. أتذكر محيي ربيعى ووساخته والسكرتيرة الحرامية التي قدمها لي، وعندما أخرج من حجرتها أغفر له كل ذلك. هذه الأقراص قدمها لي أول مرة محيي ربيعى.. أدوية تأتيه خصيصاً من أمريكا.. هذا للنشاط الذهني وذلك لحيوية البدن. بعد أن رفعت جوانا الأكواب وبقايا الطعام، تناولت قرصاً من الفاليوم.. دواء عجيب عرفني عليه محيي ربيعى، يزيل التوتر ويجعلك في حالة استرخاء تام.. لا ترمش عيناك ولا تنفعل مهما كانت درجة الإساءة الموجهة إليك. قرص في

الصبح وقرص أخر قبل ذهابي إلى موعدنا على كورنيش النيل.

– لدينا يوم طويل يا سيد.

– تحت أمرك يا فندم.

– سنتناول الغداء سوياً.. أنا وأنت وجوانا .. سنقوم بطهيه معاً.

– ماشي يا باشا.

الله.. جرائد صباح اليوم على نفس منوال الأمس. الواد سيد فانلة يفتح مزيداً من الملفات، سأغلقها على رقبته ورقبة الذين يستخدمونه.. ظهوري اليوم سيكون صدمة لهم.. ضربه لهم.. ولابد من الحديث في الكثير من الأمور وإرسال الرسائل يميناً ويساراً وإلى أعلى.. أعلى وإلى أسفل سافلين.. هذه هي الطريقة الوحيدة التي تجعل أمثال هؤلاء يعاودون الاختباء. يجب أن تصل الرسائل إلى خصومي داخل المؤسسة وخارجها.. إلى رئيس المؤسسة الحالي الذي بدأ يكتب عن مشاكل الصحف والديون ويغمز ويلمز بأن القروض والديون لم تستغل في مواضعها وأن هناك من لهف هذه القروض ويجب أن تستعيد الدولة هيبتها بإجبار رؤساء مجالس الإدارات السابقين على إعادة دفع ما نهبوه.

رئيس التحرير الذي يكتب ضدي وابتدع عموداً باسم وهمي، لابد أن تصله رسائلي الليلة وأنني أضع لساني في فمي احتراماً للعيش والملح ومن لا يحترم العيش والملح عليه تحمل العواقب. لدى الكثير من الأسلحة وأمواس الحلاقة الحادة التي تجعل دماءه تسيل من كل مكان. العيال الذين بدأوا مهاجمتي داخل المؤسسة، يجب أن يتصدى رجالي لهم حتى لو وصل الأمر إلى استخدام البلطجة. الفوضى ستكشف أن رئيس مجلس الإدارة الجديد لا يستطيع أحكام سيطرته على المؤسسة.

اليوم أسعد يوم في حياتي.. نفس نشوة اليوم الذي صدر فيه قرار تعييني رئيساً للمؤسسة. اليوم سأهدم السور الذي أشعر أنه قيد حركتي وأغلق أمامي منافذ الرؤية والتفكير.. هذا الجدار الخرساني القبيح سيحل محله سوراً حديدياً أجمل، يحمي الفيلا ولا يقيد حركة سكانها.. يتيح لهم ولي.. أنا الأهم.. فرصة للتأمل ورصد كل مهاجم غشيم.. السور الذي قبض على ضلوعي شهوراً، سأتخلص منه اليوم وسأخرج إلى الدنيا.. الدنيا التي لا تؤخذ إلا غلاباً.. بعد الغداء.. سأصعد إلى حجرتي، أنام ساعة ثم أنزل بصحبة سيد إلى المقهى لأرى أصدقائي الواطيين.. علمت من مصادري أنهم قاموا بتغيير موعد اجتماعهم الأسبوعي من

يوم الثلاثاء إلى الخميس.. غيروا الموعد بعد خروجي من السلطة ولم يحاول أي واطيين منهم أن يخبرني بالموعد الجديد. سأهبط عليهم وأجلس معهم متماسكاً ليعلموا جميعاً أن فاروق عوض الذي كان يتقرب إليه كبار المسئولين ويخشونه ويحاولون تأليبه على بعض خصومهم، ما زال يتمتع بالقوة والقدرة.

– غداء اليوم جوانا. استيك ومكرونة وسلاطة خضراء.. ست قطع استيك محترمة تي بون ستيك.. سنتناول غداءنا معاً وسنساعدك في إعداد الطعام.. استيك مشوي مغموساً في النبيذ الأحمر.

ضحكت جوانا وكأنها لم تضحك من قبل.. صعدت إلى حجرتي.. غيرت ملابسي.. بدلة رياضية وحذاء كوتشي، طلبت من سيد ألا يرد على أي تليفون.. وأن يترك تليفوني المحمول على منضدة الحديقة وأن يستعد للدخول إلى المطبخ لمساعدة جوانا ولنطبخ سوياً لأول مرة طعامنا. المطبخ لا يقل فخامة عن أي مطبخ في أعلى فندق.. مساحته تقريباً أربعين متراً مربعاً. أعرف كل مساحات منزلي.. مجهز على أحدث وأعلى مستوى. ثلاجة ضخمة.. ثلاثة أبواب.. لا بابين.. ديب فريزر رأسي كبير

الحجم يزيد عن الثلاثين قدماً.. جريل.. اثنان من الجريلات.. الشواية الأفقية كبيرة والأخرى متوسطة الحجم.. اثنان بتوجاز ثمان شعل.. ميكروويف. جميع مكونات المطبخ صناعة أمريكية.

هذا المطبخ جاء مع المطبخ الذي اشتريناه للمؤسسة. مديري المالي والإداري السابق نعيم مطر مطر نصحني بأن اشتري مطبخين.. فهي فرصة.. مطبخ للمؤسسة ومطبخ لي.. الفواتير جاءت إلى المؤسسة وقام بتسديدها.. ستمائة وعشرين ألف جنيها.. الفاتورة تقول أنه مطبخ واحد. الذي تسلم المطبخ ووقع على أذونات الاستلام هو سيد سائقي. أول مرة أدخل المطبخ هذا.. نظيف يبرق.. الأرضية والحوائط والأرفف.. نظيف مثل الأجزاخانات.. الشفاط القوي الكبير يمنعك من أن تشم رائحة طعام أو غيره.. على الأرفف مجموعة ضخمة من التوابل.. أمسك العبوات.. أقرأ ما عليها.. هذا لتتبيل اللحوم وذاك لتتبيل الأسماك، كلها منتجات أمريكية. الله يرحمك يا أمي.. لم تعرف إلا الفرن وحجرة الفرن.. لا شويات ولا ثلاجات.. الفرن البلدي لكل شيء كانت تحميه شوايات بالجلة .. روث البهائم المجفف وكنا ننام جميعاً على الفرن شتاء.. نشم رائحة الخبيز وأكواز الذرة و البطاطا.

تعمل جوانا بهمة ونشاط.. أخرجت من الفريزر ست قطع ستيك ضخمة مجمدة.. فتحت الميكروويف. وضعتهم ثوان.. أخرجتهم.. ذاب الثلج.. وضعتهم على ما يشبه الأورمة، قطعة خشب ضخمة واخذت تدق على كل واحدة منهم بشاكوش خشبي. جوانا سيدة المطبخ.. تطلب من سيد. أن يناولها بعض عبوات التوابل.. كنت أظن أن هذه التوابل يتم رشها على اللحم.. ولكنها وضعت خليط من التوابل في إناء ضخم وأسقطت فيه اللحم وطلبت منا الخروج من المطبخ والانتظار في الحديقة إلى أن يتم استدعائننا. سعيدة بوجودنا معها ولكنها تتصرف باحترام شديد. لو كانت مصرية لأحتكت بسيد أو بي أو غمزت بعينها أو تقصعت بأردافها.

أكثر من جرس تليفون.. التليفون الأرضي وتليفوني المحمول.. أمرت سيد بعدم الاستجابة للرنين وأنظر من حين لأخر في شاشة تليفوني المحمول لأقرأ اسم طالب الرقم.. أكثر من ثلاثة مكالمات لم أرد عليها. رقم واحد.. رقم المسئول الواطي الذي يتهرب مني منذ خروجي.. حاولت الاتصال به أكثر من مرة.. كان يتحدث باقتضاب وعجرفة.. طلبت منه أن يحصل لي على إذن للسفر لإجراء فحوصات طبية في فرنسا، كان رده أنه لا يستطيع

أن يطلب لي مثل هذا الإذن وإذا طلبه قد ترفض الاستجابة له.. اتصلت به ذات مرة عندما اشتد الضيق بـــي، أطلـــب الإذن لأداء العمرة، لعل وعسى تفرج هذه الزيارة كربى.. سخر الواطي مني.. نصحني بأن أخطــف رجلــى وأزور السيدة نفيسة. العقيد مصطفى اتصل هو الآخر أكثــر مــن مرة ، إلا أنني قررت عدم الرد عليهم.. عدم الرد علـــيهم الآن.. ستصلهم ردودي بعد جلسة المركب أو أثناء الجلسة وقد يفتح أحد الجالسين تليفونه المحمول لينقــل لهمــا مــا يدور.. وربما يفعل ذلك أكثر من واحــد.. أنـــا لـــن أرد عليهما. لن أتلقي من الآن تعليمات من أحد. العقيد مصطفى رفض حمايتي من واطيين مثل سيد فانلـــة، تحجـــج بـــأن الصحافة حرة.. حرة إيه يا عمنا.. نحـــن نعـــرف البئـــر وغطاها. ربما يحاولان إرهاب صاحب المركب وتهديـــده بعدم عقد اللقاء على ظهر مركبه.. هذا أكبر ما يستطيعان فعله، أما أنا فلن يستطع أي منهما إيذائي أو الاقتراب مني. قصة الصحفي الذي اختفى لم تغلق بعد وهـــم يعلمـــون أن التخلي عني في الداخل، سيدفع شركائي في الخارج إلـــى توفير كل الحماية والدعم لي. هم يعلمون ولا يخفي عليهم.. أنني وأولادي شركاء لأمراء عرب.. بل ملـــوك عـــرب.. لديهم الكثير من الاستثمارات هنا.

طلبتنا جوانا.. دخلنا المطبخ.. طلبت مني إعداد وعاء كبير لسلق المكرونة وطلبت من سيد أن يغسل الطماطم ويضعها في خلاط كهربائي ضخم.

- نصف ساعة أخرى والطعام يجهز.

ألقت إلينا جوانا بأوامرها للخروج مرة أخرى من المطبخ.. سنتناول الغداء في الحديقة. أشعر أن شهيتي اليوم مختلفة تماماً وأنني استطيع أن ألتهم وحدي قطع الاستيك الستة بالتي بون. التي بون هي قطعة عظم في الاستيك على شكل حرف تي باللغة الانجليزية.. هذا الاستيك يؤخذ من السلسلة الفقرية للأبقار. رائحة الشواء المخلوطة بالتوابل والنبيذ تنعش الجوعى والشبعانين.. وضعت جوانا الطعام ودخلت مرة أخرى إلى الداخل.. جاءت بزجاجات مياة معدنية ومياه غازية واستبدلت ملابس العمل وارتديت تاييراً.. لأول مرة ألاحظ أن جوانا أنيقة.. جذابة.. أحمر الشفاة يضيف على شفتيها جمالاً مشوباً بالرغبة والجاذبية معاً.

أفكر في اصطحاب جوانا معي الليلة إلى مقهي الأحبة والأصدقاء وإلى المركب.. فرصة اتجول بها بعض الشيء لتنزع عني بعض الخوف. سأخرج اليوم لأول مرة منذ ما يزيد عن خمسة أو ستة شهور. ستة شهور وثلاثة أيام

بالتحديد منذ خروجي من الخدمة. خرجت فيهم مرة واحدة وعدت إلى المنزل مذعوراً خائفاً، لا أعلم ماذا أصابني في ذلك اليوم. خرجت بصحبة سيد السائق. تجول بـــي فـــي السيارة في شوارع وميادين مصر الجديدة.. قررت دخول مول تجاري من المولات الحديثة التي شهدتها مصر فـــي الفترة الأخيرة. عندما طلب سيد بأدب شديد أن ينتظرني في السيارة، نهرته وأخبرته بأنه سيسير معي. سيتجول معـــي في المحلات، ربما يجد شيئاً يــشتريه لنفــسه أو أســـرته وسأدفع أنا له ثمنه. عندما دخلنا المول، تعرف عليَ بعض رواده وبعض الباعه وأصحاب المحلات. كانت نظـــراتهم إليَ نظرات نارية فيها تشفي. كلما اقترب منـــي شـــخص ظننت أن بيده سكين سيطعنني بها. مسكت بيد سيد. شجعته أن يختار شيئاً لاشتريه له أو اسرته أو زوجته على وجـــه السرعة لأغادر المكان.. أدخلني إلى محل حلواني.. طلب دستة جاتوه وبسبوسة للأولاد.. دفعت الحساب وهرعـــت.. سبقته إلى السيارة خارج المول.

شعر بي سيد، أقترح أن نجلس في مقهـــى الامفتريـــون بميدان روكسي.. خشيت أن أخبره بخوفي.. عيب مـــصر هي كيفية تشيع المسئولين. يتم تـــشييعهم بكوكتيـــل مـــن الفضائح والفظائع ويحسب من قضى عليهم، أنه أضاف إلى

نفسه رصيداً شعبياً عندما تخلص منهم. الشعب يعلم ما لا يعلمه الكبار، سيد السائق هذا يدرك ما لا يدركه رئيس الوزراء. جلسنا في الامفتريون.. نظرات الناس تثقب عيوني وتنهش صدري.. تناولت فنجاناً من القهوة وتركت الحساب على الطاولة وأسرعت إلى السيارة.. هذه الليلة سأصطحب معي جوانا، وجودها جانبي سيمدني ببعض القوة.

- سيد.. استعد.. الساعة الخامسة سنذهب إلى المقهى وبعدها سنذهب إلى المركب اللى على الكورنيش.

- ماشي يا ريس.

- جوانا.. عاوزك تبقي شيك.. ستخرجي معي الليلة.. الساعة خامسة.

قفزت جوانا لتجري إلى حجرتها وكأنها طفلة صغيرة وعدها والدها بالذهاب إلى الملاهي، أشارت لي ولسيد بيدها.. الإشارة غير مفهومة.. هل تقول وداعاً أو تقول أنها ستصبح جاهزة بعد قليل. دخلت المنزل وصعدت إلى حجرتي ونمت ما يزيد عن ساعة. ساعة القيلولة التي فرضت نفسها عليَ منذ خروجي من الخدمة. مثل الأشياء القهرية الأخرى التي وجدت نفسها أنفذها دون تفكير.

في مصر سويعات قليلة تستطيع فيها التحول في شوارعها بسهولة ويسر.. أفضل هذه الأوقات صيفاً وشتاء هي ما بين صلاة المغرب والعشاء. جوانا عروسة.. دخلت السيارة لتجلس بجوار سيد لتترك لي المقعد الخلفي كله. طلبت منها أن تنزل لتجلس بجواري أنا.. أنطلق سيد.. هذا التوقيت في التجمع الخامس.. لا ترى فيه سيارة تسير أو بشر.. أحيانا تقابل بعض العمال، خاصة عمال البناء الذين أنهوا أشغالهم في الفيلل والقصور التي مازالت تحت الإنشاء بالمنطقة.

سيد تحول إلى سائق تاكسي وكأنني زبون بجواري امرأة علقتها من الشارع، يختلس النظرات من وقت لأخر لينظر إلى المرآه. ضبط المرآه أكثر مرة مرة ليشاهدني وليشاهد جوانا جيداً، أو لينظر إلى ساقيها وركبتيها التي تكشفهم الجونلة القصيرة التي ترتديها. قصر قامتها ساعدها أن تضع ساقاً على ساق في السيارة وسيد يلمس المرآه بأطراف أصابعه من وقت لآخر. السيارة مرسيدس.. كل شيء فيها ثابت، مرآتها ليست مثل مرايا السيارات الفيات التي تهتز وتتحرك مع المطبات أو غيرها، إلا أنها حالة استبدت بسيد.. أكتشفت أنا من نظراته المنعكسة في المرآه أنه فيما يبدو يهيم شوقاً بجوانا أو يدفعه الهيجان الفلاحي

على جسدها الأجنبي الضعيف الذي يظنه رخيصاً وفي متناول أيدي الجميع.

شغلت نظرات سيد جزءاً من تفكيري إلا أن رأسي كلها تدور حول شكل اللقاء غير المتوقع في المقهى وكيف يكون حال الأصدقاء عندما يرونني فجأة وسطهم وماذا سيكون لقاء المركب والتشكيلة التي سيجمعها نجيب.. قرص الفاليوم الآخر الذي تناولته قبل نزولي بدأ تأثيره في السريان.. هدوء أكثر.. توتر أقل.. لا اهتزاز في الرموش ولا في الأيدي وجوانا بجواري، ملتفته نصف التفافه إلىَ.. لا تتحدث، مثل طفلة صغيرة تغرق في التفكير وتتوقع المزيد من المفاجآت. الأسيويون لا يظهر عليهم آثار العمر مثلاً.. من يرى جوانا لا يصدق انها ستحتفل بعيد ميلادها الأربعين قريباً.

دخلنا مصر الجديدة.. تذكرت اليوم المرعب الذي قضيته مع سيد. طردت مثل هذا التفكير من رأسي.. دلف سيد إلى الطريق الرئيسي المؤدي للمقهى.. لف ودار ووجد مكاناً للسيارة. نزلت ونزلت جوانا وجدت يدها في يدي.. لم أمانع.. دخلنا المقهى.. إلى الحجرة التي خصصها صاحب المقهى لجلساتنا. الأصدقاء موجودون.. كلهم برابطة المعلم كما يقولون. تملكتهم الدهشة.. أنا في

وسطهم.. وقفوا.. كل منهم ينتظر زميلـه فـي أن يكـون البادئ في احتضاني أو السلام عليَ.. ينظرون إلى بعضهم البعض. أزحت تلبك الموقف. عاتبتهم على تغيير موعـد الجلسة دون إخباري. مد كل منهم يده بالسلام، هناك مـن جاء على نفسه وتقدم لاحتضاني بطريقة حميمية مبالغ فيها. كل منهم صافح جوانا باليد. مدت يدها ببرود إلى محيـي ربيعى وكأنها لا تعرفه رغم عملها معه عـدة سـنوات.. سلوك محترفات. جلسنا.. نظرت إلى كل مـنهم سـريعاً، أخبرتهم بعزمي على تأسيس شركة رأسمالها خمسة مليون جنيه وأنني سأقوم بإصدار صحيفة يومية. رن التليفون في جيبي، أخرجته، نفس رقم الصباح.. لم أرد عليه.. عاتبتهم على عدم الاتصال بي خلال الفترة الماضية. أتهمني أحدهم كذباً بأنني لا أرد على المكالمات وها هي مكالمة جـاءتني في اللحظة والتو لم أرد عليها.. نظروا لبعـضهم الـبعض مرة أخرى ونظر محيي ربيعى إلـى سـاعته.. نهـضت ووقفت جوانا.

- يبدو أن الوقت لا يسعفني للجلوس معكم اليوم.

ورمقت كل منهم بنظرة سريعة.. لم أنطق.. أرغب في سبهم جميعاً.. شوية واطيينن.. المجموعـة لـيس بيـنهم المستشار خليل.

- أين المستشارخليل؟

لحظات صمت.. كل منهم ينتظر الآخر أن يـــرد علـــى سؤالي .. خليل في السجن محجوز على ذمة قضية.. مـــن الرقابة الإدارية إلى النيابة العامة التي قررت حبسه أربعة أيام.. خليل.. قاضي ســـابق ومـــسجون حاليـــاً. ابتـــسامة القوادين تخرج من بين أسنان محيي ربيعى، بلعها بجملـــة تافه.

- الحكومة لا تتستر على فساد.

لن أضيع وقتي معهم.. فأمامي حفلة.. معركـــة علـــى المركب ، يجب أن أحتفظ بهدوئي ورصانتي. من مـــصر الجديدة.. إلى وسط البلد.. إلى الكورنيش. أنظر من زجاج السيارة.. خليل في السجن وأنا خارج الخدمة.. ولم يتغيـــر شيئاً في مصر.

اليوم.. يوم فاصل وغداً يوم جديد.. غداً سأزيل ســـور الفيلا الخرساني واليوم بعد جلسة المركب قد تتغير أشـــياء كثيرة.. لن أحسبها ولن أفكر فيها.. أما أســـتعيد كرامتـــي وأعود كما كنت فاروق عوض وتتغير معاملة المسئولين.. كبار المسئولين ويتركـــونني بـــلا حـــصار أو أســـوار أو

يحملونني إلى ما وراء الأسوار لأقابل خليل باشا.. باشا سابق غضبت عليه الحكومة. أرسلته إلى نزهة إجبارية قد تطول سنوات. جوانا أحتكت بي عمداً أو سهواً.. نظرت إليها.. خبطت على كتفي برفق وكأنها تحاول أن تخرجني من أفكاري السوداوية وسيد ينظر إلينا في المرآه بطرف عينه.

وصلنا إلى مرسى المركب قبل الموعد بما يقرب من عشرين دقيقة. وجد سيد مكاناً للسيارة طلبت منه ومن جوانا انتظاري في السيارة. سأتمشى هذه الدقائق على الكورنيش.. أنظر إلى ماء النيل لعل وعسى يزيل الأتربة والغبار العالق على قلبي. أحاول أن أتنفس بعمق.. أنظم أفكاري وأفكر لحظات في كيفية إدارة الحوار والسيطرة على اللقاء.. أرغب في أن يخرج المجتمعون بفكرة واحدة.. فكرة واحدة لا غير.. وهي أن فاروق عوض غير قابل لكسر.. فاروق عوض من عجينة أخرى غير البشر. فاروق عوض قادر أن يرد الضربة ضربتين وأن لم يكن قادراً الآن على القتل والتصفية بمعناهما المعنوي، فإنه قادر على الإيلام.. لديه من الأساليب والأدوات ما يوجع خصومة الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم.. فاروق عوض

سيولد بعد هذه الجلسة من جديد. يجب أن يعرف "الواطيين" إن فاروق عوض ليس ورقة كلينكس، بصق السفلة فيها والقوا بها فى عرض الطريق.

أخرجت من جيب الجاكت الداخلي العلوي زجاجة كورفوازيه. زجاجة مشط مبططه.. أغلي أنواع الويسكي في العالم.. لا يشربه إلا أمير موناكو وملوك الملوك. ملأت فمي بشفطة واحكمت الغطاء ووضعتها في جيبي وعدت إلى سيد وجوانا.. جوانا ستصعد معي إلى المركب ويبقى سيد في السيارة، حتى لا يقول الواطيين كما يشيعون أن فاروق عوض لا يجد من يجالسه أو يؤانسه، سوى سائقه الذي بدأ يشرب معه كل ليلة.. بعد أن انصرف عنه المستفيدون وأصحاب الحاجات وخاطفو الهدايا والهبات، والمنافقون والمتسلقون وأدعياء المحبة والصداقة.

لأول مرة أدخل المركب دون حراسة.. دون مجموعة تسير أمامي تفسح الطريق للباشا وأخرى خلفي. أدخل وحدي بجانبي جوانا.. لم تعلق بذراعي أو تمسك بيدي.. بمجرد الدخول إلى الديك- السطح- وقف الجميع وهلل نجيب بقدومي ورحب بالباشا وأعاد تنظيم الجلسة.. منضدة كبيرة.. عليها زجاجات مياه معدنية وزجاجات مياه غازية وسلات فيها بعض أنواع من الخبز.. الجلسة الليلة

بالعشاء.. نجيب هو الذي استقبلني.. لم يخرج مدير المركب الواطي لاستقبالي كما كان يفعل من قبل.

وجوه أعرفها وأخرى لم أتشرف بمعرفتها من قبل. بعضهم من مؤسستي وصحفيين من مؤسسات أخرى، شباب وكبار ما يزيد عن عشرين شخصاً بينهم امرأة. مذيعة كانت لامعة وانطفأت بعد طلاقها من المسئول الحالي الكبير.. أجلسني نجيب في صدر المنضدة، جوانا على يميني والمذيعة على يساري.. لماذا دعا نجيب هذه المذيعة بالذات.. ربما يكون لديه أسبابه.. جلسنا جميعاً.. نجيب حول المركب إلى سفينة نوح.. أخذت اتفحص الوجوه.. جاء من كل زوجين اثنين.. المذعور والجبان والطماع والجشع والمتسلق.. الجلسة بأفرادها مثل طبق الطرشي البلدي.. سلطانية الطرشي البلدي.. لفت وخيار وليمون وعودين جرير.. لم يحضر من رؤساء التحرير الذين رشحتهم قبل مغادرتي سوى عبده سليم.. هذا الغبي الذي لا يعرف أحداً ولا أحد يعرفه.. جلس في نهاية المنضدة مذعوراً من أن يلتقط أحد صورته ويسلمها إلى رئيس مجلس الإدارة الجديد، ويتهمه بالتآمر ضده والتعاون معي.

نجيب هذا عفريت.. طوال عمري أثق في قدراته. ما من مهمة من قبل كلفته بها وفشل. الإشراف على مجموعة

من البلطجية لإفساد مؤتمر.. كان ينجح.. قيادة المحــررين الصغار إلى نقابة الصحفيين في الانتخابات وتسليمهم قوائم الأسماء المطلوب انتخابها.. كان يفعل.. الإشــراف علــى تنظيم الجنازات وحشد المعزين لسرداقات العــزاء كانــت مهمته المحببة يؤديها باتقان ويتظاهر بالحزن الــشديد.. لا أنسى يوم وفاة أمي.. قاد أوركسترا البكاء والنحيــب فــي المقابر عندما وارى جسدها الطاهر الثرى. رقيته بعدها إلى نائب رئيس تحرير ومنحته علاوة استثنائية قدرها مــائتي جنيه. واد بالفعل عفريت والأدهى أنه سفنجة.. قادر علــى امتصاص كل الإهانات والزجر.. عجينة تربت في صحف المعارضة واكتشف فيما بعد أن نار الــصحف الحكوميــة أكثر برداً وسلاماً من جنة الأحزاب تلك، مال نجيب علــى أذني ليهمس بأنه جاء بعلي مرجان كما طلبت.. سألته عن موقعه على المنضدة، أشار إليه.. طلبت منــه أن يجلــسه بالقرب مني.

حرك نجيب شخصاً من مقعده ليــأتي بعلــي مرجــان بالقرب مني.. ملامحه تغيرت.. مد يده بالسلام عليَ وشــد علي يدي.. رجل في الخمسينيات من عمره.. كنت فصلته وهو في نهاية العشرينيات. يرتدي بدلة فخمة غالية.. أثار النعمة بادية عليه. عاد إلى مكانه وجلس.. وقــف نجيــب

ليعلن أن الأستاذ فاروق عوض جمـــع هـــذا الحـــشد مـــن اصدقائه وتلاميذه ليجلس معهم بعض الوقــت ويتنـــاولون سوياً العشاء ويعلن عن تأسيس جريدته المستقلة التي تعتبر فتحاً جديداً، ليس في الصحافة المصرية ولكن في الصحافة العربية بأسرها. كما سيفتح الأستاذ فاروق عــوض قلبـــه وصدره لكل الأسئلة التي توجه إليــه فـــي ظـــل الحملـــة الضارية التي يشنها أعداء النجاح ضد رموز الوطن. هلل الجميع واشتعلت الأيادي بالتصفيق.. ووقف واحد من بين الحضور يهتف بأسمى ونزاهتـــي وعبقريتـــي الـــصحفية ويسخر من الذين يحاولون إطفاء نور الله بأفواههم.

تذكرت هذا الولد.. كان ضيفاً دائماً في موائـــد شـــهر رمضان التي تنظمها شركات المؤسسة المختلفة، وقف ذات مرة.. ألقى بخطبه عصماء حصل بعدها على ترقية. جـــاء في خطبته بقصة كنت أول مرة أسمعها حين قال "إن مائة نعامة يقودهم أسد أفضل من مائة أســـد تقـــودهم نعامـــة.. وأنت. أنت يا فاروق باشا أسد ونحن نعام".. ابتسمت عندما وقف وصفقت له وقلت في نفسي حينـــذاك أن مـــن يـــرى خرافاً ولا يسوقهم يصبح خروفاً مثلهم!

لم أتعود على قراءة الخطب من أوراق أحملها، بل دائماً ما أرتجل ما يناسب الجلسات.. تحدثت عن الجريدة الجديدة.. رن جرس تليفوني.. نظرت إلى الرقم.. نفس أرقام الصباح.. أغلقت التليفون.. قلت أنني أخترت للجريدة اسماً وهي "زمني" لم استطع أن انسى جملة علي مرجان" زمن المهازل" والتي عرفت فيما بعد أنها استعارها من قصيدة شاعر عربي. قلت أن الاسم قابل للتطوير أو التغيير وسأستمع لكل الآراء .. بدأ نجيب يدير الجلسة ويعطي الكلمة لمن يرفع يده. أول شخص اعترض على اسم "زمني" ساخراً من رئيس مجلس إدارة مؤسسة أخرى أصدر عدة جرائد بأسماء "ملعبي" "ومسرحي" و"أمانتي" و"بلوتي" ومن الأفضل أن يكون الاسم "الزمن" فقط. خاصة وأن التايمز اللندنية وغيرها من الجرائد التي تحمل اسم التايمز تعني الزمن أو الأزمنة. أعجبت بالفكرة وتذكرت أغنية أم كلثوم التي تقول فيها "الزمن هو اللي هيخلصلي تاري" ووافق الحضور جميعاً على العنوان وصفق المنافقون.

أنا لم أحضر إلى هنا من أجل اختيار عنوان صحيفة في زمن لم تعد الصحف صاحبة التأثير الأقوى ولكنني جئت لأوجه رسائل إلى الذين يهاجمونني.. اى الذين قاطعونني..

سأتحدث معكم بصراحة عن الشهور الماضية.. لـم تكـن عصيبة كما يظن البعض.. كانت فترة للتأمـل والفـرز.. قرص الفاليوم المهدئ مفعوله ساحر.. عرفـت الأصـدقاء وعرفت الأعداء، أما الاتهامات التي تثار علـى الـصحف الصفراء، فأنت تعلمون من ورائها.. يقولون أنني انفقـت ملايين الجنيهات على هدايا رأس السنة وغيرها.. ولم يسأل أحد نفسه لمن كانـت تـذهب هـذه الهـدايا.. سـيارات ومجوهرات.. أضرب يا فاروق في العظم.. يتحدثون عن علاقاتي النسائية المتعددة.. يجلس بيننا سيدتان فاضـلتان.. إلا أن هذا لا يمنع الحديث في هذا المجال.. أنـا رئـيس مجلس إدارة صحيفة ولست شيخاً للأزهر.. وكل المسئولين لهم نزواتهم ولا أظن ولا أحد منكم يظن أن رجلاً في مثل سني يفعل أو يستطيع أن يفعل ما تقوله هـذه الـصحف. يقولون أنني سرقت ونهبت وتربحت وتاجرت واسـتفدت.. اشتريت أراضي بملاليم وبعتها بملايين.. أعطيت قروضا حسنة بالملايين للبعض.. نعـم.. لقـد أفـادوا المؤسـسة واستفادوا.. أنها حقبة استفاد كل من ساقته الأقدار.

وجدت نفسي أضرب بيدي على الطاولـة.. انزعجـت جوانا.. لست الوحيد الذي تـربح ولـست الوحيـد الـذي استفاد.. أنا قدمت رشاوي بالملايين من أجـل المؤسـسة

وتسيير مصالحها وأنا شخصياً لم أتلق رشاوي ومن الممكن أن أكشف لكم قائمة بأسماء الكبار وأسماء زوجاتهم وحصر بمتلكاتهم.. داخل مصر وخارجها.. ويصرخ نجيب ويردد بعده آخرون.. اكشف يا ريس.. اكشف.. يا ريس.. يا ولاد الإيه.. نفس السلالة التي كانت تهتف للرئيس عبد الناصر بالروح.. بالدم.. نفديك.. يا جمال وهم الذين هتفوا للرئيس السادات بعد أن ألقى القبض على رجال عبد الناصر، قائلين "افرم.. افرم يا سادات" لا يهمني هذا كله.. الرسائل ستصل، إن لم تكن وصلت وإن لم يكن أحد من الجالسين معنا قد فتح هاتفه المحمول لينقل لطرف أخر ما يدور فوق المركب.

وضع الجرسونات الطعام.. لم أضع لقمة في فمي، استيك جوانا ما زال مثل الحجر في معدتي.. أنظر إلى الكوكبة التي اختارها نجيب بدقة لخدمة أهداف متباينة.. أنظر إليهم وهم يأكلون.. مجموعة من "المفاجيع"، كل منهم يأكل ونظرات عيونه تتغمس في طبق جاره.. أنهم لا يأكلون.. لا يتذوقون.. أنهم يردمون.. يردموا ترعة أو بئر ساقية خربانة.. يشغلني السبب الذي من أجله وجه نجيب الدعوة إلى هذه المذيعة.. وهل يعلم أن طليقها هو المسئول الكبير الذي يتهرب مني الآن والذي يرفض مقابلتي أو الرد

على مكالماتي الهاتفية أو حتى الأذن لي بالسفر لأداء عمرة أو إجراء فحص طبي.. هل يعلم نجيب هذه الحقائـــق أو أنها ضربة حظ منه.. هل يعمل نجيب لدى أحد غيـري.. ربما.. سأسأله بعـد انتهاء الجلسة.

أحس بنشوة لم أشعرها من قبل.. أكيد الرسائل وصلت وستصل تباعاً.. دخلت الحمام، شربت ما تبقى من الزجاجة التي معي وعدت لجلستي مرة أخرى. جاء موعد الحلوى.. رفعت أطباق وجاءت أطباق أخرى والناس تأكل في أخـر "زادها".. ملت على المذيعة.. سألتها عن أحوال الباشـا.. فمصمصت شفتيها وقالت.. طلقته.. الحياة معــه كئيبـة.. تنفع.. إذا قررت فتح النار عليه بشكل مباشر عندما أصدر جريدتي الجديدة.. تبادلت معها أرقام التليفونات وبدأ الجمع ينصرف فرادى وجماعات.. أشــرت إلـى نجيـب جـاء جانبي.. ذهبت المذيعة.. جلس مكانهـا.. وأشـار لعلـي مرجان.. لم يبق إلا أنا وجوانا ونجيب وعلـي مرجـان.. أمرت نجيب أن ينزل ليحضر سيد السائق.. من الممكن أن أطلبه في التليفون.. وكنت أنتظر أن يفعل نجيب ذلك.. إلا أنه نزل على الفور.

- عايزك يا علي تشتغل معايا في الجرنال الجديد.

- كنت اتمنى ولكنني بطلت شغل الصحافة.

- أما بتعمل أيه دلوقتي؟

- عندي دار نشر ومزرعة.. أنشر كتبي وكتب الغير.

- فكر في العمل معي بالجريدة الجديدة.

- من الصعب يا باشا.. من عمل تحت رئاستك مرة لا يفكر في العمل معك مرة أخرى.

أهانني.. جئت على نفسي.. استمريت في مدحه وأسلوبه في الكتابة وأنه كان صحفياً واعداً.. ابتسم بهدوء شديد وكأنه جاء لمقابلتي بعدما ابتلع علبة فاليوم كاملة، بدأ يخطب فىَ.. الفلوس والغربة والسفر تصقل الناس وتزيد بعضهم حكمة.. ظننت أنه سيهاجمني مثل غيره. شكرني وأكد لي أنني أزوره في حلمه ويقظته على فترات تقترب أحياناً وتبعد في أحيان أخرى. يشعر بالامتنان نحوي. فصلي له وطرده من الجريدة فتح له آفاقاً أخرى جديدة.. لو ظل في الجريدة طوال هذه الفترة ما كان قد تقدم خطوة واحدة.. فأنا صاحب الفضل الأول والأخير عليه بعد الله. العيال كبرت وأصبحت طريقة حديثها وتعاملاتها مع القضايا المختلفة حتى الشخصية منها تتسم بالعقلانية.

- لو ما اشتغلتش معايا في الجرنال الجديد، عاوزك تعمل لي كتاب عن قصة حياتي.

- شغل.. يعني.. أنا تحت أمرك.. اتصل سيادتك بي.. لا تجعل نجيب واسطه بيني وبينك.. اتصل في أي وقت تشاء..

نهض ومد يده بالسلام وقدم كارت شخصي وأنصرف.. جاء سيد السائق.. أمرت الجرسون أن يلبي طلباته.. تعشى.. وجلس نجيب بجواري.. سألته كيف جاء بهذا الجمع.. رده أدهشني.. كمالة عدد.. رفض العديد قبول الدعوة.. أغلبهم من الذين استفادوا طوال العشرين سنة الماضية وتحولوا من محررين فقراء مسحوا بلاط صاحبة الجلالة إلى أثرياء ورجال أعمال.

- عاوز كشف بأسماء اللي رفضوا الدعوة.

أدخل يده في جيبه.. أخرج كشفاً بالأسماء.. عقلية منظمة.. أخذت الورقة.. نظرت إليها.. دسستها في جيبي.. وقت آخر أناقش نجيب في أسباب عدم حضور هؤلاء الواطيين.. سيد مازال يأكل بنهم وشهية أحسده عليهما دائماً وجوانا تنتظر مني إشارة الرحيل..

- خلص يا سيد.. عشان توديني الفندق.. لن أعود للبيت هذه الليلة.

الفندق القاهري الجميل.. لي فيه ذكريات جميلة وليالي لا تنسى.. وليَ فيه حجرة محجوزة باسمي على مدار العام.. أحضر إليه وقتما أشاء.. المؤسسة تدفع إيجار الحجرة وهي أقرب إلى "السويت".. الجناح.. ورغم أنني خرجت من الخدمة، إلا أن الغرفة مازالت بأسمي وتدفع المؤسسة إيجارها السنوي مقدماً خصماًمن الإعلانات التي تنشر عن الفندق في مطبوعات المؤسسة.. لدي غرفة أخرى في فندق آخر بالإسكندرية بنفس النظام منذ ثلاث سنوات. تنبهت أن تبقى الغرفة باسمي وليس باسم المؤسسة.. أمامي أربع أو خمس شهور أخرى على الأقل.. سأسأل هذه الليلة متى ينتهي إيجارها وأحاول أن أدفع إيجار شهرين أو ثلاثة مقدماً حتى لا يستمتع بها رئيس مجلس الإدارة الجديد. سيد مازال ينظر لي وإلى جوانا في المرآه إلى أن وصلنا إلى الفندق.. نزلت.. طلبت أن تنزل معي جوانا لنبيت ليلتنا هنا ولأحتفل مرة أخرى أنا وهي فقط بانتصاري في المعركة الأولى في الحرب الدائرة.. نزلت معي جوانا وعلى طرف لسان سيد سؤال يحيره !

– غداً ستأتي إلى الفندق بعد أن أتصل بك تليفونياً لنعود إلى البيت وبعدها سنذهب إلى البلد.. سأقضي هناك عدة أيام حتى ينتهي بناء السور الحديدي الجديد.

هز رأسه وعيناه تأكل أرداف جوانا وأنطلق.. بمجرد خروجي من المصعد تعلقت جوانا بذراعي.. أخشى أن يكون الأمر قد تحول إلى موضوع عشق وحب، لتدخل جوانا في دائرة الفضائح. دخلنا الحجرة.. جلست على أقرب فوتيه وجلست جوانا تحت أقدامي.. أنا لا أطمئن لمثل هذه الممارسات.. أفضل أن أكون أنا البادئ.. أنا صاحب اليد العليا.. قامت جوانا لإخراج بعض مكعبات الثلج وزجاجة ويسكي من الثلاجة.. اتصلت بالروم سيرفس (خدمة النزلاء) لتطلب متطلبات واكسسوارات الليلة. قبل أن نبدأ يصرخ التليفون على المنضدة. نفس أرقام تليفونات الصباح.. لن أرد على أحد.

لن أسأل فيهم. سأتركهم بعض الوقت في حيرة، سأتركهم أياماً. أذاقوني المهانة كؤوساً وجراكن وجرادل- المسئول الكبير كانت طليقتة معي منذ ساعات وكان من الممكن أن تكون معي الآن بدلاً من جوانا.. والعقيد مصطفى بتاع حرية الصحافة، سأجعله يترجاني لوقف النار التي سأطلقها على الواطيين، عملاً أيضاً بحرية الصحافة وحق الرد الذي يكفله دستورهم. لم تمتعض جوانا ولم تغضب عندما طلبت منها أن تشرب وحدها وتتركني أنام ليلتي وحدي.. دون مساج أو مكالمات تليفونية.

حملنا سيد من الفندق إلى التجمع الخامس. غيرت ملابسي وطلبت منه أن يضع في السيارة أكبر قدر من زجاجات المياه المعدنية والأطعمة المجمدة.. لحوم وأسماك وخلافه في أيس بوكس كبير.. سألت جوانا عن وجهتنا القادمة.. أخبرتها أنها ستظل في المنزل.. أنا وحدي سأذهب إلى قريتي.. بلدتي.. أمكث هناك عدة أيام إلى أن ينتهي العمال من بناء السور الجديد.. الرحلة قد تستغرق أربعة خمسة أيام.. خاصة وأن العمال قد هدموا السور القديم.. وأبلغني المهندس في الهاتف أن السور الحديث الحديد تم تفصيله ويحتاج يوماً أو بعض يوم لدخول فرن الدهان "الكتروستاتك" كي تبقى القضبان الحديدية لامعة وقوية وغير قابلة للصدأ.. وأن التركيب لن يستغرق أكثر من يوم وأثناء العمل سيقوم عمال أخرون بترميم بقية السور لأستلمه وأدفع باقي الحساب.

عادت جوانا تسأل إذا كان سيد سيوصلني إلى القرية ويعود أو أنه سيمكث معي هناك.. سيد بالطبع سيكون معي بالسيارة حتى يسهل تحركي وزيارة بعض الأقارب

والأصدقاء وأن المطلوب منها أن ترد على التليفونات أثناء غيابي ومن يسأل عني.. الباشا مسافر.. ولا تعرف المكان ولا تشير من قريب أو بعيد حتى لزوجتي أو ابنائي وبناتي أنني سافرت إلى البلدة.. الجنايني سيستمر معها في المنزل إلى ما قبل الغروب والبواب العجوز متواجد في حجرتـــه الملاصقـــة لبوابة الفيلا طوال الليل والنهار وإذا احتاجـــت شيئاً أو كان هناك أمر ضروري ملح عليها الاتصال بـــي على هاتفي المحمول ولا مانع أن تتصل بي قبـــل نومهـــا للاطمئنان عليَ.

كل شيء وضع في حقيبة السيارة وانطلـــق ســـيد مـــن التجمع الخامس إلى الطريق الدائري والذي يـــسلمنا إلـــى الطريق الزراعي عند بلدة ميت نما. الطريق خـــال وســـيد يسوق في صمت.. لا ينظر إلى المرآه من وقـــت لأخـــر لمطالعة وجهي كما كان يفعل عندما تكون جوانا بجواري.. أول مرة أخرج من منزلي إلى القرية بعد خروجـــي مـــن الخدمة.. لا حرس ولا سيارات حراسة ولا سارينة تجبـــر الناس على إفساح الطريق.. الطريق وحده فسيح، حركـــة المرور إنسيابية.. الطامة الكبرى عند القناطر الخيريـــة.. وقفنا أكثر من ساعة.. كانت هذه المنطقـــة بالـــذات رغـــم

تكدس السيارات والمشاة والعربات الكارو لا أقضي فيها أكثر من دقائق معدودة.. سارينة تطلق.. وصوت أحد الحرس يأمر في ميكروفون بإفساح الطريق.. فيهرع رجال الشرطة والمرور إلى إيقاف السيارات القادمة من كل الاتجاهات.. إلى أن تمر سيارتي.

وأنت في المنصب والأبهة لا تشعر بكثير من أزمات هذا البلد.. وعلى رأسها أزمة المرور، فأنت لا تسير ولكنك تحمل على كفوف الراحة، عندما تخرج من الخدمة عليك أن تكافح مثل بقية الخلق. الثروة وحدها لا تشعرك بالراحة أو التميز.. الثروة مثل أن تكون جوانا في أحضانك أو فوق ظهرك.. أصابعها تتحرك فيما تسميه مساج.. السلطة هي أن تكون قد ابتلعت عدداً من الأقراص المنشطة التي تساعدك على الاستمتاع بالثروة.. ثروة بلا سلطة.. رغبة بلا قدرة.. بلد ملهاش حل. انفرجت الأزمة وعبرنا كوبري القناطر على يميننا ترعة أو رياح.. لا يهم نوعه وعلى يسارنا خضرة وزراعات وأفق فسيح.

لأول مرة أدخل القرية ولا يكن أحد في استقبالي من شبابها أو شيوخها.. وقفنا امام البيت.. لم يظهر أحد ليرحب بنا.. دخلت وأنزل سيد كراتين المياه والأيس بوكس وخلافه.. الفلاحون ليسوا ملائكة بل مثل غيرهم "تتاههم

عن ظهر أيدهم". الواطيين فيهم أكثر من أبناء الأصــول.. منزلي مجاور لمنزل خالتي. لم يظهر أحد من الأبنـــاء أو الأحفاد وكأنهم اتفقوا على مقاطعتي. في الحقيقــة أنــا لا أرغب في رؤيتهم.. خاصة زوج خـــالتي.. هــذا الرجــل المسن الخرف الذي يتحدث عن أيام زمان وأيامنا الصعبة في القرية.. أخشى ظهوره وقصصه وحواديته أمــام ســيد السائق.. فهو لا يفرق في الحديث بين العام والخــاص ولا يدرك أن هناك أسراراً يجب ألا تقــال أمــام الغربــاء ولا يجوز الخوض فيها إلا بين أبناء الأسرة الواحــدة.. إلا أن العمر وتقدمه ورغبته الدائمة في الحديث بلا توقف وشهوة التشفي قد تجعله اليوم صاروخاً منطلقاً. وكان قد اتصل بي تليفونياً بعد سماعه خبر عزلي مواسياً ومعزياً وطلب مني أن أترك القاهرة وأحضر للإقامة والعيش في البلدة.. الأيام إللي فاضله لي !

هذا المنزل من طابق واحد.. أربع حجرات وحمامــان ومطبخ كبير وصالة محترمة. تعمدت ألا يكون مثل بقيــة منازل القرية.. من الخارج طوب فرعــوني.. وشــبابيك أرابيسك ومن الداخل الأرضيات كلها من الرخــام.. هــذا منزل أبي وأمي.. اشتريت حصص أخوتي.. بيع وشــراء وتسجيل وقمت بهدمه وكانت الأزمة الكبرى. خاصــمتني

أختي الكبرى واتهمتني بأنني قضيت على رائحة أبيها وأمها.. كانت تظن أن رائحتهما من عند شانيل صانع العطور الفرنسي الشهير.. قاطعوني فترة طويلة.. كنت أخطط لبناء المنزل من جديد وجعله منزلاً عصرياً يليق بمكانتي الاجتماعية والسياسية الجديدة.. إلا أن مساحة المنزل القديم أجلت حلمي عدة سنوات.. المساحة لم تزد عن ستين متراً.. منزل ريفي قديم، بعض حوائطه من الطوب الأحمر والأخرى من الطوب اللبن.. علامات الجلة وبقايا أقراصها على جدرانه الخارجية وبجواره مباشرة زريبة خالتي وزوجها.

تفاوضت سنوات مع زوج خالتي لشراء الزريبة بالسعر الذي يطلبه.. مساحتها في حدود نصف قيراط.. باعها لي في النهاية بـ "الغلا والكوي".. وفوق سعرها طلب مني أن أعين له ابنين في مؤسستي أو في وزارة الكهرباء أو البترول.. أعلى الوزارات الحكومية رواتباً وحوافزاً في مصر حتى الآن ورضخت في النهاية.. سبعون وستون متراً.. مائة وثلاثون متراً لا تحقق حلمي في بناء منزل محترم.. ظللت عدة سنوات أخرى أفاوض جاراً أخر على الحد الشرقي.. باع لي في النهاية قيراطاً وأصبحت المساحة محترمة ما يقرب من مائتي وثمانين متراً. وبنيت

البيت.. جهزته بكل متطلبات العصر.. أجهـزة تكييـف.. طبق قمر صناعي ضخم.. صواعق الناموس وأجهزة طرد الفئران.. إلا أن زوجتي وأبنائي لم يدخلوه إلا مرة واحدة. كنت أهرب إليه من وقت لأخر عندما تشتد الأزمات.

وهذه أزمة جديدة قد تطول بعض الشيء. منزلي هـذا من الممكن أن يمتص بعض آلامي وأحزانـي. رطوبتـه وارتفاع سقفه وجدرانه تشعرني بأنني داخل مسجد. طابق واحد ولكنه بارتفاع ثلاثة طوابق من بقية منازل القريـة.. مدخل عالٍ مرتفع وحوائط لا يقل ارتفاعها عن ستة أمتار. في الشتاء، المنزل أشد برودة من الـداخل عـن بـرودة الغيطان، لا ينفع معه تكييف لتدفئة الجو.. المهندس الـذي صممه، صنع لي دفاية كبيرة من الرخام داخل الـصالة.. تعمل بالخشب مثل دفايات المنازل الأوربية العتيقـة. فـي الصيف يكفي أن تفتح النوافذ. الهواء يدخلـه مـن جميـع الجهات.

سيد سينام في حجرة النوم الخارجية القريبة من البـاب وسأنام أنا في حجرة النوم الرئيـسية بالـداخل.. ارتـديت جلبابي وجلست وسيد مازال يضع الأشياء التي أحضرناها معاً في الثلاجة.. أخرج عدة أكـواب وزجاجـة ويـسكي ووضعهم على الطاولة.

- شيل.. شيل دلوقتي.. أحسن حد يطب علينا.. أعمل براد شاي أفضل.

وكأنني اقرأ الغيب.. دق على الباب.. يتبعه جرس ودقات متتابعة.. يبدو أنه زوج خالتي.. أخبروه ربما بوصولي أو شاهد سيارتي أمام المنزل. فتح سيد الباب. قمت لأعانقه.. رغم عدم محبتي له، فنحن في النهاية أهل.. دخل وعلى فمه كلمة يا "ساتر" وكأنه يدخل مراحيض عمومية. جلس وأخذ ينظر حوله بجهد، نظرة لم يعد يساعده .

- لولا بعت لك الزريبة مكانش البيت ده بقى بيت.

- أنت قبضت مبلغ محترم.. يا حاج.

- لو دلوقتي.. لأصبح السعر مضروب في عشرة يا فاروق.. يا ابني.. انت بتسمع طبعاً عن الأسعار.

رن التليفون.. أنقذني من حديثه الماكر الملاوع. جوانا تسأل عني وهل وصلنا بسلامة.. لم تسأل عني زوجتي.. ولم يسأل عني أحد من الأولاد أو البنات. منذ خروجي من الخدمة، اتصل بي كل منهم مرة واحدة.. مرة واحدة فقط.. تسأل جوانا إذا كان لدي ضيوف وإذا كان عندي في القرية خادمة وتضحك وتنهي مكالماتها بـ "تصبح على خير".

- الشاي يا سيد لعمك الحاج.

آه.. لو كان عمه الحاج لمح زجاجة الويسكي.. كانت القرية كلها والقرى المجاورة عرفت وعلمت.. هذا الشخص أسوأ من جميع جرائد المعارضة مجتمعة. لديه قدرة على التشنيع وحبك الحكايات.. فلاح ملهوش حل. بعد أن افرغ كوب الشاي في جوفه، عاد ليسأل عن الأسباب التي دفعت الحكومة إلى الاستغناء عني.

- طبعاً إللي بتقوله الجرايد عنك.. أنا لا أصدق كلمة واحدة منه.

- أنت عارف طبعاً أن الجرايد مش لاقيه حاجة تقولها.

- البقرة لما تقع تكتر السكاكين.. يا فاروق.

- أنا ما وقعتش يا با الحاج.

تشبيهاته كلها فلاحي.. بقرة وجاموسة وسكاكين.. الدنيا بتتغير وهم لم يتغيروا.. لبسوا قمصان وبنطالونات وخلافه وتعلموا وحصلوا على شهادات وسافر بعضهم إلى أوربا أو الخليج ومازالوا فلاحين لا يعرفون اللياقة في الحديث.

- سمعنا كلام كتير واحنا مش مصدقين.

- وهتسمع أكتر.

- هم صحيح هيقدموك للمحاكمة.

- لا.. يا حاج ما تخفش.. انا لا سرقت ولا قتلت.. مجرد تغيير.. التغيير سنة الحياة وأنا بقالي في المنصب سنوات طويلة.

- أنت خدمت الحكومة.. ليه الحكومة متقولش لأصحاب الجرايد دوله.. عيب اللي بتقولوه على فاروق عوض.

- الحكومة مشغولة بحاجات أهم.

- ما أنت برضه يا ابني.. يا فاروق.. ياما قطعت الناس في جرنالك وخربت بيوت.

هذا ما جاء من أجله.. التشفي.. والتطرق إلى موضوعات وأمور تافه، معتقداً أنه أوتى الحكمة بحكم تقدم العمر والعباية الصوف التي يضعها على كتفه.. قال إنه حذرني كثيراً من الحكام وأصحاب السلطة وذكرني بدعوة أمي "ربنا يكفيك شر الحاكم والحكيم"، إلا أنني ظننت أنني أصبحت واحداً منهم وبدأت أضرب الناس بسوطهم وكانت النهاية أنهم تخلوا عني وتركونني للواطيين في صحف المعارضة. تطرق إلى موضوع أسرتي وعدم حضور أحد منهم إلى القرية أو زيارة أهلهم وعاد ليلقى على مسامعي مثله القديم الذي لم يسمع به أحد من قبل والخاص بالنسب والعلاقات الإنسانية والصداقة.

- مشكلتك يا فاروق.. يا ابني أنك نسيت المثل اللي قلته لك من زمان.. قبل زواجك وقبل أن تصبح مهماً.. قلت لك زمان.. "أطلع سنة وصاحب وانزل سنة وناسب" طلعت خمسين سنة وصاحبت وصادقت وزراء مسئولين كبار وأمراء وشيوخ والكل تركك الآن.. ونزلت خمسين سنة وارتبط بزوجة لا أصل لها ولا فصل ومنعت أهلك وناسك من دخول بيتك، بل طردت أمك. والله وما ليك عليَّ حلفان.. خايف تطردك من البيت وعشان كده خلي بيت البلد دايماً مفتوح.

لم أصدق أنه نهض وانصرف.. كل ما أخشاه أن يكون سيد السائق استمع لأطراف حديثه أو استرق السمع ليسمع الحديث كله.. جاء سيد بالزجاجات والأكواب. أصبح خبيراً في صب وخلط الخمور.. ابدأ شربي بقليل من الجن والتونك ثم أدخل على الويسكي.. المزة.. بعض المكسرات وقطع من أسماك السمون فيميه أحضرها سيد من الفيلا.. يصب لي.. ويصب لنفسه.. يحاول أن يتظاهر بالأدب.. لا يسبقني في الشرب.. كل من تعاملت معهم ورأستهم كانوا يتظاهرون بالأدب. لا ينظرون إلى وجهي مباشرة.. كانت عيونهم متجهه إلى الأرض دائماً وعندما خرجت تغيرت الكثير من الأمور. بلع البعض منهم لقب الريس والباشا.

بعضهم اكتفى بلقب أستاذ وأخرون من الواطيين استكثروا علىَ كلمة استاذ .

- أنا قلت لسيادتك أني عاوزك في موضوع يخصني.

استمر سيد في الحديث.. لم أعد أجد غيره اسمعه ويسمعني.. تحدث أن لديه ثلاثة أبناء كما أعرف وزوجة، هي في الأصل بنت عمه.. تزوجها بالأمر وربنا فتح عليه منذ أن عمل معي.. أصبح لديه بدل الشقة ثلاثة. واحدة في الجيزة في مشروع إسكان الشباب، كنت قد أوصيت المسئولين بتسليمه إياها وأخرى في المقطم خصصها له المحافظ عندما جاء لي في المكتب وبعد انتهاء المقابلة قدم له مذكرة بالطلب ووافق عليها فوراً كما قال عشان فاروق باشا عوض، الثالثة في كفر طهرمس عند منتصف شارع فيصل.. أعرف أنا كل ذلك ولا أعلم ماذا يريد سيد بالضبط.. هل يريد شقة رابعة؟. كل من عمل معي أصبح لديه بدل الشقة ثلاثة وأربعة في جميع محافظات مصر. بل كان بعضهم يستغل علاقتي مع وزير الأوقاف السابق ويحصل على شقة بملاليم ويبيعها بعشرات الالاف.. البعض يقول أن شقة الأوقاف في ميدان سفنكس بالعجوزة أصبحت قيمة الواحدة منها الآن ثلاثة ملايين جنيها.

- ماذا تريد بالضبط يا سيد.

- عاوز أطلب يد جوانا.

اهتز الكأس في يدي.. كيف يجرؤ على طلب يد جوانا. هل يعلم علاقتي بها؟ بالطبع يعلم.. لقد أوصلنا أكثر من مرة إلى الفندق.. ويعلم أننا نبيت معاً.. لا نقرأ في الفندق أوراداً أو أذكاراً ولا نقوم الليل للصلاة.. وهو بنفسه الذي اخبرنى عن علاقتها بضابط الكمين وخروجها معها كل يوم أحد.. اليوم الذي تدعي فيه أنها تذهب إلى كنيسة مصر الجديدة.. هل يفهم ذلك كله ويطلبها للزواج.. ماذا حدث في الناس في بر مصر.. وضعت الكأس على المنضدة وطلبت منه الخروج.. الانتقال إلى الحجرة التي سينام فيها وأمرته بألا يفتح هذا الموضوع بعد ذلك ابداً. جوانا لي وحدي.. أقصد ليس وحدي بل يشاركني فيها ضابط الكمين رغماً عني ولا استطيع أن أترك سيد يشاركني فيها هو الآخر.

تليفون جوانا أيقظني في الصباح.. تسأل عني وكيف قضيت ليلتي دون مساج وتخبرني أن عمال السور حضروا مبكراً ويعملون بجد ونشاط وأن التليفونات لم تنقطع بالأمس.. أغلبها من المسئول الكبير والعقيد مصطفى، أخبرتهما بأنني خارج القاهرة.. مسافر.. لا تعلم أين! دخل عليَ سيد وكأن الأمس ورقة في دفتر جذبها ومزقها.. جاء يحدثني وكأنه لم يفاتحني على الإطلاق في موضوع

جوانا.. جاء يسأل هل سنمكث في البيت أو سنخرج وإلى أين؟ إذا كنا سنخرج سيكون بعد موعد الغداء حتى إذا زورنا أحد يكون في حل منا ولا نجبره على القيام بأكثر من واجب الضيافة شاي ومشروبات.. أمامي عدة مكالمات سأجريها ثم نحدد ماذا سنفعل بقية اليوم.

المسئولون الحاليون بعيداً عن دائرة الاتصال، فهم لا يردون على من خرج من الخدمة.. لا تنقصهم المعلومات عن سبب خروجه، إلا أن الحرص واجب. الخروج يعني الغضب.. ومن خرج حلت عليه اللعنة والغضب. أما المسئولون السابقون أمثالي، فلهم حسابات أخرى، تأتي على رأسها تجنب رصدهم ومقابلاتهم لأشخاص على شاكلتهم خرجوا أيضاً من الخدمة.. العصافير كثيرة تطير فوق الأبنية وفوق الأشجار وفي الفنادق والخرابات والبارات وحتى داخل الأضرحة والمساجد يرصدون حتى من تحول ولجأ إلى الله يشكو له همه وهوانه ويطلب مساعدته وغفرانه.

مسئول سابق في القرية التي تجاور قريتنا، منذ خروجه من الخدمة لا ينزل القاهرة إلا مرة واحدة في الأسبوع وباقي الأيام يمكث في منزله.. أقامة جبرية.. لا يقابل أحداً ولا أحد يقابله.. قد يكون مثلي يرغب في الحديث

والفضفضة.. طلبته تليفونيا. هلل عند سماع صوتي وأبدى رغبته في مقابلتي والجلوس معي، إلا أنه سينزل القاهرة حالاً وإذا ظللت في القرية لعدة أيام سيقابلني حتماً وأنهى المكالمة وكأنه يرد على شخص يخاطبه ويستعجله في الخروج.. الزمن.. الزمن هو اللي هيخلصلي تاري. الجريدة عندما تصدر ويعلموا أن فاروق عوض مازال قوياً وقادراً على السباحة مع التيار وضده ستجعلهم جميعاً يعيدون حساباتهم.

جوانا.. جوانا تتصل تليفونياً مرة أخرى، تخبرني أن العقيد مصطفى اتصل أكثر من مرة ويرغب في محادثتي.. فهو يريدني لشيء ضروري وهام للغاية.. وتسأل عن أخبار الناموس في البلد وهل يهدأ بعض الشيء في الشتاء، أو أنه نشيطاً في كل فصول العام. مصطفى رجل شرطة مهذب قد أحتاجه مستقبلاً ومن لا تريد رؤية وجهه اليوم قد تتمنى رؤية قفاه غداً. مكالمة له.

- مصطفى باشا.. أنا خارج القاهرة ربما أظل عدة أيام.

- فينك يا باشا.. أبحث عنك من عدة أيام عاوز أقول لك مبروك على الجرنال الجديد. الرخصة والموافقات على وشك الانتهاء وعاوز أكون أول المهنئين.

- شكراً يا مصطفى باشا.. كلك ذوق.

- عاوز اقول لسيادتك كلمتين. الأولى خاصة بولد قريب لي.. خريج إعلام.. عاوز سيادتك تعينه في جرنالك الجديد والثانية لا تعتبرها نصيحة ولكنها كلمة من أخوك الصغير.

- أطلب يا باشا وأنا تحت أمرك.

- في جرنالك الجديد.. ابتعد عن مهاجمة الجرائد التي تهاجمك.. دول عيال فاهمين اللعبة كويس.

يبدو أن ما يقوله تعليمات وعلىَ سماعه جيداً والاستماع له إلى أخر نقطة في أخر كلمة.

- الهجوم عليك سيستمر.. والرد عليهم قد يثيرهم أكثر!

الرسالة واضحة وأخذ يستمر في نصائحه أو تعليماته أو التعليمات التي صدرت إليه والمطلوب نقلها إلىَ. تطرق إلى الأحاديث التي دارت فوق المركب وكأنه كان معنا.. نصحني بألا أهدد بفتح الملفات أو كشف الأوراق وأنني لا أستطيع أن أقف في وجه النظام.. التغيير سنة الحياة والحكومة لم تتخلص مني وحدي، بل قامت بتغيير كل رؤساء مجالس إدارات الصحف ورؤساء التحرير. كلامه يحمل شيئاً من الحقيقة ولكن ليست كل الحقيقة.

- أنا تحت أمرك يا مصطفى بك وأتصل بي في أي وقت تشاء.

جاء زوج خالتي الثقيل وبصحبته ابنه.. ابن خالتي الذي قمت بتعيينه عندي في المؤسسة منذ سنوات.. القيا التحية وجلسا.. لم يجلس الإبن أمامي طوال وجودي على رأس المؤسسة.. كان يقف دائماً أثناء حديثه معي.. إلا أنني لست رئيسه الآن.. ابن خالتي يصغرني بعشرين سنة.. كان لا يخاطبني إلا بكلمة باشا. تخلص هو أيضاً منها ناداني بابن خالته.. معلش.. أخشى من حديث والده وكلامه الفارغ.. طلبت من سيد السائق أن يدخل المطبخ ليعد لنا طعاماً نأكله وأن يظل داخل المطبخ إلى أن أناديه. زوج خالتي لا يمل ولا يكل من ترديد الكلام الفاضي. يؤنبني أنني لم أصل جذوري في القرية، بل قطعتها عمداً وبعدت عن القرية وأهلها وأنه قال لي أكثر من مرة " يا بخت من بكاني وبكى عليَ ومضحكنيش وضحك الناس عليَ " كلامه ليس له أساس من الصحة، فقد عملت طوال حياتي لأهل قريتي. ساعدت منهم من استطعت وقمت بتعيين العشرات من الشباب داخل مؤسستي وخارجها وبنيت في القرية مسجداً ومجمعاً صحياً.. أنفقت عليه عشرات الألوف من الجنيهات، إلا أن زوج خالتي مصر على الكلام الفارغ وأنه

مطلوب مني أن أشعر بالفقراء دون غيري لأنني كنت فقيراً مثلهم ويتحدث عن فقر أبي وعوزه وحاجته وأنه مات قبل أن يرى "الأملة" التي أنا فيها.

- فاكر لما كان أبوك عاوز يبيعك أنت وأخوك للراجل الغني اللي ما بيخلفش في القرية القبلية.

كلام فاضي.. لا يودي ولا يجيب ويقوله أمام ابن خالتي لينقله بدوره إلى أجيال جديدة. لقد أصبح مثل غيره من الأغراب الذين لا يخفون شماتتهم فىَ بعد خروجي من الخدمة.

- الجامع اللي أنت بتقول إنك بنيته وأطلقت عليه اسم أبوك. كان موجود من قبل.. أنت بس خليت وزير الأوقاف صاحبك يفرشه سجاد بدلاً من الحصير.

الواد ابنه يشارك في الحديث ويخبرني بما كنت لا أعلمه. لقد أعاد شباب القرية اسم المسجد القديم ورفعوا اللوحة الرخامية التي تحمل اسم ابي.. ليس هذا فقط، بل قام المجلس المحلي بتغيير اسم المدرسة الابتدائية التي قمت بافتتاحها في القرية مع وزير التعليم وحملت اسمي.. مدرسة فاروق عوض الابتدائية وأصبحت مدرسة زكي

مبارك.. حتى المجمع الصحي غيروا اسمه بحثوا عن الممول الخليجي الذي أقنعته بثواب إنشائه وعلقوا لوحة رخامية جديدة تحمل اسم الشيخ كعب المناع.. وأحضروا الشيخ إلى القرية وأعلن تبرعه بمبلغ كبير لشراء وحدة غسيل كلوي.. ناس واطيين بحق وحقيقي.. كل هذا فعلوه في أقل من خمسة شهور ولم أعلم عنه شيئاً.. أنا لا أستطيع أن أمكث هنا أكثر من ذلك.. سأعود من حيث أتيت إلى التجمع الخامس.. ناس واطيين ما يتمرش فيها.

نسوا أنني أول من أدخلت جهاز كمبيوتر في المدرسة التي حملت اسمي.. نسوا أنني ضغطت على وزير الصحة وقام بتعيين عدد من الأطباء والممرضات في المجمع الصحي الذي أنشأته. نعم جئت بشيخ من الخليج ولكن كيف كانوا سيعرفون مثل هذا الشيخ وقريتهم لا موقع لها على الخريطة. قريتهم تلك التي تسبب في شهرتها فاروق عوض.. لم يعرف الناس اسم هذه القرية قبل ظهور فاروق عوض.. أنا.. أنا الذي رصفت الطريق إليها.. أنا الذي تقدموا إليه بطلب لتحويلها من قرية إلى مدينة وتوسلوا أن أغير اسمها لتحمل اسمي.. دول مش واطيين.. دول كفره.

- الناس والجرايد كلامهم كثير عن الفلوس اللى خدتها.

- شوف يا جوز خالتي.. خلي اللي يتكلم.. يتكلم. المهم متكلمش أنت، ما تساعدش خصومي ضـــدي.. دول نـــاس موتورة.. أعداء النجاح.

- نجاح إيه؟ ما أنت قالوا لك متشكرين وخلاص علـــى كده وكفاية كده وشالوك من مكانك!

أنا لم آت إلى القرية إلا هروباً من القـــاهرة وســـأهرب منها مرة أخرى، وزوج خالتي ينتقل من موضوع لأخر.. تركته دخلت الحمام.. استغرقت وقتا طويلاً لعـــل وعـــسى يشعر بأنني لا أرغب في سماع كلامه. غداء وتنـــاولوا.. شاي وشربوا إلا أنه يبدو مصراً على ضربي في العظام.

- حكاية الخفر اللي أنت معينهم على البيت. بتـــصرف لهم مرتباتهم؟

قصة أخرى خائبة.. كنت قد عينت خفيـــرين لحراســـة ومراعاة داري هنا في القرية وكانا يصرفان مكافأة شهرية من المؤسسة.. ثلاثمائة جنيها لكل واحد منهم، المكافآت في المؤسسة غير الرواتب.. عشرات، بل مئات تندرج اسمائهم في كشوف المكافآت.. حتى أمناء الشرطة العـــاملين فـــي دائرة القسم والمنوط بهم حراسة المؤسسة من الخارج لهـــم

مكافآت.. عسكري المرور له مكافأة، كل ذلك في إطار القانون الذي يسمح لى بتحديد المكافآت. بعد أن خرجت من الخدمة، أشار بعض الناس إلى رئيس مجلس الإدارة الجديد إلى ضرورة إعادة النظر في كشوف المكافآت وإذا كانت المؤسسة لا تستطيع في الوقت الحالي أن تزيد من إيراداتها فعليها على الأقل أن تخفض من مصروفاتها وكشوف المكافآت قد توفر الكثير.. أول شهر يجلس فيه على المقعد شطب العديد من الأسماء من كشف المكافآت.. منها الخفيران بالطبع وأربع طباخين كانوا يعملوا لدي في فيلا التجمع، الغرض منها كشف طرق إهدار المال في المؤسسة أمام العاملين فيها ولتأكيد طهارة اليد وصدق النية والقصد في إجراء إصلاح داخلي. مثل كل بداية شهر.. ذهب العاملون لدى سواء في القرية أو الفيلا إلى المؤسسة لاستلام مكافآتهم. طابور طويل أمام شباك الصراف.. التعليمات صدرت له بألا يصرف لهم بهدوء وأن يجعل أكبر عدد من الموظفين والمحررين والعمال يرون ويعلمون أن هناك مكافآت كانت تصرف لرجال فاروق عوض وأن أسماؤهم قد رفعت وليذهبوا ليقبضوا رواتبهم

من الذي عينهم، فهم لا يؤدون خدمات حقيقية للمؤسسة، بل كانوا مجرد خدم لدى رئيس مجلس الإدارة السابق.

الصراف تجاهلهم تماماً وهو الذي يصرف لهم رواتبهم أو مكافأتهم كل شهر على مدار سنوات. سألهم أين يعملوا في المؤسسة وفي أي شركة.. طلب من شخص في الطابور أن يبحث عن أسمائهم في الكشوف وهو يعلم أن لا أسماء لهم فيها.. عرف كل من في الطابور قصتهم.. طلب منهم الصراف أن يتوجهوا إلى فاروق عوض لاستلام مكافآتهم، فقد انتهى الأمر بخروج فاروق عوض من الخدمة. لم أستطع الاستغناء عن الخفيرين.. أصبحوا يتقاضون رواتبهم من حر مالي.. أما الطباخين فقد تم الاستغناء عنهم واكتفيت بجوانا في المنزل.

ناديت على سيد السائق.. طلبت منه الاستعداد للنزول إلى القاهرة.. لعل وعسى زوج خالتي يفهم أنني اريد صرفه من الدار، هو والواد ابنه.. كأنهما لم يسمعا.. استأذنت منهما للدخول إلى حجرة مجاورة وارتديت ملابسي وخرجت إلى باب الدار.. خرجا ورائي.. أخبرتهما أنني لن أغيب طويلاً عن البلد وقد أعود لها قريباً.

- سيد.. إلى الإسكندرية.

- نرجع مصر نجيب جوانا معانا.

- لأ.. محتاج أجلس مع نفسي.. محتاج أن أبعد عن البشر ووجوهم.. كل البشر.. محتاج بعض الراحة.

صمت سيد وانطلق وانكفأت أنا على نفسي في المقعد الخلفي.. لم أكره الفلاحين مثلما كرهتهم اليوم.. طوال عمري أكره زوج خالتي هذا ولكن زادت كراهيتي له.. اليوم.. هؤلاء الفلاحون كفره.. انيابهم أكثر زرقة من أنياب الصحف الجديدة.. ينهشون اللحم ولا يتورعون عن الخوض في الحديث في أي شيء.. تحت دعاوي العبط والاستهبال. ما ينشر في الجرائد، مجرد كتابة وما يبثه الفلاحون بأفواههم رعب وما يفعلوه بأيديهم دمار.. رفعوا اسمي من على المدرسة واسم ابي من على المسجد وكتبوا اسم الشيخ الخليجي الذين لا ينتمون له بصلة دم أو نسب على المجمع الصحي.. أخشى في الزيارة الأخرى أن أراهم وقد نزعوا لوحة الرخام من على باب داري التي تقول "بيت العز" ليضعوا محلها لوحة جديدة بعنوان "بيت الفقر" أو "بيت الفضائح" يعضون اليد التي امتدت إليهم.. قلة أصل.. واطيين.

عند زيارتي للقرية بعد تعييني رئيساً لمجلس الإدارة ورئيسا للتحرير.. خرج ورائي موكب من أهل القرية،

شبابها وشيوخها.. رافقوا سيارتي وسيارات الحراسة في ميكروباصات وعلى الموتسيكلات حتى القناطر الخيرية. ودعوني بالدعوات والقبلات وجاء اليوم لأدخل القرية غريباً وأغادرها غريباً. الطريق الزراعي مزدحم.. أكثر من المعتاد .. حتى دخلنا مشارف طنطا.

- ماذا يا سيد لو توقفنا في طنطا وصلينا في السيد البدوي المغرب وجلسنا بعض الوقت في المقهى المقابل، ثم توجهنا بعد ذلك إلى الإسكندرية.

- ماشي يا ريس.

دخل طنطا من تحت نفق السكك الحديدية.. وجد مكاناً للسيارة.. نزلنا.. توضأت.. صليت ركعتين تحية للمسجد.. أسندت ظهري على عمود رخامي وأغمضت عيني انتظاراً لرفع آذان المغرب. برودة العمود الرخام أشعر بها وكأنها تسحب جزءاً من حرارة الجسد ونار القلب وهواجس القلق.. صلينا المغرب.. طفت حول الضريح.. دعوت بحرقة بأن يرفع الله مقته وغضبه عني ويفك الهم والكرب. لا داعي للجلوس على المقهى وحيداً.. فقد كنت أحضر إليها بمجموعة من القيادات في مؤسستي.. نجلس عليها بالساعات.. جلوسي وحدي قد يثير شفقة صاحب المقهى الذي يعرفني شخصياً ويقرأ بالطبع الآن ما تقوله عني

الصحف الصفراء.. أقل من ساعة دخلنـــا الإســكندرية.. المدينة جميلة بعد أن ينتهي موسم الصيف.. إلى الفنـــدق.. إلى حجرتي سألت موظف الاستقبال عن موعد اســتحقاق دفع الإيجار.. أمامك أربع شهور يا باشا تقريباً. وتعامــل بأنامله على جهاز الكمبيوتر الذي أمامه. المؤسسة أرسلت شيكاً. بقيمة الإيجار في ٢٠ مايو.. قيمة الإقامة لمدة عــام كامل.. أمامك أربع شهور كما قلت يا باشا وحمد الله على السلامة. ليس معي حقائب أو خلافه.. ففي الفنــادق التــي كانت تؤجر لي المؤسسة حجرات أو أجنحة فيها، يوجد كل ما أحتاجه.. جلباب أو أكثر.. بيجاما أو أكثر مجموعة من الملابس الداخلية لم تخرج من أكياسها.. يسألني سيد.

- هنقعد هنا أد إيه؟

- معرفش يا سيد.

أخرج سيد من الثلاجة الأكواب ومكعبات الثلج.. استأذن في أن يستعير جلباباً مني ليجلس علــى راحتــه.. غيــر ملابسه.. فتح التليفزيون.. طلبت منه أن يغلقه أو يبحــث عن محطة أجنبية.. فأنا لا أرغب في رؤية هــذه الوجــوه التي أعلم حقيقة أصحابها تماماً.. يتحدثون عن النزاهة وهم فسدة.. يتكلمون عن الطهارة وهم أنجــاس.. أغلــق ســيد التليفزيون ورن جرس تليفوني المحمول.. المسئول الكبير

ليس كبيراً.. ولكنه ممسكاً بكل الخيوط. يكفيني تجاهلي له هذه المدة، مثلما تجاهلني ولم يرد على مكالماتي.

- ألو.

- أنت فاكر يا ابن "المرة الوســـ.." ان الكلمتين أللـــي قولتهم على المركب هيخوفونا.. لسانك تحطه فـــي بقـــك وتخرس خالص.

- يا باشا.

- لا باشا ولا زفت.. حجمك أعرفه.. أفعصك.. أحطك في السجن.

أغلق الهاتف في وجهي وقد وقعت الإهانة.. سبني بأمي وهو الذي كنت أجمع له الرشاوي وأصدر تعليمـــاتي إلـــى مديري مكاتبنا في العواصم الأوربيـــة أن يـــضعوها فـــي حساباته وأسلمه بنفسي إيصالات الإيداع.. أنا ابن المرة... ليس هناك أي مستندات تدينني ولكنني أعلم أن أمثاله ليسوا في حاجة إلى أدلة أو براهين لإلقائي خلف القضبان.. كنت أظن أنه سيهنئني على الجرنال الجديد إلا أنه كان يبحـــث عني ليسبني ويهددني.. ثاني مـــرة أســـب بـــأمي خـــلال السنوات الأخيرة.. كانت المرة الأولـــى مـــن زوجتـــي أم عيالي.. عندما اقتحمت عليَ غرفة النوم الملحقة بالمكتـــب وأنا نائم مع واحدة من السكرتيرات الجميلات.. اقتحمـــت

الغرفة بحيلة وفضحتني على الملأ وتخلصت بعدها من كل من في المكتب الذين شاهدوا إهانتي وحضروا فضيحتي.

طلبت سيد السائق ذات صباح وأبلغته بمـشاوير اليـوم وأخبرني هو بخط سيرها.. لم يكن في الحـسبان أن تمـر على المكتب.. نزلت مصر الجديدة ثم وسط البلد.. وسألت سيد عن مكاني في الوقت التي كانت هي معه.. أخبرها أن لدي اجتماع في المجلس الأعلى.. طلبـت منـه تليفونـه المحمول لتجري مكالمه.. كان هدفها أن تأخذ التليفون حتى لا يخبرني بتغيير خطتها.. طلبت التوجه إلـى المؤسـسة. صعدت إلى مكتبي.. سكرتيرة حاولت منعها مـن دخـول حجرة النوم.. ضربتها على صدرها واقتحمـت الحجـرة. خلعت الشبشب ونزلت به على أم رؤوسـنا.. حاولـت أن أحمي البنت إلا أنني كنت أمام نمرة شرسة.. أخبرتهـا أن البنت زوجتي عرفياً.. استمرت في النباح والسباب ولعنتني بأمي وخرجت من المكتب بعد أن صفعت سيد السائق على وجهه بالكف.

وها هو الواطي يسبني بأمي.. معلهش الزمن هو اللـي هيخلصلى تاري.. الأمور تسير في الاتجاه الخاطئ.. لابد من البحث عن حماية سأسافر لأداء العمرة دون إذن.. ولو

منعوني في المطار من الخروج ستصبح الصورة أكثر وضوحاً. سأجلس في الخليج مع بعض شركائي، سأكشف لهم جميع أوراقي وأسأل المشورة وأطلب منهم الحماية وإذا شعرت أنهم في طريقهم لبيعي مثلما باعني غيرهم، جواز السفر فيه تأشيرة متعددة السفريات إلى الولايات المتحدة الأمريكية.. سأهرب إلى هناك والحق بنعيم مطر، المدير المالي والإداري السابق الذي قرأ الاحداث مبكراً وسافر ليستمتع بما معه من أموال مع ولده الوحيد.

خطتي لن أخبر بها أحد.. لا سيد.. ولا جوانا ولا حتى نجيب.. أنا لم أعد أعرف من يعمل مع من ومن يعمل ضد من وهل القنوات كلها مفتوحة على بعضها أو أن هناك من يتحكم ويمسك بيده وحده أو بالاشتراك مع آخرين بمقبض الهويس.. يسمح للماء والأخبار والفضائح بالانسياب حيناً والتوقف في أحيان أخرى. دخلنا التجمع الخامس.. يلف سيد ويدور بالسيارة لقد وصلنا إلى المنزل.. إلى الفيلا والتي يمتلك غيري العشرات مثلها.. ولم يدفعوا مثلي مليماً في شرائها أو تأثيثها.. السور الجديد.. لا أشعر بجماله ورونقه رغم التصميمات الجديدة التي يحملها والتي تداخلت مع البوابة في شكل هندسي راق.

جوانا عند الرحيل.. وجوانا عند القدوم.. جوانا تقف في منتصف الحديقة ترحب بعودتي.. أخبرتني أن المدام في البيت.. إلى حجرتي صعدت.. طلبت الا يوقظني أحد.. حاولت النوم. عندما تكون المدام في البيت لا تصعد جوانا ابداً إلى حجرتي.. إذا رغبت فيها أن أنزل إليها وتعلمت ألا تغلق حجرتها. ما ينامش إلا أبو قلب خالي.. وجدت نفسي أعبث بالتليفون.

- ألو مصطفى باشا.. أرسل الولد قريبك بعد غد إلى الأستاذ نجيب في مقر الجريدة في شارع جزيرة العرب بالمهندسين.

- الله يكرمك.. يا باشا.

- الأستاذ نجيب مكلف باختيار فريق التحرير للجريدة الجديدة وامتحانهم.. طبعاً.. قريبك مش هيخشى امتحان.. يقول بس أنه من طرفك.

- بالتوفيق يا باشا.

لم يعد يخاطبني بكلمة باشا إلا العقيد مصطفى وأما أن يعود الكل إلى مخاطبتي بنفس الطريقة أو أن مصطفى نفسه يبحث لي عن لقب جديد. الجرنال الجديد سيكون سلاحي ومدفعي لأعلم البعض الأدب وأجبر الفئران التي

خرجت من الجحور العودة إليها مرة أخرى.. سأهرب.. إلى أرض جديدة وناس جديدة وأنسى ساعات البهدلة والتي قد تستمر أياماً. استشعرت مبكراً ما قد يحدث.. استخرجت جواز سفر جديد بوظيفة كاتب صحفي- رئيس مجلس إدارة سابقاً وحصلت على مجموعة من التأشيرات، منها تأشيرات زيارة إلى دول الخليج حيث أصدقائي وشركائي ومنها تأشيرة عمرة وتأشيرة متعددة الزيارات إلى أمريكا وتأشيرة "شنجل" تمكني من السفر لأية دولة أوربية. وضعت كل شيء في الحسبان، باستثناء شراء طائرة خاصة كما فعل العديد من شخصيات البلد الكبار ورجال الأعمال لتحمله إلى أبعد مكان عندما تدق ساعة الخطر.

نزلت وطلبت من سيد أن يحملني مرة أخرى أنا وجوانا إلى الفندق حيث أمكث هناك بعض الأيام وأتخذ قراري بهدوء.. قرار السفر.. وإلى أي جهة.

- سيد.. أنت في أجازة لعدة أيام.. قد تمتد أسبوع أو أكثر.. إلى أن أتصل بك تليفونيا.

لم ألمس جوانا تلك الليلة.. طلبت منها أن تعفيني من المساج وأمرتها أن تعد لي حقيبة سفر صغيرة.. في دولاب حجرة الفندق توجد حقيبة. وملابس داخلية وبيجاما وشبشب وبدلة واحدة إضافية وعدة قمصان.. وثلاث رباطات عنق..

الدولاب به كل شيء.. عليها أن تختار ما يناسب رحلة قصيرة. سألت جوانا بلهفة إذا كنت سأغيب طويلاً.. وهل السفر داخل مصر أو خارجها.

- ربما إلى الغردقة أو شرم الشيخ.

اتصلت بنجيب.. كل شيء على ما يرام.. ماكيت الجريدة الجديدة سيكون جاهزاً خلال أسبوع واحد. سيختار هو كما كلفته فريق العمل ويقوم بتشكيل الأقسام.. لكل قسم رئيس، يجب أن يختاره بعناية. نصائحي له أنها ليست جريدة حكومية. نريد أكفاء في العمل، مهنيين على مستوى عال، لسنا في حاجة إلى مصفقين "وطبلجية".. الرواتب ستكون الأعلى. سبعة آلاف جنيه لرئيس القسم والمحررين تبدأ رواتبهم من ١٨٠٠ طبقاً للخبرة والكفاءة.. يجب أن يسير كل شيء كما خططت له وبسرية كاملة. إذا عدت مرة أخرى إلى مصر، ستصدر الجريدة وأن لم أعد يتحمل نجيب وحده المسئولية.

أقترح نجيب عليَ في التليفون بعض الأسماء ليصبحوا من كتاب الأعمدة في الجريدة.. أسماء لا بأس بها.. كل منهم له صورة على رأس العمود. تلا عليَ بعض الأسماء، فوجئت باسم المذيعة طليقة المسئول إياه.. سيكتتبها نجيب في الجريدة.

- ماشي.. ماشي ولما هقعد معاك هعـرف إيـه فـي دماغك!

تركت جوانا في الحجرة.. نزلت إلى بهو الفندق.. مكتب شركات الطيران في الفنادق تعمل على مـدار الـساعة.. اشتريت ثلاث تذاكر سفر.. ذهاب وعودة.. تـذكرة إلـى جدة.. أكدت الحجز على رحلة الغد.. وتذكرتين أخـريين. واحدة إلى برلين حيث ما زال مدير مكتبنا هنـاك صـديقاً وفياً.. كان يسأل عليَ من وقت لأخر في محنتي وتـذكرة إلى نيويورك حيث ذهب نعيم مطـر مطـر.. اشـتريت مجموعة من كروت شحن التليفون.. طلبت من البـائع أن يدخلها جميعاً وصعدت ونمت وفي الصباح قمت ونزلت أنا وجوانا.. تاكسي إلى المطار.

- ستعودين يا جوانا في نفس التاكـسي إلـى التجمـع الخامس.

اشتريت أكبر مجموعة من الصحف من باعة الجرائـد أمام صالة السفر.. لم أتوتر عندما قدمت جواز سفري إلى ضابط الجوازات.. فأنا حتى الآن لست ممنوعاً من السفر.. ختم الجواز وتمنى لى عمرة مقبولة.. أمام بوابة الـدخول انتظرت النداء على الطائرة.. أخذت أقلب الصحف، "عين الصقر" ما زالت لا ترى فاسداً إلا فاروق عوض.. هجـوم

ومجموعة أخبار وتحقيق على صفحة كاملـــة.. اتـــصلت مجدداً بنجيب.. طلبت منه أن يقـــدم مـــذكرة إلـــى نقابـــة الصحفيين حول تجاوزات جريدة عـــين الـــصقر وعـــدم التزامها بميثاق الشرف الصحفي، على أن يعود إلى الأعداد القديمة منها ويرفق صوراً بالمذكرة ويقوم بالتوقيع عليهـــا باسمي.. كنت عندما أرى توقيع نجيب المـــزور باســـمي أتشكك في نفسي.. نجيب ينفع في كل شيء.. المذكرة تقدم غداً على أقصى تقدير ويجب أن تسلم بطريقـــة رســـمية.. تأخذ رقماً وتدون في "السركي" وأن تتصل بي بعد إنجـــاز المهمة.

- المسافرون إلى جدة على طائرة الخطـــوط الجويـــة السعودية رحلة رقم ٨٢١ يتجهون إلى بوابة رقم ٩.

النداء تكرر عدة مرات.. اتجهت إلى الأتوبيس وصعدت إلى الطائرة.. أتوقع مثل الأفلام أن ينادوا على اسمي ويلقوا القبض عليَ.. لا شيئ حدث وأقلعت الطائرة.

* * *

دعاني.. لبّيته

أعرف مدينة جدة جيداً، مرات عديدة ذهبت إلى هناك أثناء تأدية العمرة أو مناسك الحج.. لا أعرف عدد مرات العمرة ولكنني حجيت خمسة عشرة مرة في خمسة عشر سنة متتالية، كلها دعوات من جهات رسمية سعودية، منها دعوة ملكية.. أعرف فنادق جدة والتي ينزل فيها عليه القوم وكبار المسئولين من مصر وغيرها. بحثت عن فندق لا يتردد عليه المصريون. بمجرد دخولي حجرتي في الفندق، اتصلت بمدير مكتبنا في جدة.. لم أشعر بأنه قفز عندما سمع صوتي كما كان يفعل عندما كنت رئيسه. رحب بي ببرود وسألني عن الخدمة التي أريدها.. كان يهرع إلى الفندق عندما يعلم بوصولي. لقد تغير الحال وأصبحت رئيس مجلس إدارة سابق. مشكلتي أن هناك الكثير من الأمور لا أستطيع أن أقوم بها بنفسي ومنها الاتصالات التليفونية أو استئجار سيارة أو غيرها.. طلبت من مدير المكتب أن يخبر بعض المسئولين السعوديين بوصولي واسم الفندق ورقم حجرتي.. حجرة وليس جناحاً.. اختصر

الإجابة في كلمة واحدة.. أوكي.. واطيين أخر من قائمة طويلة من الواطيين الذين صنعتهم ورفعتهم وحولتهم من أبناء سبيل إلى أصحاب عزة وسمو ومال ومشروعات.

جوانا.. آه.. جوانا هي الباقية.. هي التي مازالت مخلصة ووفية.. تحدثني في التليفون، تطمئن علىَ.. تسأل إذا كنت في شرم الشيخ أو الغردقة ومتى سأعود؟. طلبت منها أن تتصل بي مرة واحدة يومياً على الأقل.. تتصل هي، فاتصالي بها سيكشف أنني خارج مصر.. طلبت بدلال أن تتصل بي مرتين لأن مرة واحدة لا تكفي.. هذه الهدية التي قدمها لي محى والتي غفرت له بسببها بقية ذنوبه ولا أصدق ما قاله لي بعد وصولها إلى منزلي، من أن الأسيويين غاية في الشراسة والغضب وفي حالة هياجهم يتحولون في لحظة إلى قتله.. ربما يكون كل الأسيويين كذلك، إلا جوانا.. هذه المخلوقة الجميلة الوارفة التي سأستظل بها من قيظ الأصدقاء وهجرهم. أخبرتها أن تتصل مرتين في اليوم أو أكثر إن شاءت ولكن لمدد قصيرة.. لم أقل لها أن تكلفة المكالمات ستكون غالية الثمن ولكنني تحججت بانشغالي الدائم وأنا في الحقيقة خالي شغل.. فاضي.. رئيس مجلس إدارة سابق أصبح "ملطشة" لكل من هب ودب.

نصف يوم قضيته في حجرتي بالفندق. لم يرن جـرس التليفون ولو لمرة واحدة.. لم يسأل عني مسئول سعودي كبير أو متوسط أو صغير.

كنت بمجرد وصولي لا تنقطع التليفونات ولا تنتهي الاستقبالات.. كان أغلبهم يخطب ودي ويشيد بمقالاتي ومديحي الدائم للمملكة السعودية.. الآن لا أحد يسأل عني.. يبدو أنهم مثل مسئولينا. لا يحترمون المسئولين السابقين.. عاودت الاتصال بمكتب الجريدة.. لعل وعسى يأتي مدير المكتب. صوت آخر يرد عليَ.. يخبرني أن الأستاذ نزل وقد لا يأتي إلى المكتب بقية اليوم. أعرف مثل هذه الأساليب في التهرب. مارستها من قبل ولكن بطريقة أكثر تهذيباً. لماذا لا أنزل إلى بهو الفندق.. إلى متى سأظل أخاف الناس واتوارى عن أنظارهم.. لست المسئول الأول الذين يستغنون عن خدماته ولكنني في الحقيقة المسئول الأول الذي شيعوه بهذا الكم الهائل من الشائعات والأكاذيب والفضائح. المسئول الأوحد الذي أطلقوا عليه الكلاب الشرسة.. المشكلة أن هؤلاء الكلاب، إن لم يكن كلهم، فأغلبهم من داخل مؤسستي.. أنا الذي أطعمتهم وربيتهم.. كنت أطلقهم على غيري.. جاء اليوم ليوجهوا نباحهم إلـيَ وينهشوا لحمي وعظامي.

في بهو الفندق خليط من أجناس مختلفة.. نساء ورجال وشباب.. يبدو أنهم جاءوا للعمرة عن طريق إحدى شركات السياحة غير عالية التكاليف. لن أجد فيهم من يعرفني ولن أصطدم بما يعكر صفوي، سأمكث في الفندق عدة أيام.. إن لم يسأل عني أحد من المسئولين السعوديين سأتوجه إلى مكة لأداء العمرة وأعود. مرة ثانية إلى جدة لأقرر ما هي الخطوة القادمة التي سأقدم عليها.

- أهلاً أستاذ فاروق.. يا ترى زيارة تسوّق أم عمرة؟

شابة في العقد الرابع تمد يدها بالسلام، بملابس الإحرام البيضاء.. وعلى رأسها طرحة بيضاء، معها امرأة أكبر سناً، قد تكون أمها أو أختها، الشبه بينهما واضحاً.

- أستاذ فاروق، يبدو أنك لا تتذكرني؟! ذكرتني بنفسها.. كانت تعمل معي منذ ما يزيد عن عشرين عاماً، كنت مازلت مديراً للتحرير.. فكرت لها في باب تكتبه وباسم مستعار.. حققت نجاحات في وقت قصير.. كانت تصل الجريدة عشرات الخطابات يومياً باسمها.. انتابها الغرور.. تذكرت الآن.. حين قررت أن ألغي الباب وأن ألغيها هي من الوجود. فكرت لها في حيلة تجعلها تهرب من الجريدة ولا تعود إليها مرة أخرى. قررت تصفيتها.. اغتيالها معنوياً وجسدياً. في اليوم التالي وعلى الصفحة

الأولى من الجريدة نشرت خبراً. كتبته بيدي "انتقلت إلى رحمة الله إثر حادث أليم الأستاذة فلانة الفلانية صاحبة باب "الحب جميل" وألهم الله أهلها وأصدقاءها وقراءها الصبر والسلوان" فقرة واحدة قضيت بها عليها أو ظننت أنني قضيت عليها، إلا أنها الآن وبعد هذه السنوات تبدو أكثر قوة مني.. أكثر قدرة على مواجهة الناس وربما أكثر قدرة على التسامح.

- عمرة مقبولة يا أستاذ فاروق وربنا يغفر لك ويتوب عليك.

جملة أشد فتكا من "انتقلت إلى رحمة الله أثر حادث أليم" نطقت بها وسحبت أمها من يدها وأخبرتها وسمعت بأذني قولها لها.. هذا الشخص.. الذي يبدو حطام إنسان هو الأستاذ فاروق الذي قتلني منذ عشرين عاماً.. الجلوس في البهو غير محمود العواقب.. كيف لو قابلني شخصاً ليس لديه قدرة على التسامح مثل هذه الصحفية السابقة، ربما لكمني في أسناني أو بصق على وجهي.. الجلوس في الغرفة أكثر أمناً وأكثر راحة.

صعدت إلى غرفتي.. طلبت من موظف الاستقبال أن يرسل لي كل الجرائد المصرية يومياً.. كل ما يصله من الجرائد القومية والحزبية والمستقلة.. رن جرس التليفون..

موظف الاستقبال يخبرني بأن شخص سعودي يرغب في رؤيتي أو الصعود إليَ.. ذكر اسمه.. تذكرته.. رجل أعمال استضافني عنده أكثر من مرة وكنت أرد له الزيارة عندما يأتي مصر..

- أهلا وسهلاً.. أنا في انتظاره.

أحضان وقبلات وسؤال عن الأهل والأصدقاء في مصر.. يعرف كل أصدقائي.. يعرف شلة المقهى. أعرب عن شديد أسفه لما آل إليه وضع خليل والحكم عليه ودخوله السجن.. يتعجب من حال مصر.. وكيف تصنع الحكومة هذا في رجالها.. في السعودية وفي دول الخليج بأسرها إذا اشتد غضب الحكام على أحد المسئولين السابقين.. تجري معه مفاوضات جادة تنتهي بالسماح له بالخروج من البلد واختيار المنفى الذي يريده وأحياناً يخصص له راتباً، على أن يخرج من البلد بكرامته ويعيش في الخارج بكرامته على ألا يمس النظام بسوء أو يشارك في أية حملات معادية أو يدلي حتى بتصريحات صحفية.. يخرج بهدوء ويظل النظام في هدوئه.. لا يزج بمسئول خليجي أو سعودي سابق في السجن.. قصة يعرفها الجميع ويوافقون عليها طواعية.

- مصر أم الدنيا.. غير كل الدنيا.

تهكم رجل الأعمال السعودي على هذا السلوك المصري الذي يراه أنه غير مناسب على الإطلاق. مفضلاً الأسلوب الخليجي في التعامل مع المسئولين السابقين الذين يخطئون أو يخرجون عن خط الصواب ويسأل عن جو الاستثمارات في مصر والقوانين الجديدة وموضوع البورصة واستقرار الحال وقوة الحكومة.. اسئلة كثيرة لم يعد لـــدى إجابـــات عليها.. أنا بعيد عن دائرة الحكم والحكام منذ شـــهور.. لا أعلم ماذا سيكون حالي وهل سألحق بخليـــل أو ســـيطبقون معي الأسلوب الخليجي.. أصبح في العالم كله مواصـــفات جديدة.. أفضلها الآن المواصـــفات الخليجيـــة حتـــى فـــي السيارات.. أفضل مواصفات تضعها الشركات في البضائع المصدرة للخليج. حديثه "لا يودي.. ولا يجيب" أرغب في أن يأتيني أحد أصدقائي القدامى مـــن كبـــار المـــسئولين، لأستطعفه أن يجري اتصالاته وليأتي لى بخبر يقيني، أن لا أحد سيلمسنى وأنني إن لم أظل كما كنت فـــاروق عـــوض الرجل القوي الذي يرهب كبـــار المـــسئولين و الـــوزراء. سأظل فاروق عوض الآمن من إرهاب صغار المسئولين.

ثلاثة أيام لم يسأل عني أحد سوى رجل الأعمال هـــذا، مدير مكتبنا لم يكلف خاطره ليرفع سماعة التليفون ليـــسأل عني وهو الذي كان لا يتركني من قبل عندما أهبط جدة..

كنت أنا الذي أطلب منه أن يتركني ويذهب إلى زوجته وأولاده، إلا أنه كان يأبى ويصر على أن يبقى معي حتى أدخل السرير. لم يعد هذا يؤلمني. اكتسبت بعض المناعة خلال الشهور الماضية.. اكتشفت أن قلّة الأصل هي عامل الوراثة الثابت في كل البشر.. في كل من عرفت.. في كل من اقترب مني أو قربته أنا مني. لا ينتشلني من أحزاني سوى تليفون جوانا.. تسأل وتسأل وقد تظل تسأل وأسأل أنا نفسي بدوري عن الدافع الحقيقي لهذا النوع من الارتباط.. هل تحبني جوانا أو أنها تشعر بألمي وأحزاني؟. هل تفكر أن تأخذني معها إلى الفلبين؟ هل تخطط للزواج مني؟ أو أن هؤلاء النسوة لا يهمهن الزواج؟ هل معاملتي الكريمة لها قربتها إليَ بالفعل؟ أو أنها مثل غيرها تتظاهر بذلك.

- جوانا تصبحي على خير.

كومة من الجرائد المصرية الحكومية والمستقلة والحزبية يحملها عامل الفندق.. لم أعد شديد التأثر بما يكتب كما كنت في السابق.. كل ما يهمني فيما ينشر عني هو صحة الأخبار المنشورة أو تلفيقها ومحاولة معرفة المصدر الذي سرب مثل هذه الأخبار والأسرار. "عين الصقر" تكتب "فاروق عوض يتقدم بشكوى إلى نقابة

الصحفيين". الشكوى التي طلبت من نجيب أن يقدمها باسمي.. التكملة صفحة ستة. صفحة كاملة عليَ.. لا بأس.. نص الشكوى بالكامل. وتصريح من سكرتير عام نقابة الصحفيين "من حق الأستاذ فاروق عوض مثله مثل غيره من أعضاء الجمعية العمومية بالتقدم إلى النقابة بمذكرة أو شكوى أو خلافه، فله ما لغيره من حقوق وإذا كان في هذه المذكرة يطلب التحقيق وضرورة الالتزام بميثاق الشرف الصحفي فيما نشرته الصحف في حقه، فهذا حقه رغم أنه رفض المثول من قبل أمام لجان تحقيق نقابية في الشكاوي التي قدمت ضده إبّان رئاسته لمجلس إدارة المؤسسة. نحن لا نزر وازرة وزر أخرى. شكوى الأستاذ فاروق ستعرض على اجتماع مجلس النقابة القادم. فالنقابة في البداية والنهاية هي ملاذ كل الصحفيين، سواء كانوا رؤساء تحرير أو رؤساء مجلس إدارة.. كبيرهم وصغيرهم أمام قانون النقابة سواء".

واطي من ضمن الواطيين.. حاولت بكل الطرق اسقاطه في كل الانتخابات السابقة إلا أنني فشلت وقررت العمل بمثل زوج خالتي الرجل الثقيل "اليد إللي متقدرش تقطعها.. بوسها".. إلا أنه توليفه غريبة.. منوفي.. والمنوفي لا يلوف "وناصري ما زال يؤمن أن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير

القوة، وله معي ثأر قديم. في نفس الصفحة قائمة بالشكاوي التي قدمت ضدي وتواريخها. ملف كامل بما اسموه مخالفاتي وفضائحي مسلسل تاريخياً.

منها شكوى البت الواطية الصحفية التي فصلتها ومذكرتها التي قدمتها للنقابة تلمح فيها ولا تصرح بأنني تحرشت بها. هذا الملف لم يسلمه للجريدة إلا صاحبنا السكرتير العام.

عين الصقر ليست الجريدة الوحيدة التي تهاجمني، انضم إليها عدد من الصحف الصغيرة. كل منها تحاول أن تجد لها مكاناً على الأرصفة عند باعة الجرائد.. الهجوم علىَّ أصبح هو الطريق للوصول إلى القارئ. صحيفة أخرى تتحدث عن جهات رقابية سيادية تجمع الأدلة والمستندات التي تدينني ويقول بالاسم "فاروق عوض وأرقام حساباته السرية في سويسرا". ليس لي حسابات سرية في أي مكان.. حساباتي علنية وفي بنوك خليجية.. لن يمسها أحد بسوء ولا يوجد لدي أي جهة كانت من أدلة أو مستندات تستطيع بها إدانتي. إدانتي تعني إدانة نظام بأكمله.. دولة بكل رجالها. لقد أديت واجبي طوال السنوات الماضية على

أكمل وجه واذا كان هناك من يريدون تصعيدهم وتلميعهم فيجب ألا يكون عليَ حساب رموز الوطن.

جرس التليفون يرن.. نجيب يخبرني أنه قدم المذكرة وأن هناك جرائد أخرى دخلت المعركة وهل يقدم مذكرة أخرى مجمعة فيها كل تجاوزات النشر ومخالفة ميثاق الشرف الصحفي.. نجيب يحدثني عن الشرف الصحفي.. شر البلية ما يضحك.

- لا.. لا.. لا تقدم مذكرات أخرى.. تابع فقط مجلس النقابة.. وعاوز أعرف الأعضاء اللى مع الشكوى واللي ضدها.. عاوز أعرف من معي ومن ضدي.. تابع فقط!.

نجيب يريدها ناراً، ينتعش مع البلاوي والمعارك، يقدم أفضل ما لديه في الساعات الحالكة ليؤكد لي أنه أفضل بكثير ممن قدمتهم عليه وممن فضلتهم عليه. أنا أعلم قدراته إلا أنني لم أستطع ترشيحه رئيساً لتحرير إحدى مطبوعات المؤسسة، أعلم أن الأمن من الممكن أن يرفضه ولذا رشحت الباهت عديم اللون والطعم والموهبة عبده سليم وأصبح رئيساً للتحرير. نعم أوصيت عبده بضرورة ترقية نجيب إلى نائب أول رئيس تحرير ولم يرفض الولد طلبي، إلا أن نجيب مازال يظن أنه لم يأخذ كامل حقه. يريد أن

يستعرض مهاراته وقدراته.. لا يفهم أن الأمن لا يجدد ملفاته وأن ملفه السابق في صحيفة معارضة لم ينقل ولن ينقل إلى صفوف ملفات مؤيدي ومحبي ومباركي الحكومة.

الإقامة في جدة غير مجدية.. الأفضل أن أخرج لأداء العمرة.. أغسل بعض همومي وأشحن طاقتي لما يستجد من معارك.. محتاج الواطي مدير مكتبنا.. أتصلت به أكثر من مرة.. غير متواجد في المكتب.. أخبرت من يرد عليَ بأني احتاجه ضرورياً. أرغب في تعديل تذكرة السفر ويجب أن يرد عليَ في أسرع وقت. اتصل بي تليفونياً وبأدب جم مبالغ فيه.

- أنا تحت أمرك.. أستاذ فاروق.

- عاوز أعمل "كونكشن" لتذكرة السفر، بدلاً من القاهرة- جدة- القاهرة، إلى القاهرة- جدة- المدينة المنورة- البحرين- القاهرة.

- أنا تحت أمرك.. سأرسل لك موظفاً فوراً من المكتب لعمل اللازم.

أرسل موظفاً.. لم يأت هو.. الولد عمل اللازم، عدل التذكرة.. من جدة إلى مكة.. سيارة ليموزين قطعت المسافة في خمسة واربعين دقيقة.. سائقو مكة أدري بالفعل

بشعابها.. طفت بالبيت.. لم أعلم من أين أتى هذا الكم من الدموع.. لم يأت على لساني سواء دعاء واحد.. سترك ومغفرتك ورضاك. قضيت اليوم كله في الحرم.. شعرت أنني أطير لا أمشي.. مذاق خاص لعمرة هذه المرة.. ربما لأنها من حر مالي وربما أنني كنت في أشد الحاجة لغسل همومي وطلب العون الإلهي للخروج من محنتي.. عدت في نفس الليلة إلى جدة.. إلى نفس الفندق.. سألت: هل سأل عني أحد؟ لا أحد. في الغد سأذهب إلى المدينة المنورة. التليفون يرن.. التليفون المحمول أصبح في غاية الأهمية وغاية الإزعاج.. مازال الشحن الإيماني يعمل.. والرضا النفسي ينساب بين ضلوعي..

- آلو.. فاروق بك.. أنا شوكت المحامي.. عندي أخبار مش أكيدة.. إلا أنها مزعجة.. أنت فين؟

- أنا في شرم الشيخ.

- قدامك كام يوم؟

- حوالي أسبوع.. إيه هيّه الأخبار؟

- صحفي تقدم ضدك ببلاغ إلى النائب العام.. الآن يتم البحث في جدية البلاغ.. مصادري هناك أكدت ذلك وقد يتم إبلاغك بالمثول أو يحفظ البلاغ.

- المهم.. يا شوكت بك.. إحنا وضعنا القانوني إيه؟

- زي الحديد.. المهم أنت.. يجب ألا تهتز!

شوكت بك صديقي والمحامي الشخصي والذي صاغ لي وللمؤسسة كل العقود القانونية من بيع وشـــراء وخلافـــه.. منهم عقد شراء الأرض الذي بنيت عليه ملحق المؤسسة.. هو الذي صاغ العقد الأصلي والمضروب.. عقد يقول أننا دفعنا اثنتا عشرة مليونا من الجنيهات ثمناً للأرض وعقـــداً يقول أن مادفع سبعة مليون فقط.. هذان العقدان هما اللذان سرقتهما السكرتيرة التي أرسلها لي صديقي محيي ربيعى.. هذه هي الثغرة القانونية الوحيدة أو التهمة الموثقة في حالة ظهور العقد الأصلي.. غير ذلك.. لا أوراق أو مـــستندات من الممكن أن تضعني في وضع المسائلة القانونية. شوكت يطلب مني الثبات.. الحمد الله بعد زيارة مكـــة والطـــواف بالبيت وتقبيل الحجر الأسعد.. أشعر أننـــي قـــادر علـــى اختراق الحديد وغداً بعد زيارتي للمدينة سأزيد قوة بإذن الله وثباتاً.

المحامي المتمرس مثل شوكت لو حدثك بالساعات فـــي التليفون وسجل لك الجن الأزرق المكالمة، لا يوجد حرفـــاً أو كلمة أو جملة يمكن استخدامها في إدانتك.. أوضـــح أن كل شيء مضبوط وتمام وأوراقنا جاهزة وسليمة وأن كـــل

ما يذكر في الجرائد مجرد فرقعات وشائعات وأن هناك من يدفع مثل هؤلاء الصحفيين الصغار لارتكاب مثـــل هـــذه المخالفات وأن من يدفعهم لفعل ذلك يسئ إلى النظام كلـــه ولا يسيء إلى فاروق بك عوض.. رسائل يرسلها إلى كل الأطراف ويعمد في الإطالة والشرح والتقليل من شأن مـــا يحدث وتقزيم من يقومون بمثل هذه الأعمال.. محام محنك من رجالات الحزب الحاكم ويقدم مشورته القانونية لكافـــة الأحزاب المعارضة.

شوكت من فرقة المقهى. رجال ملء الـــسمع والبـــصر وصورهم تحتل الصحف بصفة يومية، إلا أنهم فرقة يجب أن تعد أصابعك بعد أن تمد إلى أي منهم يدك بالسلام.. لم أعد أثق فيهم على الإطـــلاق، لـــيس بـــسبب الـــسكرتيرة الحرامية التي أهداها إلىَ محيي ربيعى ولكن لأمور كثيرة أتضحت فيما بعد. العلاقة بينهم ليست علاقة منفعة وحسب، كل العلاقات أصبحت تقاس وتقيم بمدى الاســـتفادة ولكـــن المشكلة في قلة أصل أفرادها. عندما سجن خليل وقف من يقول وسط الفرقة أنه لا يعرف أحداً بهذا الاســـم وعنـــدما خرجت أنا من الخدمة، تهربوا جميعاً مني وغيروا موعـــد جلساتهم ولم يخبرونني بها وعندما شاهدونني في المقهى.. كل منهم حاول أن يهرب وكأنه شاهد كلباً أجرباً.. شوكت

هذا في حد ذاته حدوته. يلعب مع الجن، إلا أنــه يحــافظ بشكل غريب على مكانته كمحام.. رأسماله سمعته المهنية ولا يفرط فيها ابداً.. لهذا السبب وحده، أئتمنت شوكت على أسراري وعلى رقبتى، جمعت بيننا المنفعة والصداقة. آتى له بكبار المستثمرين العرب، يصيغ لهم العقــود ويحــصل منهم على الملايين ويكتم الأسرار.

أصحو وأنام على صوت جوانا.. تسألني عن حال البحر وهل نزلت أو لا وهل هناك من يعمل لي مساج.. مــساج إيه وأنا جاي من مكة.. قلت لها أن البحر جميــل والميــاه دافئة.. كنت أتمنى وجودها معي.. عادت تــسألني متــى سأعود وأخبرتني بأسماء الذين اتصلوا بي تليفونيــاً علــى المنزل واشتكت من سيد السائق الذي رفــض الاســتجابة لأوامرها وتغيير وشراء بعض زجاجات الميــاه الغازيــة والمعدنية. أمور في غاية التفاهة. أوعدها بأنني سأحاســبه عندما أعود ولا تشغل بالها كثيراً به وأعدها بأنني سأحضر لها هدية جميلة من شرم الشيخ وأنام على جملتها تــصبح على خير.

نزلت اراجع حساب الفندق.. سألني الموظف هل يرسل الفاتورة إلى مكتبنا في جدة. يعلم أنني رئيس مجلــس إدارة كبير.. ولكنه فيما يبدو لا يعلم أني الآن أصبحت ســابقاً..

دفعت الحساب بالفيزا كارت وسيارة من أمام الفندق إلى المطار ومن جدة إلى المدينة في أقل من ساعة.. لا أعلم كيف يتحمل الحجاج والمعتمرون رحلة السيارة.. المسافة بالسيارة لا تقل عن ست ساعات.. البعض يقول الثواب على قدر المشقة. في المسجد النبوي وجدت نفسي مرة أخرى أبلل وجهي بالدموع.. أطلب الصفح والمغفرة وأطلب الستر والعفو.. اليوم كله قضيته في المسجد النبوي.. قابلت وجهاً كأنني أعرفه وكأنه يقول لي لا لبيك ولا سعديك.. بت ليلتي بفندق صغير في المدينة وفي الصباح كنت في الطائرة المتجهة للبحرين.. حبي وعشقي.. أحس بنشوة غريبة.. لا خوف ولا هلع.. الموت لم يعد يخيفنى من واجه مثلي الحياة بكل هذه الشجاعة لن يرهبه الموت ولكنني أخشى المذلة.. أخاف من المهانة أصاب بالرعب من نظرة تشفي.. من المطار إلى فندق ريجنسي.. بمجرد دخولي الحجرة اتصلت بمدير مكتبنا في البحرين أخبره بوجودي.. جاءني على الفور. الوحيد غير الواطي الذي أقابله منذ خروجي من الخدمة. أجرى اتصالات تليفونية من حجرتي.. أخبر عدداً من المسئولين

كبارهم وصغارهم بوصولي إلى المنامة وإقامتي في فندق ريجنسي وأعطاني رقم تليفونه المحمول واستأذن في الانصراف. الوحيد الذي عاملني وكأنني مازلت رئيساً لمجلس الإدارة.

رعشة بسيطة وارتفاع طفيف في درجة الحرارة. مشقة الرحلة والتنقل وثقل الهم الذي أشعر أنني تخلصت منه حيناً وأحسه وقد زحف على أكتافي وصدري مرة أخرى. طلبت من موظف الاستقبال أن يمنع عني الاتصالات التليفونية ووضعت الورقة الكرتونية التي تقول "ممنوع الإزعاج" على الباب.. أخذت حماماً وأغلقت تليفوني المحمول ونمت.. قمت.. درجة الحرارة كما هي، زادت عليها دوخة طفيفة.. أشعر بدوار.. اتصلت بالاستقبال.. طلبت منهم أن يرسلوا إلى غرفتي طبيباً. الطبيب هندي عجوز كأنه من مخلفات الاحتلال الانجليزي في البحرين. قاس الضغط.. وضع سماعته على صدري وظهري.. طلب أن اكح.. طبيب تقليدي قديم.. سأل ماذا أكلت في الصباح أو الأمس. كتب روشته.. وقال إرهاق زائد.. الضغط مرتفع بعض الشيء.. تحتاج بعض الراحة.. لم استجب لتعليماته.. ارتديت ملابسي ونزلت. باب البحرين الشهير.. دخلت منه إلى شارع التجار وسوق الذهب.. اشتريت انسيالاً رقيقاً

لجوانا.. وضعه البائع في علبة قطيفة زرقاء.. تجولت فى الشوارع التي أعرفها.. وصلت إلى فندق ديلمـــون. فنـــدق صغير جميل.. أغلب رواده من الإنجليز.. الكافتيريا والبار في الدور الأرضي. أنجليز البحرين غير أي انجليز في أي مكان. النساء والفتيات جميلات.. في بلاد الانجليز تــرى عشرات النساء متوسطات الجمال، أما في البحرين فغيــر مسموح لدخول غير فائقات الجمال.. طول فــارع وشــعر ذهبي حقيقي ووجوه بيضاء أضفت عليها شمس البحــرين رونقاً وحياة.. في الكافتيريا وعلى المقاعد المواجهة للبار، نساء وفتيات.. كنت أنظر إلى ظهورهن.. قائمة مستقيمة، لا تدلي منهن أرطال من الشحم الزائــد. طلبــت عــصير ليمون وطبق مزة فاخر.. الجرسون الفلبيني كتم دهــشته.. المزة مع طلب البيرة أو المشروبات الكحولية. نظر نظرة تحمل معنى واحد وهو أن الزبون دائماً على حــق وجــاء بالمطلوب. تعودت ألا أشرب في مكان عــام وخاصـــة إن كنت في مصر أو دولة عربية مثل البحرين. شغلت نفسي بالنظر إلى الإنجليزيات. أردافهن.. سيقانهن.. صـــدورهن واشتقت لجوانا. منذ أن عرفت جوانا أصبحت أكثر مــيلاً للجمال الأسيوي. خرجت واستكملت التجــوال.. فرصـــة محروماً منها في القاهرة.. دخلت محل جاشنمال.. جربت

كل انواع العطور المعروضة لتجربة الزبائن.. اشـــتريت رابطة عنق لا احتاجها.. وقفت امام محل "الفقيه" واحد من سلسلة محلات ملابس شـــهيرة فـــي البحـــرين.. أغلـــب المعروضات انجليزية مائة في المائة.. في الفاترينة جاكت جذبني، من الألوان التي أفضلها.. ليموني فاقع. اشتريته.. بعد جدال في سعره والحصول علـــى تخفـــيض.. فنـــدق ريجنسي ليس ببعيد.. اكملت السير إلى هناك.

في بهو الفندق تجلس مجموعة من الأصدقاء القدامى من البحرينيين. رئيس تحرير ســـابق.. وكيـــل وزارة إعـــلام سابق.. رجل أعمال على علاقة طيبة بكل وزراء مـــصر السابقين والحاليين ومدير مكتب مصر للطيـــران. رحبـــوا بقدومي.. احتضنني كل واحد منهم.. من عادة أهل البحرين إذا كنت عندهم ضيفاً وقاموا بزيارتك في الفندق الذي تقيم فيه، يأخذونك إلى فندق أخر للاحتفال بك.. استاذنتهم فـــي الصعود إلى غرفتي، أضع المشتريات وأخذ حماماً وأغيـــر ملابسي وأنزل معهم. إلى فندق "لافاندوم" أغلب زبائنه من الأسيويين، خاصة الفلبين وبعض السعوديين الذين يـــأتون لقضاء يومي الخميس والجمعة.. كل مضيفات الكافتيريا من الفلبينيات نفس حجم جوانا وتكويرة أكتافها. السؤال الوحيد يدور حول الأوضاع في مصر. ويسأل مدير مكتب مصر

للطيران عن قرب صدور حركة التنقلات وأنه يرغب في أن يستمر بالبحرين مدة أخرى.. لم يعد لي معلومات ولم يعد لدي نفوذ لأتوسط له ليبقى في البحرين.. وكيل الوزارة السابق يسأل عن نهاية الفضائح المثارة في الصحف.. رجل الأعمال البحرييني يؤكد عزمه على بقائي في البحرين إلى أن تنتهي الهوجة الحالية أو أن يطمئن بنفسه من أعلى سلطة في البلد أن لن يمسني أحد.

جو افتقدته منذ خروجي من السلطة، إلا أن بقائي في البحرين طويلاً لا أتخيله. فالجو هنا لا يناسبني على الإطلاق.. رطوبة طوال العام.. أنا إذا كنت أفكر في الهروب، ففرنسا هي أقرب بلدان أوربا قرباً لقلبي وعلاقاتي بها واسعة، خاصة رجال الأعمال المصريين الذين هربوا من مصر بعد ملاحقتهم بتهمة توظيف الأموال. الخليج لا يناسبني على الإطلاق.. رجل الأعمال البحريني أكد أننا جميعاً على موعد معه غداً على العشاء في قصره العامر بمنطقة الرفاع.. منطقة الشيوخ وكبار القوم، مع وعد بأنه سيجري اتصالاته للتأكد من وضعي القانوني ولن يتركني أغادر البحرين إلا بعدما يتأكد أن "الأمور ستسير تمام". عدت إلى الفندق. نمت ليلة هادئة.

تحدثت معي جوانا طويلاً إلا أن الخط انقطع لنفاذ رصيدها في التليفون.

لم أغادر حجرتي حتى المساء.. كومة من الجرائد المصرية، لم يخل جرنال واحد من مهاجمتي.. ما بين خبر وتحقيق ومقال.. ما يقطع في جسدي أن جرنالي يقود الحملة. كلام يكتبه رئيس مجلس الإدارة الجديد عن مشاكل الصحف القومية واختلال ميزانياتها والقيود التي ترهقها بفضل الديون وأعباء الديون وفي ثنايا مقاله يطلب من المسئولين ضرورة محاسبة المتسببين في الأزمة، لا يقصد إلا سواي. ولا يهدف إلا لتدميري.. حدوته حماية الصحف القومية والخوف عليها مجرد غطاء يطلق من تحته الرصاص علَ وعلى تاريخي، كأن بيني وبينه ثأر ودم.. عندما أعود وتهدأ الأمور سأتعامل معه وبطريقته، بنفس الهدوء وبنفس الرزانة، فلا بلطجة تنفع معه ولا تهديد قد يوقفه عند حده، خاصة وأنه يظن أن هناك من يحميه.. لم يسأل نفسه لحظة.. أين ذهب من كانوا يوفرون لي الحماية.!

أخبار أخرى عن مذكرات وشكاوي عديدة قدمت ضدي إلى نقابة الصحفيين، يبدو أنها هجوم مضاد على المذكرة التي تقدمت بها والغرض أن يتم سحب مذكرتي مقابل

سحب هذه المذكرات وقد يطلب مني ذلك سكرتير النقابة وقد يتحجج بأهمية وضرورة الحفاظ على وحدة الجماعة الصحفية وغيرها من الجمل التي يروجها في أحاديثه الصحفية وجعلت منه نجماً.. عندما أنزل مصر وتستقر الأمور وتنتهي الهوجة، سأضع كل واحد في حجمه الطبيعي. فاسد ومفسد ومبتز صحيفة أخرى تصدر من تحت بئر سلم تقذف عليَ بكل هذه الصفات السيئة والتهم.. من يمسك بكل الخيوط.. واحد.. شخص واحد.. اعرفه تماماً وإذا صدرت إليه التعليمات، سيلم ثعابينه وكلابه وقد يعود كما كان ولياً حميماً !

سيارة أرسلها رجل الأعمال البحريني، جاءت لتحملني إلى مدينة الرفاع.. نفس المجموعة.. ونفس الأحاديث.. تطرقوا إلى قضايا الفساد واللافتة التي ترفعها الحكومة أن لا تستر على فساد.. رجل الأعمال يفي بما وعد به.. اتصل تليفونياً بالرجل الذي أعرف أنه يلعب بكل الخيوط ويحرك كل العرائس. فهمت من الحوار أنه هو.. يسأله عن أخبار فاروق عوض ومتى ستنتهي الحملة ضده ويؤكد عليه أن كلمة واحدة منه ستنهي الأزمة وستكف الصحف عن مهاجمته.. يهز رجل الأعمال البحريني رأسه رضاء بما سمع من المسئول المصري الكبير ويودعه على أمل

اللقاء ويخبره بأن طلباته ستصله في أقرب وقت واتجه إليَ يخاطبني.

- الموضوع يا فاروق باشا مش هيطول.. الراجل الكبير بتاعكم وعدني.

- البركة فيك.

- وعدني وأقسم بالله العظيم أن لا نية على الإطلاق لتقديمك للمحاكمة وأنك أنت راجلهم.

- عملت كل ما طلب مني وما لم يطلب.. طلبوا مهاجمة الإخوان.. هاجمت.. أمروا بتقطيع الشيوعيين.. قطعت.. دفعوني للاشتباك مع الناصريين.. اشتبكت.. هاجمت أمريكا وبوش.. خونت رجال أمريكا في مصر وشرشحتهم.. أنا عملت عجين الفلاحة وفي النهاية تركوا شوية عيال واطية تقطعني.

- لا.. لا.. اطمئن.. لن يمسك أحد بسوء. الراجل قال أن هناك بلاغات قدمت إلى النائب العام، تركها تسير في مسارها حتى لا يقال أن الحكومة تتستر على فساد.. مرة أخرى.. لو أعلم أن هناك من يضرك لن أتركك تغادر البحرين.. روح واطمئن وزي ما بتقولوا حط في بطنك بطيخة صيفي.

كلامه أثلج صدري، فأنا أعلم أن هذا المسئول لا يستطيع الكذب على هذا الرجل بالذات، فهناك مصالح بينهما بالملايين ولو كذب على الدنيا كلها لا يستطيع أن يكذب على صديقه هذا والذي كنت أنا السبب في تعرفه عليه وتقديمه إليه واتفقوا على الحصة والمبلغ أمامي مقابل أن يحمي له مصالحه واستثماراته في مصر.. سأغادر غداً.. طائرة الساعة ١١ من البحرين.. تصل مصر عصراً.. أخبرت جوانا أن ترسل إلى سيد السائق إلى المطار الساعة الرابعة.. أمام صالة الوصول الرئيسية وأن يتصل بي تليفونياً بمجرد وصوله إلى المطار وأخبرتها أنني اشتريت لها انسيالاً ذهبياً جميلاً من شرم الشيخ وأن الإنسيال يحتاج حفلاً كبيراً في حجرتها في ليلة تكون زوجتي المصونة عند أحد الأبناء.

رحلة هادئة إلى القاهرة.. قائد طائرة متمكن، لم يشعر المسافرون بمتاعب الإقلاع أو الهبوط.. مقاعد الدرجة الأولى تعطي براحاً، تمد فيه قدميك والخدمة أكثر من ممتازة، لا أعرف سر الهجوم الدائم على مصر للطيران.. هبطت الطائرة ونزلت السلم في انتظار الاتوبيس الذي سينقلني مع غيري إلى صالة الجوازات.. انتهى زمن صالة كبار الزوار وصغارها.. الاتوبيس اكتمل.. سأنتظر

عودته.. لمحت مندوب جريدتنا تحت سلم الطائرة ينتظـر قادماً ما.. كنت على وشك أن أنادي عليـه، إلا أنـه أدار وجهه بعيداً.. وابتعد خطوات.. مش مشكلة.. أهو واحد من الواطيين الذين قربتهم مني وعينتهم في المؤسسة. كلمـا أقابل أمثال هؤلاء الواطيين، أتذكر "واطيين" أخر كـان لا يكل من مهاجمتي.. لم ينفع معه خصم من راتب أو محاولات فصل. كان دائم القول عني بأنني "أقرب الأسافل مني كأنني أحن إلى عرق فىَ"

أنتظر الأتوبيس.. دقيقتان أو ثلاثة سيلقي بالقادمين إلى الصالة ويعود.. أنظر إلى الواد المندوب الـواطي، كـان مجرد سائق تاكسي يسكن بجوار منزل حماتي ويعـرف أخوات زوجتي.. توسلوا إلىَ كى أعينـه فـي الجريـدة.. جامعي ولا يجد عملاً.. عينته وعرف الطريـق. طريـق استقبال القادمين.. يخرج شنطه.. يتوسـط لـدي لرجـال الجمارك لتخفيض القيمة. أصبح يتكسب يومياً ما لا يقـل عن خمسمائة جنيها مقابل خدماته وتحـول مـن تـسليك الحقائب إلى الهوم ديلفري وتوصـيل الطلبـات للمنـازل، عندما عرفته على صديقي محيي ربيعى.. كـان ينتظـر النساء الأجنبيات القادمات ويقوم بتوصيلهن إلى الزبـائن..

واطيين.. وصل الاتوبيس ونزلت إلى صـــالة الجــوازات ووقفت مع الواقفين في الطابور.

الطابور طويل.. يرن جرس التليفون.. نجيب يسأل عن أخباري وموعد عودتي ويخبرني بما حققه حتى الآن فـــي تنظيم الجرنال الجديد واستكمال فريق العمل.

- أنا في المطار وصلت الآن من شرم الشيخ.. موعدنا غداً الساعة الخامسة مساء في التجمع الخامس.

الطابور يتحرك ببطء شديد وضابط الجوازات في حالة من البرود والاسترخاء العجيبة، لأول مرة أقف في طابور الجوازات.. لا أحد يسبقني ولا أحد يسير خلفي.. ولا حمد الله على السلامة يا باشا.. تحرك الطابور.. قدمت الجواز.. حمد الله على السلامة، قالها الضابط بآلية بـــاردة وكأنـــه جهاز تسجيل.. قلب في صفحات الجواز.. أعطاه لشخص يجلس خلفه وأمامه كمبيوتر.. طلب مني الانتظـــار علـــى المقاعد المجاورة لعدة دقائق.. سألته.

- خير يا حضرة الضابط.

- خير.. تشابه أسماء.. دقائق للتأكد.

تشابه أسماء.. كم واحد في مصر يحمل اســـمي.. أنـــا فاروق عوض.. الصحفي المعروف ورئيس مجلس الإدارة

السابق.. تشابه أسماء.. يا واطيينن.. ربما تكــون خدعــة لحملي فيما بعد إلى جهة ما.. من اتصل بــه الآن؟ الكــل تخلى عني.. لن يرد أحد على هاتفي.. دقائق كأنها دهر.. نادى أمين شرطة على اسمي.. فاروق عوض.. دون باشا ودون أستاذ.. الجواز يخفيه وراء ظهره.. أسلوب أعرفــه لإلقاء الرعب في قلوب القادمين.. سلمني الجواز.. حمد الله على السلامة. الله لا يسلمك ولا يسلم أمثالك.. طلبت ســيد السائق.. أنت فين.. على بوابة الوصــول الرئيــسية.. لا أحمل حقائب.. حقيبة يد صغيرة.. خرجت.. حملني ســيد إلى التجمع الخامس.

* * *

غسيل القلوب

الروتين اليوم.. الحديقة والعصائر والإفطار وسيد السائق وجوانا وتحية الصباح للست المدام قبل مغادرتها للمنزل.. جوانا اشتقت إليها.. ثمان أيام قضيتها بعيداً عنها، بين المسجد الحرام والمسجد النبوي والبحرين. صدقت جوانا أنني كنت في شرم الشيخ، واحدة من أهم مميزاتها أن تصدق كل ما يقال لها، فهي منذ عرفتها لا تعرف الكذب. بمجرد أن توارى سيد عن نظري، قدمت لها الهدية والاحتفال فيما بعد.

فكرة إزالة السور الأسمنتي فكرة جيدة.. أستطيع أن أرى الطريق من خلال القضبان الحديدية الجديدة.. الشارع أمامي عرضه أربعين متراً.. كأنني أدخلت الشارع إلى الفيلا أو نقلت الفيلا إلى الشارع.. الاتساع يعطيني فسحة للتأمل والتفكير والتدبير.. يمنحني قوة للتخطيط القادم وكيف سأتعامل مع المشاكل.. في البيت ليس لدي مشكلة. أنا في حالي وزوجتي في حالها. المشكلة داخل المؤسسة التي غادرتها والثعابين التي خرجت من شقوقها. المشكلة في الجرنال الجديد وهل سأستطيع أن حقق نجاحاً مثل الذي فعلته في جرنالي القديم؟ هل سأبسط سيطرتي على الجيل

الجديد من الصحفيين المتمردين الذين ظهروا في سوق الصحافة؟ كل ذلك لا يقارن بمشكلة المسئول الكبير وكيفية استعادة رضاه مرة أخرى.. خضرة الحديقة تهدىء من خاطري بعض الشيء.

نظام الري في حديقتي يعمل بطريقتين.. الري بالرش والري بالتنقيط.. الأشجار على حواف الفيلا تمرتحتها خراطيم الري بالتنقيط والنجيلة تروي بالرش.. أصبحت مدمناً لرذاذ المياه، خاصة في الصباح اثناء فترة تناولي الإفطار في الحديقة.. سواء كان الموسم صيفاً أو شتاء.. المياه بالفعل تغسل الأبدان، إلا أنني لم أعثر حتى الآن على المادة التي تغسل القلوب.. لو أعرف أن لها مكاناً تنتج فيه أو بلد تصدره لذهبت إلى هناك. أحتاج أن أغسل قلبي من الإهانات التي لحقت بي. إهانات وقعت لا محالة.. قد يكون الجرنال الجديد وحبره الساخن هو المادة التي تزيل هذه الإهانات والنظرات واللمزات والغمزات. أول مرة أجلس في الحديقة على مقعد أمد قدمي عل المقعد المقابل. التليفون يرن.

- نجيب.. موعدنا الساعة الخامسة مساء.

- سأحضر معي ماكيت الجرنال وأسماء الطاقم الذي أرشحه لسيادتك للعمل معنا.

- أوكي.. كله الساعة الخامسة.

لا أرغب أن يفسد عليَ نجيب جمال الصباح أو يذكر لي في ثنايا حديثة ما يزعجني ويعكر صفوي.. أمامي يوم كامل من الاستمتاع بالهدوء.. بالنظر إلى الشجر.. بالتطلع إلى جوانا وأن أنظر من خلال السور الجديد إلى الدنيا واتساعها.. التليفون يرن.. المسئول إياه.. هل أرد عليه أو أتركه.. أنا في أشد الحاجة إليه ليتركني في حالي.. إذ كان لا يرغب في منع صبية الصحافة في تجريسي.. فإنه على الأقل يستطيع أن يتركني وشأني ولا يحيك ضدي المؤامرات. نعم سبني بأمي و"قل" أدبه.. وهددني ولكن لا أستطيع أن أرد عليه إهانته.

- صباح الخير يا باشا.. تليفونك لا يرد عليَ منذ زمن.

- صباح الخير وحمد الله على السلامة.. يا راجل رايح تشتكيني في البحرين.

- أنا مقدرش.. دا الكلام جاب بعضه.

- صاحبك اتصل بي من البحرين وأكيد أنت كنت عنده.. أوصاني عليك وأنا ماقدرش أقول له لأ.. مجبتليش هدية معاك من البحرين ولا حتى سبحه من السعودية.

يحاول إبلاغي بأنه يعرف خط سيري بالخطوة والدقيقة.

- ثمانية أيام بره مصر يا قاسي.. إزاي يجيلك قلب تسيب مصر المدة ده كلها.. المهم متكنش دعيت عليَ في السعودية.. ويا عم حليب يا قشطة.. وشوف شغلك الجديد.

- صافي يا لبن.

أغلقت السماعة وأنا بين مكذب ومصدق لهذا الحديث الودي، إلا أن أمثال هؤلاء عندما تحتقن العلاقات لا تعود إلى طبيعتها بسهولة والعلاقة معه لم تحتقن فقط، فأنا أعلم علم اليقين أنه وراء الحملة التي تشن ضدي.. ناهيك عن الإهانة والسباب.. لابد أن تعود العلاقات.. لن تكون مثلما كانت إلا أن استمرارها بأي شكل ضروري بالنسبة لي. ضروري لجرنالي الجديد.. ضروري لعدم تعرضي لمزيد من الإهانات.

سيد يقدم لي فاتورة.. صيانة السيارة الدورية. استغل فترة سفري إلى شرم الشيخ كما قلت له وأرسل السيارة إلى التوكيل.. استبدلوا تيل الفرامل وبعض السيور والمقعد الخلفي.. مقعدي.. استبدله بالكامل لأن السوست أصبحت ضعيفة والمقعد غير مريح.. قيمة الفاتورة ستة وعشرين ألف من الجنيهات.. لم أعلق.. ابتسمت.. سألني عن سر ابتسامتي.. أخبرته أن قيمة الفاتورة مفروض أن أدفعها من جيبي الخاص.. من حر مالي.. أنا رئيس مجلس إدارة

سابق وقد انتهت أيام الخطف.. لم أكن في يوم من الأيام عبيطاً.. كل من أخذ مليماً من المؤسسة وليس جنيهاً كان بعلمي ومزاجي.

- أنت عارف يا سيد موضوع السيارة اللادا بتاعة رئيس التحرير إياه.

- أيوه يا ريس.. عملوا لها ثلاث عمرات موتور في سنة واحدة.

- فاتورة العمرة الواحدة كانت عشرين ألف جنيه.

- حرامية يا ريس.

- لأ.. مش حرامية.. أنت اللي حرامي يا سيد، هم مسرقونيش.. سرقوا المؤسسة بمزاجي وأنت تحاول أن تسرقني يا سيد.

- الفاتورة لم تدفع يا ريس.. هذه صورة منها ومن الممكن أن تتأكد بنفسك يا ريس من التوكيل.

هو الوحيد الذي ما زال يناديني بـ "يا ريس" إلا أن كلمة يا ريس تلك التي مازالت تطربني لا تساوي الستة والعشرين ألف الذي يطلبها التوكيل: لا استطيع أن أفعل معه الآن ما فعلته في الجراج عندما كنت ريس بحق وحقيقي.. عند تقديم فاتورة العمرة الثالثة للسيارة اللادا..

سألتهم لماذا لم يذهبوا بها إلى هضبة المقطم ويسقطوها من هناك ويشترون سيارة لادا جديدة على الزيرو بستة وثلاثين ألف.. كان هذا سعرها في ذلك الحين.. وعندما نظر اللصوص إلى بعضهم البعض.. قلت لهم أنتم الذين تستحقون القذف بكم من فوق المقطم وقمت بتغيير كل قيادات الجراج.

يبدو أن المقعد والسلطة يجعلان صاحبهما فذ وعبقري ولماح وصاحب ومضة وعندما يسحبان من تحته يصبح عبيطاً، يضحك عليه السائق والخادم والبواب.. التخلص من سيد السائق في هذا التوقيت قد يفتح جبهة جديدة.. قد يذهب بنفسه إلى الجرائد المعارضة وقد يقنعه البعض بكتابة مذكراته ويختارون له العنوان "كنت سائقاً لفاروق عوض" ويحكي ويقول.. الصبر.

- هنمر على التوكيل يا سيد وندفع الفاتورة بالفيزا كارت. عارف ليه؟ عشان الفلوس كلها تروح التوكيل ويبوظ تخطيطك يا سيد.

ضربت سيد مرة واحدة.. ضربته بقسوة.. أخذت أصفعه وأركله دون عقل.. كنت سكران وخارج من الفندق قبل الفجر مع محيي ربيعى صديقي. دخلت السيارة نظرت إلى التابلوه.. محيي ربيعى اعطاني قبل النزول ثلاثة برشامات

على شكل قطع الشيكولاته، وضعتهم على تابلوه السيارة قبل نزولي، عندما عدت وجدتهما اثنتين لا ثلاثة.. سألته عن الثالثة.. أنكر مشاهدتها له أو أنه أكلها.. أخذت أضرب فيه ومحيي ربيعى في حالة ذهول.. أمسك بي ومنعني من الاستمرار ووعدني بإحضار علبة كاملة.

- فاكر يا سيد لما ضربتك عشان الملبس ؟

- أيوه يا ريس.. ما كنتش شيكولاته.. بعد العلقة الساخنة وعندما عدت إلى الجماعة ظللت الليلة كلها أدعو لك!

- يا سيد أنا مش عاوز أضربك تاني!

نوم العصاري.. الشيء الوحيد الذي أدمنته منذ خروجي من الخدمة.. إلا أنه يجعلني بقية اليوم نشيطاً ويقظاً دون الحاجة إلى أدوية محيي ربيعى التي كان يوزعها علينا ويدعي أنها تأتيه من أمريكا خصيصاً.. ما يتم فعله في الصباح يعاد تكراره بعد العصر.. نفس الجلسة والمكان لا يتغير إلا لون السماء أو المشهد كما يقول بتوع السينما.. في الصبح.. المشهد صباحي مشمس.. بعد العصر يتدرج لون النهار إلى أن يصبح غروباً ثم ليلاً.. نجيب سيأتي الساعة الخامسة.. استبدلت جوانا الزجاجات والأكواب ووضعت طبقاً مليئاً بالفواكه.. تموت جوانا في الأناناس..

تضعه أمامي دائماً.. لا أكله.. تأكله هي في النهاية.. ترى أن الأناناس غذاء وعلاج. عندهم في الفلبين هو والموز من أهم عناصر الحياة.

نجيب لا يتأخر ابداً عن موعده.. له خطوة غريبة أثناء السير وعندما يراني يسرع من خطواته ليجعلها أقرب إلى الهرولة كأنه نوع من الاهتمام والاحترام. أعرفه تماماً منذ أن جاءني للعمل في الجريدة، إلا أنني بعد خروجي من الخدمة اكتشفت أن معرفتي به ناقصة. جاء في موعده.. يحمل أوراقاً وملفات وكتب وحقيبة. يحملهم بطريقة غير منظمة ليوهم من يراه أنه شخص مسئول ومشغول للغاية.. وضع الأشياء على المنضدة وجلس ليأخذ نفساً عميقاً.

- معايا ماكيت الجرنال الجديد.. وصورة المذكرة التي قدمتها للنقابة بشأن الشكوى وملف فيه كل ما كتب عن سيادتك وكشف فيه أسماء العاملين في الجرنال الجديد.. بعضهم أمضى معي الآن ما يقرب من شهرين ولم تصرف لهم مرتبات.

- أوكي.. هنشوف كل حاجة.

- أنت معاك كشف بأسماء الذين حضروا حفل المركب.

- نعم.. وأسماء الذين دعوتهم ورفضوا الدعوة أو لم يحضروا.

أخرج الكشف من جيبه ووضعه أمامي.. أرغب أن أسمع منه رأيه في من لم يحضروا وما السبب وراء غيابهم.. أحيانا يكشف لي بعض ما غمض عني.. أريد أن أعرف سبب قلق الواد عبده سليم الذي كان يطنطن بأنني أستاذه ومربيه وكان على المركب مخطوف اللون زائغ العينين.

- تشرب قهوة يا نجيب.. جوانا إحنا عايزين قهوة.

جوانا تقف طوال الوقت عندما يكون لدي ضيوف تنتظر إشارة من اصبعي.. وعندما أكون وحدي تجلس أمامي.. تحركت جوانا بسرعة وحكى نجيب ما لم أتوقعه. أعرف أنه يكره عبده كراهية التحريم وربما تكون كراهيته له زادت بعدما أصبح عبده رئيساً للتحرير، إلا أن نجيب بما لديه من قدرات يستطيع أن يخفي مشاعره الحقيقية حتى عن نفسه. عبده في أزمة.. الكل يحاربه نقطة ضعفه زوجته والتي تحولت إلى حوت إعلانات كبير في الجرنال وتقتسم عمولات الإعلانات مع الصحفيين الآخرين ومن لا يمتثل لها، عبده ينقله إلى وزارة أخرى. عبده وجد نفسه وحده.. لا دعم ولا مساندة.. الفريق المناوئ لي عندما كنت

في الخدمة يرى أن عبده استمراراً لي ومؤيـدينى أثنـاء الخدمة يرون أنه لا يستحق أن يجلس على هذا المقعد، بل بعضهم يرى أنه أحق منه ومنهم نجيب بالطبع.. في البداية كان يفتعل المشاكل مع رئـيس مجلـس الإدارة الجديـدة إرضاء لي، إلا أن الهجوم عليه من الفريقين دفعه لإصلاح علاقته به، فهو في أشد الحاجة له لتمكينه من السيطرة على الجرنال وتوقيع العقاب على المناوئين أو تحويلهم للـشئون القانونية..

اكتشف متأخراً أنني لن أنفعه، إلا أنه جاء الحفل مرغماً حتى لا يقال عنه "قليل الأصل" وفي الوقت نفسه يخشى أن يتسرب خبر حضوره إلى رئيس مجلـس الإدارة الجديـد، فيترك المناوئين له ينهشون عظامه ويهاجمونه في صحف المعارضة.. جاء الحفل خائفاً وغـادره مـذعوراً.. كـلام جميل.. وتحليل جدير بالاحترام.. أما الاثنـان الآخـران اللذان رفضا الدعوة، فلهما أسبابهما في رأي نجيب. استفادا بالفعل أثناء وجودي، إلا أنهما لم يستطعا نسيان الإهانـات المستمرة.. شيخ منهما جددت له عقده أكثر من مرة بعـد بلوغه سن المعاش وقبل خروجه صنعت فيه معروفاً بمنحة علاوة ثلاثمائة جنيها مرة واحدة، ساعدته فـي الحـصول على ما يقرب من أربعين ألف جنيها زيادة مـن صـندوق

الزمالة، إلا أنني أعرف أنه واطيين.. كان يقسم أنه لا يقرب الخمر، إلا أنه شرب وسكر ذات مرة إكراماً لي! وعرف الويسكي وكان يسأل عن الجوني واكر بالذات وهو أول من ترجمه إلى العربية.. أطلق على الجوني واكر اسم "حنا المشاَء". كان يختار لي الآية القرآنية التي أزين بها مقالي والآن يفعل نفس الشيء مع الواد عبده.

الآخر كان له طلب لم ألبّيه، كان يرغب في إلحاق ابنه بكلية الشرطة.. لطعته ساعات ينتظرني في السكرتارية.. نسيته.. عندما خرجت.. سألته عما يريد أبلغني بطلبه.. سألته عن وظيفته والده.. في الحقيقة أعلم.. أوضح أن والده كان يعمل في وزارة الداخلية. سخر منه من حولي وتساءلوا.. هل كان أبوه لواء؟ واستكمل الآخر.. أن أباه كان خفيراً وضجوا بالضحك.. لم يستطع أن ينسى هذه الإهانة.. حاول ردها إلى.. عندما رفض الدعوة التي قدمها له نجيب.. أعرف تماماً أنني كنت أرؤس مجموعة من الواطيين.. كنت أجيد التعامل معهم.. أعامل كل منهم بما يستحق.. كنت في السلطة.. الآن.. اختلفت الأمور.

حكى لي نجيب عن الصدى الذي أحدثه اجتماع المركب وإعلان البعض لرغبته في التعامل مع جرنالي الجديد والتعامل معي وهجوم البعض الأخر على الجرنال قبل

ظهوره وتوقع فشله. اقترح نجيب أن أضم لأسرة الجرنال الجديد بعض من عملوا معي وذكر أسماء، موضحاً أن استقطابهم للعمل معنا، سيمنعهم من الانضمام لمن يهاجموني شخصياً.. اقتراح وجيه. تطرق إلى العاملين الجدد بالجريدة والمرتبات المتوقع دفعها لهم.

- شوف يا نجيب.. أنا مش عاوز حد من حارة أو من الفلاحين يشتغل عندي.. مش عاوز حد من بيئة واطيينة.

اقترحت عليه أن يقدم للصحفيين الجدد استمارة توظيف جيدة. مثل استمارات الشركات الأجنبية. فيها العنوان ووظيفة الأب وعدد الأخوات ونوع التعليم وأسماء المدارس والمرتب المتوقع ومن هذه الاستمارات يمكن استبعاد ما لا نرغب في تشغيله معنا. اقترحت عليه الاستفادة من فريقي السابق في البحث والتحري عن المحررين.

استبعد نجيب هذا الاقتراح بأدب شديد، موضحاً أن هذا الفريق قد فشل من قبل. فريقي أثناء الخدمة.. فريق التحدي.. كان مكوناً من ثلاثة من المحررين القدامى.. كانت مهمتهم معرفة الأصول الاجتماعية والوضع الاقتصادي للمحررين الجدد قبل إصدار قرار تعينهم. يجرون عليهم التحريات ويزورنهم في منازلهم. يحاولون التقصي إذا كان لهم أقارب ذي حيثية أو مقطوعين من

شجرة وهناك ثلاثة درجات من التقييم لا اسمع غيرها وهي: غلبان أو مستور أو كفران.. لكل واحد من هؤلاء وظيفة ومهمة واستطيع تشغيلهم بما أمامي من معلومات عنهم.. لم يفشل فريقى هذا إلا مرتين. المرة الأولى لم أعلم بفشلهم إلا بعد مرور ما يقرب من عشرين عاماً.

دب في قلبي الشك من محرر غريب الأطوار، بدءاً من المؤهل الذي يحمله والحاصل عليه من جامعة الإسكندرية إلى رفضه العرض الذي تقدمت إليه به للزواج من سكرتيرتي الأولى هيام.. رفض أن يتزوجها.. فصلته ثم أعدته إلى العمل وقدمت إليه نفس العرض.. قدمت له الكثير من الإغراءات.. شقة مؤثثة وتعديل مرتب.. رفض.. أرسلت فريق إلى الإسكندرية.. إلى الجامعة.. اعادوا وأكدوا لي أنه حاصل على مؤهل من هناك وأنهم تأكدوا بأنفسهم من شئون الطلبة.. بعد سنوات وبمحض الصدفة انكشف المستور لم يكن المحرر الذي يحمل اسم شعبان هو شعبان، بل انتحل اسم أخيه واستعار شهادات أخيه وتم تعيينه في المؤسسة.. خوفاً من الفضيحة طلبت منه تقديم استقالته بهدوء وليذهب إلى حال سبيله. فشلوا أيضاً في التحري عن البت السكرتيرة التي أهداها لي صديقي محيي ربيعى، سرقت حقيبتي ولهفت الدولارات.

- كل ما يهمني ألا يكون للمحررين الجدد أي علاقة بصحف المعارضة وألا تكون لهم انتماءات سياسية.

- مفهوم يا ريس.. لا داعي لفريق التحري.. أنا عارف شغلي كويس.

نجيب هذا كان يقود فريقاً أخر من فرقي داخل المؤسسة وهو فريق التأكد من الانتماءات السياسية ومن يحضر من محرري المؤسسة المؤتمرات التي تعقدها الأحزاب أو غيرها.. كان هناك ما لا يستطيع تصنيفه من الصحفيين. سلوكه يبدو معارضاً ولكن لا تعلم إلى من ينتمي.. كانت فكرة نجيب جهنمية. اقترح سرقة أجندات تليفوناتهم.. فتحوا المكاتب والأدراج.. وعرف من الأسماء المدونة في الأجندات علاقات المحررين.. أسماء مصادرهم.. أسماء أصدقائهم وتليفوناتهم.. أسماء أقاربهم وتحول بعد ذلك من سرق الأجندات إلى سرقة التليفونات عندما ظهرت التليفونات المحمولة.. نجيب يرغب العمل على مياه بيضاء بلغة المقاهي.. لا يريد أن يعمل معه أحد من لاعبي الفرق القديمة.

أخرج ملفاته.. منها ملف يحتوي على قصاصات صحف ومجلات بها موضوعات أو تحقيقات هاجمتني. أبلغني أن النقابة ومجلسها لم ينظر في مذكرتي المقدمة.

أجل مناقشتها إلى الاجتماع القادم ونقلني فجأة إلى بعض الأسماء التي لم تشارك في حفل المركب. يريد سماع رأي ولم يعد لي رأيي أهمية.. فأنا لم أعد فاروق عوض الذي كان يرهب الصحفيين ورأيي لن يقدم أو يؤخر.. كانت المجموعة التي تنتظرني أمام بوابة المؤسسة أو على مدخل المصعد تلعق وجهى بعيونها.. إذا ابتسمت لشخص ومددت يدي لتحيته.. اقترب منه كل الناس.. إذا كشرت في وجه شخص، حلت عليه لعنتي.. ابتعد عنه كل الناس.. إذا ألقي عليهم بتحية لا يردوها، كنت أنا بوصلة العلاقات داخل المؤسسة.. الآن أصبحت ملطشة "لشوية عيال واطيين".

- لا تهتم بمن جاء ومن رفض المجئ.

- يا ريس.. عيال قليلة الأصل.

كان الكل يخاطبني بما يطربني ويردد مفرداتي إذا قلت على محرر.. "الواد" فلان.. لا يحدثني عنه أحد إلا بكلمة الواد.. ولو قلت "عيل" يصبح لقبه. ذكرني بالواد الذي كان من ضمن مهامه القومية إحضار خراف العيد لي من وزارة الزراعة.. يتسلمهم قبل العيد بعشرة أيام ويأتي بهم إلى منزلي صبيحة العيد.. سأله ذات مرة صحفي تحت التمرين.. أين يضع هذه الخراف الثلاثة وهو يقيم في شقة ضيقة من حجرتين.. أخبره أنه يرسل زوجته إلى البلد

وينام هو والخراف على السرير. دى خرفان رئيس مجلس الإدارة يا حمار أصبح الآن من الآثرياء.. لم يعد في حاجة إلي.. يحتاج أكثر لرئيس التحرير الجديد ورئيس مجلس الإدارة الجديد.

- العيال الجديدة بتطالب برواتبها يا ريس.

- أطردهم كلهم وأبحث عن محررين جدد بالمواصفات التي قلت عليها.

- هيروحوا يشتكونا في النقابة.

- صدر المشاكل إلى النقابة.. وهي لا بتحل ولا تربط.

أزعجني نجيب بحواره ومطالبه ودخوله موضوع وخروجه إلى موضوع أخر.. أنقذني منه رنين التليفون.. شوكت المحامي.. يريدني في أمر هام.. التليفون لا يفيد.. يسال أين أنا الآن.. في التجمع الخامس.. صرفت نجيب.. أجلنا الحديث في بقية الموضوعات إلى وقت آخر وصرفته.. ناديت على جوانا.. طلبت منها إعداد عشاء ولوازمه.. سيحضر الأستاذ شوكت المحامي وسنسهر سوياً.

- انقلي القعدة إلى حجرة مكتبي.

- أوكي.. ماشي.

منذ فترة لم أدخل حجرة المكتب. مكتب كبير وأرفف كثيرة.. عليها من الكتب الأجنبية والعربية ما لم ألمسه أو أحاول معرفة ما فيه.. كتب مجلدة تجليداً فخماً، بعضها بالجلد الطبيعي ومذهبه الحواف.. مجموعة من الكتب الدينية في التفسير والمعاملات.. كتب أدبية وروايات عربي وأفرنجي.. في المكتبة وعلى أرففها بعض الدروع التي حصلت عليها.. وعلى الحوائط شهادات في أطر خشبية كنت قد حصلت عليها من قبل.. جائزة أحسن كتاب للعام.. جائزة جمعية الإرادة والترقي.. الحجرة أشبه بمعرض صغير.. في الركن صالون.. أربع مقاعد صغيرة لويس.. لويس رقم "كام" لا أعرف بالتحديد.. دخلت الحجرة نظرت إليها نظرة شاملة وأخرجت من درج المكتب علبة سيجار كوبي فاخر مغلقة.. سأترك شوكت يفض غطاءها بنفسه.. ترولي صغير حركته إلى جانب الصالون، ستعد عليه جوانا لوازم جلسة الليلة.. بلاك ليبل.. جوني واكر.. اسكوتس ويسكي.. لم أعد اتذكر النوع الذي يفضله شوكت، منذ مدة ولم نسهر معاً ولم نشرب معاً.

عندما يشعر سيد السائق أنني في انتظار ضيف يعلم أنه لن يسهر معي في تلك الليلة وأنه سيغادر مبكراً.. يظل يلف ويدور داخل الفيلا وخارجها إلى أن أصدر له الأمر

بالانصراف. الغيرة تنتاب سيد عندما يصل ضيف.. سيقضي الليل بلا شراب وإذا شرب لن يشرب الماء النظيف الذي يتغزل فيه كل ليلة.. سيمر على أي محل خمور وهو في طريقة عودته ليشتري زجاجة لنفسه.. لن تزيد عن براندي ٨٤ والذي يطلق عليها اسم "خربت بيتي بأيدي".

- عندي ضيف الليلة يا سيد.. من الممكن أن تغادر.. مر على جوانا في المطبخ.. هناك نصف زجاجة ويسكي في انتظارك.

- يعمر بيتك وتزور النبي كمان مرة ويهديلك جوانا.

يتبسط سيد في الحديث أحيانا إلا أن نظرة ثابتة مني تجعله يدرك أنه تجاوز.. يعتذر ثم ينصرف. شوكت لا يأتي في موعده ابداً، يحب أن ينتظره الناس وتتعلق أنظارهم بالباب الذي سيدخل منه.. قالها ذات مرة مؤكداً أنه لم يتأخر طوال حياته أو يتخلف عن جلسه.. ويدخل قبل النطق برقم القضية في الرول بعدة ثوان بعد أن تكون قلوب منتظريه قد سقطت.. أسلوب محامين! يدخل لتتعلق به الأنظار.. لا أعلم أين تتعلق بالضبط وطوله يزيد عن مترين.

جاء مهللاً فرحاً وكأنه حصل لي على البـــراءة. كنـــت أنتظره في الحديقة أخذته من يده إلى حجرة المكتب.. تسير أمامنا جوانا وعيناه مثبتة على ظهرهـــا.. إلـــى عمودهـــا الفقري.. من أعلى إلى أسفل يبدو أنه يحصى عدد الفقرات ويتخيل أين تنتهي. أول مرة يزورني شوكت في الفـــيلا.. أبدي إعجابه بها وأثنى على سور الفيلا الذي قال عنه أنـــه قطعة فنية أنتجه فنان وليس حداد.. مر على السجادة فـــي البهو.. سأل إذا كانت من الحرير الخالص أو من الصوف المخلوط بالأكليرك.. لا يفوته شيئاً. في حجرة المكتب بـــدأ ينظر إلى المكتب ويسأل عما قرأته منها.. وقف عند كتاب يحمل اسمي كمؤلف.. سألني من ألفه وضحك!.. أشارت له جوانا إلى الجلوس وانصرفت. سألني عن إمكانية أن أعيره جوانا لعدة أيام أو عدة شهور أو عدة سنوات.

- تدفع فيها كام.

- وأنت كنت دفعت.. دي هدية محيي ربيعى!

- دفعت دم قلبي على إيدك.. دفعـــت الخمـــسين ألـــف دولار اللي سرقتهم السكرتيرة إللي كـــان محيـــي ربيعـــى برضه أهداها لي.

يبدو أن شوكت قد بدأ الشرب في مكتبه قبل الحـــضور إلىَ.. مزاجه مرتفع.. عندما يشرب يصبح خفيـــف الـــدم

والظل وليس شوكت المحامي الذي يعرفه الناس، المتجهم دائماً والذي لا يتحدث إلا بالقانون ونصوصه.. الوضع يختلف عندما يشرب.. يصبح مسخرة .. بدأ الشرب معي. يقول عن نفسه أنه لا يكتب المذكرات القانونية إلا بعد أن يشرب حتى الثمالة وتخرج المذكرات عال العال وبدون الخمور بأنواعها المختلفة لأغلق مكتبه منذ زمن وهرب منه الزبائن.

يدخل شوكت في الموضوعات مباشرة دون مقدمات. سبب زيارته لي أن ما يريد أن يقوله لا يصلح في التليفونات.. التليفونات كلها مراقبة.. خاصة تليفونات عليه القوم والقضاة وبعض الصحفيين والمشبوهين بالطبع.. ووزير الداخلية أعلنها واضحة وصريحة "اللي يخاف ميتكلمش".. أنا لا أعجبه في إدارة الحملة المشينة ضدي، كما أن معالجتي للأمور تتسم بالصبيانية.

- الكلام إللي قلته على المركب مكنش له لازمة. كل القنوات مفتوحة على بعضها.. يعرف ما قلته بالحرف الواحد ويعاتبني أنني لم استشره، فأنا موكله وصديقه لمدة تزيد عن خمسة وعشرين عاماً وما بين الوكالة والصداقة مصالح مشتركة كثيرة.. لا أعلم أين يدلق شوكت الكؤوس التي يتجرعها.. إلا أن الشرب يزيده تألقاً وأنا في أشد

الحاجة للاستماع إليه وإلى مشورته. ناديت على جوانا للجلوس معنا.. سألتها عن المدام.. ستبيت ليلتها في ٦ أكتوبر.. خير يا ريت تقعد هناك لآخر السنة.. يضحك شوكت ويربت على كتف جوانا ويجلسها أمامه.

الليلة الخميس.. لا محاكم غداً من الممكن أن يقضي شوكت معي أطول مدة.. أخبرني أنه لم يعد يذهب إلى المقهى.. المكان أصبح مشبوهاً ومرصوداً والشلة ليست فوق الشبهات.

واحد منهم هرب من كمين في مصر الجديدة.. صاحب محلات ورجل أعمال.. الشرطة تراقبه.. مكافحة المخدرات.. تعلم أنه تاجر كبير.. ليس له ملف عندهم إلا أن البودرة التي أغرقت البلد لا تدخل إلا عن طريقه.. في مصر الجديدة كمنوا له.. لديهم أخبارية بأنه سيقوم بتسليم كمية من البودرة.. يقوم بالتسليم والتسلم وحده.. هذه العملية بالذات لا يساعده فيها أحد.. شعر بالكمين.. هرب.. جرى بسيارته الحديثة.. يعرف الخرائط الأمنية جيداً.. لم تستطع الشرطة أن تطلق رصاصة واحدة على سيارته.. ألقى بكيسين من البوردة وهرب ورجال الشرطة يتحسرون ويلعنون إدارتهم وأدواتهم.. هم في سيارات خردة والبيه في سيارة حديثة بمحرك ستة عشرة صماماً.

صاحبنا الثاني ألقى عليه القبض في المطار أثناء محاولة تهريبه لأكثر من نصف مليون قرص فياجراً.. كـان مـن المفروض أن يخرج له الحقيبة الواد بتـاعي اللـي فـي المطار، إلا أنه تخلى عنه أو خانه أو اختلف حول المبلـغ المطلوب دفعه لتسليك البـضاعة.. أبلـغ عنـه.. رفـض التصالح مع الجمارك ودفع الـضريبة وإعـادة تـصدير الفياجرا.. أصر على أن الكميـة لاسـتخدامه الشخـصي ويشرب شوكت ويضحك قائلاً.

- كلنا عارفين إنه ملهوش في الحريم !

ويرمي بالكأس في جوفه وتصب له جوانا كأساً أخراً.. المقهى أصبح بالفعل مشبوهاً ومجموعة الأصدقاء تلك لابد من البعد عنهم وتوقف شوكت عـن الـشرب وطلـب أن أنصت إليه، فالأمور جد خطيرة والكل مرعوب ولا يعرف مصدر الرعب الحقيقي.

- سفرك إلى البحرين كان له مردوده الإيجابي. سمعت بنفسى الوعد بأن لا يمسك أحد بسوء.

الحملة المثارة ضدي في الصحف سببها الرئيسي فـي رأي شوكت رأس الأفعى رئيس مجلـس إدارة مؤسـستي الجديد.. ينام.. ينام ويـصحو.. يخـبط مقـالاً بالأرقـام

والمستندات باتهامي بالفساد وتسير وراءه بقيــة الــصحف ويشاركونه في الحملة بعض رجالي السابقين الذين اكتشفوا أنني قسمت التركة دون وضعهم فــي الحــسبان.. رقيــت البعض وعينت آخرين رؤساء تحرير وخرجوا هــم مــن المولد بل حمص وتحولت الأسرار التي عرفوها من قربهم مني إلى سهام ورصاص يوزعونه بالتساوي على الصحف الخضراء والصفراء لقتلي.

- أنت كان معاك يا فاروق شوية مرتزقة وأخطر شيء أن يترك المرتزق بلا عمل.. يعمل لحــساب أي شــخص يدفع. عليك بتجميع هؤلاء المرتزقة مرة أخرى في جريدتك الجديدة وأن تغدق عليهم. نعم.. هناك من قفز من المركب ولحق بسفينة رئيس مجلس الإدارة الجديد.. السفينة التــي يرونها أكثر أمناً.. إلا أنهم لا يتمتعون بأية مصداقية فــي أوساط زملائهم أو حتى لدى رئيس مجلس الإدارة الجديــد الذي قد يستخدمهم لبعض الوقت ثم يلقــي بهــم كــأوراق الكلينكس. بعض من انضموا إلى الرجل الجديد يتمتعــون باحترام زملائهم وهو يستخدمهم بذكاء شديد. يسرب إليهم الأخبار عن الفساد السابق ويبث بينهم همومه وأنه عنــدما

يحاول إزالة طبقة من الفساد والمفسدين يجد اسفلها طبقات من العفن وأن أمامه عامين على الأكثر، يحاول خلالهمـــا بما يرضي الله أن يضع لبنة قوية ونظيفة داخل المؤسسة. لابد من تنظيم صفوفك يا فاروق وتركيز هجومـــك علـــى رأس الأفعى.

أفكر في ذلك بالفعل. سأحاول تجميع الذين مازالوا معي وأدفعهم إلى الاحتجاج والتظاهر داخل المؤسسة وخارجها وأن يتقدموا بمذكرات إلى نقابة الصحفيين، حول وعـــوده التي قطعها على نفسه برفع الظلم الذي لم يرفعه وتعـــديل المرتبات التي قال عنها ثم تراجـــع بحجـــة أن ظـــروف المؤسسة المالية لا تسمح وليكثر الحـــديث عـــن مكافـــآت أعضاء مجلس الإدارة ومكافآته هو شخصياً والبدلات التي يحصل عليها وموافقته على رفع مرتبات رؤساء التحريـــر بينما يقترض الصحفيون الـــصغار مـــن الأســـبوع الأول لاستكمال تكاليف معيشة الشهر.. إشارة مني قد تعيد بعض المرتزقة طبقاً لوصف شوكت.. إشارة منى قد تجـــذبهم.. خبر صغير يحمله نجيب إلى الجريدة مفاده أن من يعمـــل معي في الجرنال الجديد سيحصل على مكافأة تتراوح بـــين ثلاثة إلى خمسة ألاف جنيهاً في الشهر.. أقـــوم بتـــشغيلهم شهر أو أكثر.. يقومون خلال هذا الشهر بتنفيذ ما يطلـــب

منهم ثم استغنى عن خدماتهم بسبب الظروف المالية القاسية للجرنال!

جوانا مثل الأوربيات لا ترتدي حماله صدر وتختار ملابسها من الأقمشة الرقيقة. مد شوكت يده إليها وسألها باللغة الإنجليزية إذا كانت لا تشعر بالبرد أو أن لحم الكلاب يمدها بالدفء والحرارة.. ابتسمت.. أبعدت صدرها عن مرمى أنامل شوكت. أما حكاية أكل الكلاب هذه فقد سألت عنها جوانا من قبل ونفت أنها من أكلة لحوم الكلاب رغم شهرتها في الفلبين، إلا أنها أقرت بفائدة لحم الكلاب للرئتين. عندما جاءتني أول مرة شغلني تحذير محيي ربيعى من أن الأسيويين في غاية الشراسة وإلا انخدع في نعومة ملمسهن وشغلتني قضية أكل الكلاب وفكرت في شفتي جوانا وكيف تقطم بهما لحم الكلاب.. كانت ليلة قضيناها كلها في الحديث عن الكلاب والفلبين وكيف يتم اصطياد الكلاب. ضربة واحدة على رأس الكلب ويخر صريعاً وكيف يتم تجهيزه للشواء والمدة التي يتم نقعه في السفن آب أو في النبيذ قبل أن يحمل على سيخ دوار وتشعل تحته النيران.

ثقافات وشعوب لا يهتم بها شوكت بل يركز نشاطه واهتمامه على الحركات النسائية والإشارات الموحية..

يسألني ماذا أفعل مع جوانا ويضحك.. يؤكد أنني في حاجة أن أنقل الفيلا من التجمع الخامس إلى جوار مصنع فـــايزر ثم يدخل في الجد. يتحدث عن كيفية تنظيم أو إعادة تنظـــيم الصفوف، يطلب ألا أستخدم الجرنال الجديد فـــي الهجـــوم على رئيس مجلس إداراتي الجديد، بل أتركه للعيال. ينصح بألا أهدد في أحاديثي بالهجوم على أحد. ويميل على أذني ويطلب مني أن ابتعد عدة أيام عن جوانا.. عنـــدما يـــسكر شوكت يصبح مسخرة. وضع الكأس على المنضدة بطريقة مسرحية ووقف رافعاً إبهامه إلى السقف.

- صديقي.. الأيام القادمة سيئة.

أكد لي أن الحملات ضدي لن تنتهي وأن الحكومة قـــد تضطر تحت الضغوط إلى تقديمي وأمثالي مرة ومرات إلى النائب العام للتحقيق في البلاغات التي تقدم ضدي وعلـــىَ بالهدوء والسكينة وأن تكون إجاباتي بقدر الأسئلة.. واضحة ومحددة.. كل اتهام يثار ضدي أو حتى مخالفـــة، أجيـــب عليها بكلمة واحدة "لم يحدث". لا أستخدم في إجاباتي ثلاثة كلمات وهي "أعتقد" و"أظن" و"ربما".. هذه الكلمات الثلاثـــة القليلة في حروفها تفتح أبواب جهنم.. الناس تـــدخل النـــار باعتقاداتها الخاطئة وتلقي في الـــدرك الأســـفل بظنونهـــا

الآثمة.. أما ربما، فربما تبدل جلـــودهم بغيرهـــا ليـــستمر العذاب.

في التحقيقات يجب أن أكون كما يقول شوكت هادئـــاً.. إذا كنت اتناول عقاراً للتهدئة والاسترخاء يجب أن يكـــون معي.. والأهم ألا أبدو عدوانياً تجاه المحققين، فهـــم فـــي البداية والنهاية موظفين حكوميين.. أخذ يشرح ويسهب في الشرح حول المدارس العالمية المختلفة في كيفية الحفـــاظ على الأسرار وعدم البوح بها. قـــراءات شـــوكت كثيـــرة ومتنوعة.. أنا لم أكمل قراءة كتاب في حياتي ولم أجلـــس أمام فيلم في التليفزيون إلى نهايته وطوال السنوات الماضية كنت لا أنصت على الإطلاق لمحدثيني.. أنا كنت المتحدث الوحيد وعلى الباقي الاستماع.

من الممكن أن تكون ظريفاً ومسلياً وممتعاً وتتحدث عدة ساعات أو تجيب على عـــشرات الأســـئلة دون أن تنطـــق بمعلومة واحدة تنفع خصمك أو فريق التحقيق.. هذه هـــي المدرسة الأمريكية.. وهناك مدرسة أخرى مملـــة وكئيبـــة ترفع شعار لا.. لا أعرف .. لا أعلم أنا لست من هنـــاك.. لم أسمع.. وهي المدرسة اليابانية. يحكي شوكت عما قرأه.. هناك عاملان يعملان في مصنع سوني في أمريكا.. أحدهم

الآثمة.. أما ربما، فربما تبدل جلودهم بغيرها ليستمر العذاب.

في التحقيقات يجب أن أكون كما يقول شوكت هادئاً.. إذا كنت اتناول عقاراً للتهدئة والاسترخاء يجب أن يكون معي.. والأهم ألا أبدو عدوانياً تجاه المحققين، فهم في البداية والنهاية موظفين حكوميين.. أخذ يشرح ويسهب في الشرح حول المدارس العالمية المختلفة في كيفية الحفاظ على الأسرار وعدم البوح بها. قراءات شوكت كثيرة ومتنوعة.. أنا لم أكمل قراءة كتاب في حياتي ولم أجلس أمام فيلم في التليفزيون إلى نهايته وطوال السنوات الماضية كنت لا أنصت على الإطلاق لمحدثيني.. أنا كنت المتحدث الوحيد وعلى الباقي الاستماع.

من الممكن أن تكون ظريفاً ومسلياً وممتعاً وتتحدث عدة ساعات أو تجيب على عشرات الأسئلة دون أن تنطق بمعلومة واحدة تنفع خصمك أو فريق التحقيق.. هذه هي المدرسة الأمريكية.. وهناك مدرسة أخرى مملة وكئيبة ترفع شعار لا.. لا أعرف .. لا أعلم أنا لست من هناك.. لم أسمع.. وهي المدرسة اليابانية. يحكي شوكت عما قرأه.. هناك عاملان يعملان في مصنع سوني في أمريكا.. أحدهم

وضعه في أي مكان ولم يتوقف عن الطعام وتوزيع الضحكات والابتسامات على كل من حوله.

فهمت يا شوكت.. تريدني أن أكون مثل الأمريكي أجاوب ولا أجاوب وانتقل شوكت إلى النقطة الأكثر أهمية والتي لا أعرف كيف غابت عن ذهني رغم معرفتي بأن كل القنوات مفتوحة على بعضها. المحققون يحكون لبعض مصادرهم وأصدقائهم عن الوضع النفسي أثناء التحقيق ولا تنسى أن خصومك يرغبون في مشاهدتك فيديو. كيف يتصبب العرق من جبينك.. كيف ترمش عيناك.. كيف ترتعش يداك.. كلامه مضبوط.

– أنت عندك معلومات يا شوكت إن في حاجة.. في الطريق.؟

– مش معلومات.. تكهنات.. الحكومة مزنوقة.. صحف تتحدث عن فساد بالمليارات.. مظاهرات في الشوارع.. وقضاة لأول مرة يتظاهرون في تاريخ مصر وأساتذة جامعات يحتجون وعمال يعتصمون.. الحكومة مزنوقة وأنتم يا رؤساء مجالس الإدارات السابقين.. الحيطة المايلة.

كلامه صح.. نحن لا يدافع عنا أحد، بل أصبحنا هدفاً ثابتاً كما يقول العسكريون لكل من هب ودب. التحقيق معنا

قد يمتص بعض الغضب الثائر في الـــشوارع والمـــصانع والجامعات.

- من بكرة يا فاروق تروح جرنالك الجديد وتبدأ شغلك وتسيب لي جوانا.. نهض مترنحاً.. أسند نفسه على جوانا.. احتضنني وطبع قبلة على يد جوانا.. ورحل.

* * *

الليالي الصعبة

لم أستطع الصعود إلى غرفتي، نمت ليلتي في حجرة المكتب ومعي جوانا.. انتابتني حالة من البكاء المستمر أزعجت جوانا التي لم تفهم ما دار من حديث بيني وبين شوكت. معرفتها باللغة العربية لا تمكنها من متابعة مثل هذه الأحاديث.. حاولت قدر استطاعتها أن تخرجني من حالتي تلك.. قالت أنني محموم وأنهم في الفلبين يتعاملون مع حالتي ببساطة. طلبت مني خلع ملابسي كلها.. استجبت لها كطفل.. طلبت أن أنام على بطني أولاً.. ثم ظهري.. أخذت تدلكني بقطعة قطن مبللة بالبراندي.. في بلدتنا عندما كان يصاب طفل بالحمى كانوا يدلكون جسمه ورأسه بالخل والكحول. غطتني بملاءة سرير.. تركتني.. جلست على مقعد منخفض بجانبي.. غفوت ثم صحوت.. أخذتني إلى الحمام.. دش بارد في عز الشتاء .. تصتك أسناني من شدة البرد. تطلب مني التحمل عدة دقائق أخرى تحت الماء.. ليلة صعبة.. تركتني أنام حتى الصباح على الكنبة الكبيرة المواجهة للمكتب.

شعوب غريبة.. لديها اطعمتها ومشروباتها وأساليب علاجها.. رغم الحمام إلا أنني أشم رائحة البراندي

الفواحة.. استخدمت أنواعاً مختلفة من العطور لعل وعسى تقهر رائحة البراندي.. صعدت إلى حجرتي ولبست ملابسي ونزلت إلى الحديقة.. الطقس العادي اليومي الذي أمارسه.. إلا أن جوانا لم تحضر عصائر أو فطور.. كوب كبير من القهوة.. قالت أنها ستنعشني وبعدها قدمت العصائر والفطور. الوجه الأول كل صباح وجه جوانا.. والوجه الثاني، وجه سيد السائق، معه كومة من الجرائد.. ألقى التحية.. وألقى الجرائد على المنضدة وانصرف.

جلست جوانا أمامي تتصفح تقاطيع وجهي.

- إمبارح كنت تعبان.. تبكي.. مريض.. فيه مشاكل روح فلبين.. تخلص مشاكل تيجي مصر.

جوانا لا تفهم تعقيدات الموقف. الهروب لن يحل المشكلة والاستمرار في مصر قد ينتهي بالسجن رغم تأكيدات شوكت المحامي أن ليس هناك دليل إدانة واحد يمكن أن يزج بي إليه. ما لا يفهمه شوكت أو أنه يتغابى، أنهم ليسوا في حاجة إلى أدلة إدانة.. شهود يحضرونهم أمام المحكمة ويقسمون وأجد نفسي في السجن مع خليل. شوكت نفسه قال لي من قبل أن قضية خليل "فشنك".. لا أدلة أو مستندات تدينه.. وشهادات الشهود مجروحة وخليل الذي

عــاش حياتــه فــي سلك القضاء كان يعلم ذلك تماماً.. إلا أنه أنهار عند النطق بالحكم.. سبع سنــوات مع الشغل.

لا أستطيع أن أتخيل أنني أعيش ليوم واحد في زنزانة.. سواء كنت وحدي أو مع سجناء آخرين.. صورة خليل لــم تفارقني هذا الصباح.. هذا اليوم رأيت ثلاثة وجوه.. جوانا وسيد وخليل. أتصل بي نجيب وسألني إذا كنت سأحــضر اليوم الاجتماع مع فريق العمل أم لا.؟ أخبرته أنني سأكون في الجريدة بعد الثانية ظهراً.. إلــى المهندســين.. إلــى الجريدة.. مجموعة من الشباب الجدد أراهــم لأول مــرة ومجموعة منتقاة من جريدتي القديمة جاء بهم نجيب بنـــاء على نصيحتي لمهام خاصة. سألته إن كان قد دقــق فــي انتماءات الشباب الجدد السياسية.. أخبرني أنه تخلص مما ظن أن له انتماءات وأنه وزع استمارات توظيف جديدة كما أمرته.. وأنه سيعيد فحص هذه الاستمارات مرة أخــرى.. لن يعمل في جريدة المهندسين من يسكن في حارة أو قادم من ريف.. الاختيار يجب أن يكون على "الفرازة".

طلبت منه البحث عن ثلاثة محررين، ليقوم كل واحــد منهم بإجراء حديث مع أهم زعماء الأحزاب الذين يصرون على أنهم مازالوا يمثلون المعارضــة.. الوفــد والتجمــع والناصري، على أن يتم اختيار هؤلاء المحررين بدقة. جاء

بثلاثة، أدخلهم حجرتي ووقف وراءهم كما كان يفعل في جرنالي القديم.. كل واحد منهم يؤكد أن له علاقة وثيقة بالحزب الذي سيجرى مع رئيسه حواراً.. طلبت منهم الانتظار خارج المكتب.. طلبت من نجيب طردهم في الحال من الجريدة.. وبخته على فشله في كشف الانتماءات السياسية وذكرته بضرورة إعادة تدريب كلاب الكشف على المخدرات من وقت لآخر حتى لا تموت لديهم حاسة الشم.. فهم قصدي وأعرب عن أسفه لعدم قدرته على كشف هؤلاء العيال.

صورة خليل والزنزانة و"البرش" لا تغيب عن مخيلتي.. أعرف أن في سجن مزرعة طره عنبر للمستشارين وعنبر للباشاوات، رجال الشرطة الذين يقضون فترة عقوبة لجرائم ارتكبوها أو لم يرتكبوها، إلا أن السجن سجن حتى ولو كان داخل منزلي في التجمع الخامس. أنا لم أطق رؤية السور الأسمنتي المرتفع.. دفعت آلاف الجنيهات لأزيله.. كيف سأطيق السجن؟ الوعد الذي قطعه المسئول الكبير لصديقي البحريني.. هل سيلتزم به أو سيدعي أن القضاء مستقل لا سلطان لأحد عليه؟ أنا لو ظللت في هذه الدائرة سأموت دون سجن ودون تحقيقات ودون محاكمة.

عملي سأمارسه وبنفس القوة.. فــاروق عــوض لــن ينكسر.. عرض علىَ نجيب الأعداد الزيــرو للجريــدة.. ترويسه جيدة وتبويب أكثر من ممتاز.. الأعمدة ســاخنة.. الخط التحريري كما قلت خليط مــن الجرائــد الحكوميــة وجرائد المعارضة.. موضــوعات تهــم رجــل الــشارع العادي.. عمود المذيعة وصورتها "منور" الصفحة، تتحدث فيه عن الزواج والخيانة.. أريــدها أن تكتــب فــي هــذا الموضوع دون سواه وليقرأ لها زوجها السابق، المــسئول الكبير الحالي.. عمود آخر يهاجم رئيس الوزراء وبعنــف، لو تقدم به محرر في جرنالي القديم كنت فصلته لجرأتــه.. الأعمدة مطلوبة.. الخلط الآن مطلوب.

خبر عن الإخوان المسلمين ومحاكمات قيــاداتهم أمــام المحاكم العسكرية، يطالب محرر الخبر أن يحاكم المواطن العادي أمام قاضيه الطبيعي وخبــر آخــر عــن ضــبط منشورات يوزعها شخص ينتمي للجماعة المحظورة. خبر ضد الكنيسة المصرية وتمسكها بثوابتها في قضايا الأحوال الشخصية وخبر أخر عن البابا الجديد الذي يسكن المقطــم الذى يزوج المطلقين والمطلقات.. الــصحافة الآن تعمــل بخلطة كنتاكي السحرية وأنا فــاروق عــوض، ســأكون صاحب الخلطة الجديدة.

تذكرت اليوم الأول عندما صدر قرار تعييني رئيساً للتحرير.. وضعت يدي وراء ظهري ومشيت بخطى ثابتة وئيدة داخل صالة التحرير.. أنا اتمشى الآن داخل صالتي الجديدة.. كل محرر يجلس على مكتبه، أمامه جهاز كمبيوتر.. لم يبخل الممول بشيء في تجهيز المقر وتوفير المعدات والأجهزة. في الحقيقة هم أكثر من ممول.. واحد فقط ظاهر للعيان والباقون من خلفه، لا يهمه المكسب أو الخسارة.. كل ما يهمه أن ندافع عن مصالحه ونحمي استثماراته ويصبح الجرنال في البداية والنهاية وعاء إعلانياً لشركاته ومنتجاته.. أكثر من جرنال ظهر في الآونة الأخيرة بهذا الشكل.. فكرت أنا في اللحاق بالركب واقتطاع جزء من الكعكة حتى لا أذبل أو أنزوي أو أموت.

أتذكر الليلة التي قضيتها مع نفسي بعد صدور قرار تعييني رئيساً للتحرير، فكرت أن يكون جرنالي جريدة حقيقية تجد لنفسها مكاناً جيداً وسط الصحف.. فكرت في طقم جديد ليعمل معي. لم أفكر في الانتقام كما يقول خصومي الذين تخلصت منهم الواحد تلو الأخر بمجرد جلوسي على مقعد رئيس التحرير. كانت مهمتي الأولى إعادة الضبط والربط في جريدة قديمة لم يعد فيها ضبط أو ربط.. حددت مواعيد عمل، تبدأ من الساعة السابعة صباحاً

ومن لا يرغب في الالتزام بهذه المواعيد، عليه البحث عن مطبوعة أخرى داخل المؤسسة للانتقال إليها. طبقت مبـــدأ الثواب والعقاب.. من يتأخر ولو لمدة خمس دقائق، تعلق له ورقة بالخصم من راتبه على لوحة الإعلانات.. تماديت في الخصومات لأرهب الكل.. كنت أعمــل بمثــل "اضــرب المربوط يخاف السايب".. كان البعض يخــصم منـــه فـــي الشهر ستة أو سبعة أيام. أمتثل البعض وتذلل.. خــصمت يوماً لاثنين من الصحفيين كبـــار الـــسن لتأخرهمـــا عـــن الحضور.. كتب لي أحدهما مذكرة.. لا أستطيع نـــسيانها.. كانت نقطة تحول في علاقاتي مع الصحفيين والمحررين.. "عهدناك كريماً سخياً وأخاطب كرمك أن ترفع يوم الخصم عني وأرجو ألا تكون غاضباً مني، فإن لم يكن بك علـــىَ غضب، فلا أبالي".. أول يوم استخدم قلمي الحبر الأحمــر والذي أصدرت فيما بعد قراراً بألا يـــستخدم أحـــد الحبـــر الأحمر إلا أنا ومن يضبط معه قلم مشابه، فخصم أجر يوم أو أكثر من راتبه.

كتبت على مذكرة الصحفى وبخطي وبحـــروف كبيـــرة "سماح هذه المرة.. على ألا يتكرر التأخير.. يرفع الخصم" ووقعت اسمي.. فاروق عوض.. رئيس التحرير وعلقـــت المذكرة على لوحة الإعلانات.. تجمع الصحفيون لقـــراءة

الورقة المعلقة.. ودخل على مكتبي الواد عبده سليم الــذي كنت كلفته بأشياء صغيرة.. أخبرني أن هناك مــن تــذمر لتعليق مثل هذه المذكرة وقدم لي ورقة صغيرة بها أســماء المعترضين.. ثم دخل على صحفي كبير السن يعمل فــي الجريدة منذ زمن، قالوا عنه إنه مكتشف المواهب.. وجدته على رأسي، بعدما أزاح سكرتيرتي الأولى هيام من طريقة .. لم أكن شاهدته أو تعرفت على هذا الصحفي من قبــل.. سألني هل أنا فاروق عوض رئــيس التحريــر الجديــد.. نظرت إليه قبل أن أجيبه.. ضعيف البنية.. أكلتــه الكتــب والثقافة.. أجبته بنعم.. بصق على وجهي وخرج ولم يعــد إلــى الــدار مرة أخرى.

تذكرت هذا الشخص الآن بعد ما يزيــد عــن خمــسة وعشرين سنة.. تذكرت طريقة دخوله علىَ في المكتــب.. بعدها جئت بحرس وجيش من السكرتيرات ولم يعد الدخول إلىَ سهلاً.. هنا في الجريدة الجديدة يجب أن يكون لي طقم سكرتارية وحرس.. ناديت علي نجيب.. جاءني.

- مطلوب نشر إعلان في الصحيفة التي ننــشر فيهــا إعلاناتنا الآن مؤقتاً.. نطلب سكرتيرات على أن تكن مــن

خريجات الجامعة الأمريكية وأربعة حراس أدوا الخدمة العسكرية ولديهم رخصة سلاح.

- حاضر يا باشا.. فوراً.

عبد الفتاح.. الأستاذ عبد الفتاح.. تذكرت اسمه حالا.. هو الذي دخل علىَ وبصق على وجهي. الحراس والسكرتارية ستمنع دخول أمثال عبد الفتاح هذا إلى مكتبى مباشرة.. خاصة وأنني أرى في عيون الصحفيين الجدد عشرات من عبد الفتاح.. تجولت في أقسام الجريدة.. ولم يقف محرر واحد لي عند مروري.. كنت في جريدتي السابقة عندما أدخل يهب الجميع وقوفاً.. كان هناك مايسترو كلفته بهذه المهمة.. عندما أدخل يطلق صيحة وكأنها "سلام سلاح" ويشير بيديه الاثنتين إلى أعلى ليحث الصحفيين على النهوض. نجيب لن يستطيع أن يقوم بهذه المهمة مع الصحفيين الجدد.. الأمور اختلفت والسوق أصبح يعج بالجرائد من كل نوع ومن كل اتجاه وهؤلاء العيال يقرأون أغلب الصحف ويعرفون أنني مجروح ويقرأون الفضائح التي تنشرها الصحف الصفراء والزرقاء.

اسأل نفسي: هل سأستطيع أن أحقق نجاحاً في هذه الجريدة كما نجحت فيما مضى؟ الأمر يتوقف على عديد

من الأشياء، منها أن يطلق مجلس إدارة الجريدة يدي ويعطيني مطلق الحرية مثلما كنت في جريدتي السابقة.. كنت رئيساً للتحرير ورئيس مجلس إدارة.. أفعل ما أشاء.. أفصل وأعين.. أعطي علاوات استثنائية وغير استثنائية. أرفع وأخفض.. قذفت الرعب في قلوب كل الصحفيين. منهم من مات ومنهم من خرج للمعاش ومنهم من تقدم بأجازه بدون مرتب ومنهم من سافر للخليج.. أصبحت الجريدة ملعبي ومنزلي.. كنت أقضي كل وقتي فيها ولهذا السبب ألحقت بمكتبي غرفة صغيرة للنوم.

العمل في الجريدة الجديدة على قدم وساق.. سنعلن قريباً عن طرح العدد الأول في السوق.. لابد من إعداد حفل استقبال كبير في فندق ضخم وأدعو كل الناس حتى خصومي، ليعلموا أن فاروق عوض بسبعة أرواح.. لا يكسر.. يسقط وينهض وقد يموت ويحيا. نجيب يعرض عليَ صفحات العدد الأول من الجريدة. هناك أعمدة ضعيفة وأساليب ركيكه.. لابد من البحث عن صحفيين جيدين ليعملوا في الديسك.. عمود نجيب حول الهجوم على رموز الوطن.. يقصدني أنا بالطبع، يطالب فيه بأن تتطلع نقابة الصحفيين بمسئولياتها وأن يتدخل المجلس الأعلى للصحافة

بثقله ويقول إن غياب دور النقابة هو الذي أدى في النهاية إلى رفع عدة قضايا ضد الصحفيين ورؤساء التحرير وأن بدلاً من البكاء على حرية الصحافة بعد إصدار أحكام على أربعة من رؤساء تحرير صحف مستقلة ومعارضة، لابد أن تحكم النقابة سيطرتها على أعضائها وتحاكمهم داخلها، بدلاً من دفع أطراف إلى اللجوء إلى القضاء.

مشكلة نجيب وجيله أنهم لم يدركوا أن هناك تغييراً في الخطاب الصحفي ولغته.. ولا يعلمون أن هناك تطويراً في الصياغة ومازالوا متمسكين بطريقتهم التي لم تعد تنفع ولم يعد لها سعر في سوق الصحافة. عموده بلا روح.. كلام مرصوص.. شرشر نط جنب البط.. ليس فيه عمق.. لا يدفع القارئ إلى التعاطف معه أو قبوله أو حتى إثارة خياله.. "شرشر نط جنب البط" .. مدرسة صحفية انتهى عمرها ومن الممكن إعطاؤها قبلة حياة وبعض التحليل إذا أوضح أمثال نجيب لماذا نط شرشر جنب البط.. ولم ينط جنب الوز؟. الصحف المستقلة والحزبية حتى التي تهاجمني أصبح لكل منها طعم ولون واتجاه.. أصبحت صحافة محفزة ومحرضة ومشتبكة..أما صحافة "خد البزة واسكت.. خد البزة ونام" أصبحت صحافة كلينكس انتهى عصرها.

سأغير كل ما في الجريدة أثناء الصدور.. سـأطورها.. سأبحث عن كتّاب وصحفيين لديهم مصداقية لدى الـشارع ويتمتعون بموهبة حقيقية.. الخدم مطلوبون بالفعـل إلا أن الشغيلة لا يمكن الاستغناء عنهم.. عمود نجيب هذا وبنفس أفكاره لو كان كاتبه الواد علي مرجان لكان له طعم أخر.. واد يخلط الدين بالفلكولور بالسياسة.. أمثال علي مرجـان هم المطلوبون حالياً في سوق الـصحافة.. نجيـب يـرى انطباعات وجهي وأنا أقرأ مقاله.. أوضح أنه لا يرغب أن يهاجم بقسوة في هذا الوقت بالذات.. وأنـه فـي مرحلـة التسخين.. سألته عن علي مرجان.. تغيرت سحنته فهو يعلم أنني كنت أرغب في أن يكون علي مرجـان هـو مـدير تحرير الجريدة الجديدة.. طلبت منه أن يتصل به تليفونياً.. بعد وهلة تذكرت.. طلبت من نجيب أن يصرف نظر عـن الاتصال.. تذكرت أن علي مرجان أكد عليَ أن أتصل بـه مباشرة واستبعد نجيب من دور الوسيط. كلفت نجيب بمهمة أخرى.. الاتصال بسكرتيري السابق يوسف النجار، ديـك البرابر.. الرجل الوحيد الذي كان يعمل مع طقم سكرتيراتي السبع.

- يوسف يا ريس استقال من المؤسسة بعد خروجك من الخدمة.

- بيعمل إيه دلوقتي؟

- شغال في البورصة.. بيلعب بسبعة مليون جنيه على الأقل.. دى معلومات يا ريس.!

- جابهم من فين.. ابن الإيه ده؟

- من خيرك.. يا ريس.. قاعد على طول في فندق كوزموبولتان في وسط البلد.. خلف شارع قصر النيل.. شارع نصف دائرة تقريباً.. اسمه ابن ثعلب.. اشتري عربية مرسيدس مثل عربية سيادتك وعنده سائق كان شغال في المؤسسة ويقال أنه يحجز حجرة بصفة دائمة في فندق كوزمو وتزوج زواجه جديدة.

- ابن الأيه.. اتصل بيه.. وقُل له يتصل بي دوغري.. عشان حفل استقبال الجرنال.. عايزين نعمله في فندق محترم وندعو كل الناس.

- ماشي يا ريس.. تحت أمرك.

نوم العصاري أصبح إدمان.. لا القهوة ولا الشاي ولا السجاير تستطيع أن تعدل رأسي والأهم فيما يبدو غياب جوانا.. اتصال تليفوني قد يعيد شحن الدماغ.. سأتناول الغداء خارج المنزل. هنا في الجريدة.. الجريدة الجديدة.. قد أتأخر هذه الليلة.. عندما يتصل بي أحد أخبريه أنني في

الجرنال الجديد.. أعطيه أرقام التليفونات الموجودة علـــى المنضدة الرئيسية في مدخل المنزل وأعطيه العنوان.. أفكر في الحجرة الملاحقة لمكتبي.. مـــن الممكـــن أن أضـــمها وأجعلها حجرة نوم.. فعلت ذلك من قبل.. أخذت الحجـــرة الملاحقة لمكتبي في الجرنال القديم، كان يشغلها أعـــضاء القسم الخارجي.. ضربت عصفورين بحجر واحد.. اتـــسع مكتبي.. وأخرجت من في الحجرة إلى صـــالة التحريـــر، ليجلسوا مع بقية الأقسام ولأعرف ما يدور بينهم، فهو القسم الوحيد الذي كنت غير ملم بما يحدث فيه ولم تكن عيـــوني وآذاني التي زرعتها في جميع أرجاء جريدتي القديمة قادرة على اختراقه.. سأفكر فيما بعد في حجـــرة النـــوم تلـــك. واتصلت بعلي مرجان.

- أنت فين يا علي بك.. مسمعتش صوتك مـــن ســـاعة المركب.

- أهلاً.. أهلاً يا الريس.. أنا في البيت.. هو بيت وغيط في نفس الوقت.. في طريق مصر- اسكندرية الكيلـــو ٥٨ بعد مزارع وادي فودز.. نفسي تشرفني مرة.. وســـيادتك بتعدي كثير على المكان.. وأنا عـــارف ان لـــك قعـــدة اسبوعيـــة فـــي واحة عمر.

- ده كان زمان.. ولكني والله أنت على بالي وهاعـدي عليك.. ولكن أنا عايز أشوفك دلوقتي.. إذا كنت يا علي بك فاضي.

- أفضي نفسي عشانك.. يا باشا.

واد غريب.. مدهنن وناعم.. لا أعـرف كيـف نـسي إساءتي له وطرده من الجرنال عندما كان في مقتبل حياته المهنية.. التسامح يبدو نعمة لا يسبغها الله إلا علـى مـن أحب.. الكراهية مثل النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله.

- أنا في الجرنال الجديد.. يا علي بك.. في المهندسين في شارع جزيرة العرب.. لو قلت جاي.. أبعت لك السواق بسيارتي ويرجع بك في نهاية اليوم.

- ماشي يا ريس.. أنا في انتظاره.. مزرعـة الـسعد اسمها الحقيقي.. يا طالب السعد ولكنها اختصاراً "السعد".. كان فيه واحد شاعر له بيت شهير يقول فيه.. يـا طالـب السعد من غير وعد...... وكلمة قبيحة مـش هقولهـا يـا ريس.

- عارفها.. يا علي بك.

أنظر في الصفحات التي قدمها لـي نجيـب.. أخبـار وتحقيقات وأعمدة ومقالات.. تحقيق قرأته، لا أعرف كيف

مر على نجيب ووضعه على الصفحة بهذه الطريقة.. إنها أعداد زيرو.. إلا أننا في النهاية سنأخذ منها العـدد الأول باستثناء الأخبار.. التحقيق مهلهـل.. وغيـر متـرابط.. ضغطت على الجرس عدة مرات.. جاء الساعي.. قـرأت اسم الواد المكتوب على التحقيق.

- ناديلي على الأستاذ صالح من قسم التحقيقات. دخـل صالح.. شاب ضارب رأسه جيل ويضع نظـاره شمـسية سوداء على عينيه.. رفعها على رأسه وأجاب بكلمة "أفندم". سمحت له بالجلوس.. في الزمن القديم لم أسمح لأحد مـن المحررين بالجلوس أثناء مناقشة الشغل.. كنت لا أفرق بين صحفي صغير وأخر كبير.. كان الكل يقـف حتـى لـو استمرت المناقشة ساعة كاملة.. كان الكل يـرتعش.. مـن أطلبه لدخول مكتبي يحوقل ويبسمل ويقرأ قصار السور قبل دخوله إلى مكتبي.. منهم من كان نصيبه السب واللعن وأنه سيظل حماراً طوال عمره وهناك من كنـت مـن أكتفـي بتعليق ورقه له على لوحة الإعلانات بخصم يوم أو يومين من راتبه.. لم يكن أحد يجرؤ على الجدال أو النقاش ومن كنت أعرف عنه المناقشة والجدال كنت لا أدخله إلى مكتبي وحده.. أطلب معه المايسترو ليزجره عنـدما يحـاول أن يناقش ويأمره بأن يكلم الباشا "عدل". جلس الواد بلا خوف

أو وجل.. حدثته أن تحقيقه من الممكن أن يكون أفضل لو أعاد ترتيب فقراته بطريقة منظمة ويبدأ من حيث انتهى.

- أنا شايف أن الطريقة التي كتبت بها تناسب الموضوع تماماً.

شايف.. الواد بيقول شايف.. أنا كنت الوحيد الذي "يشوف".. غيري لم يكن مسموحاً له بالرؤية أو إبداء الرأي.. صرفته وطلبت نجيب.

- يا نجيب.. الواد ده ميخششِ الجرنال مرة تانية.

- أوامرك.. يا باشا.. سأطلب منه أن يظل في منزله إلى أن نتصل به تليفونياً.

- لأ.. قول له إنه حمار.. لا ينفع للعمل في جرنال.. الأفضل له أن يبحث عن شغل تاني. أنا.. يا نجيب مش عاجبني الشكل كله.. أنا بعت أجيب علي مرجان.

أصفر وجه نجيب وتلعثم في كلامه.. يتوقع أن أطيح به، فقد عرف عني قديماً أنني أختار بعض الصحفيين وأكلفهم بإعداد ملحق جديد أو العمل على تشكيل فريق جديد لمطبوعة جديدة وعندما ينتهون من أعمالهم وقبل أن يظهر الملحق أو المطبوعة الجديدة إلى النور.. أطيح بهم..

بعضهم كنت أنتظر عليه بعض الوقت إلى أن يظهر أمامي من يصلح لرئاسة العمل الجديد والبعض الآخر.. كنت أعطيه "السكة" بمجرد الانتهاء من الإعداد الزيرو.

- اللي تشوفه يا ريس.. أنا خدامك في أي موقع.

هذا النوع من الصحفيين لن أجده في الجيل الجديد. كلهم متعجلون وكل منهم يظن نفسه التابعي أو هيكل.. هيكل مين.. والتابعي مين؟.. كل منهم يعتقد في قرارة نفسه انه فاروق عوض.. ولكن فاروق واحد فقط.. لا شريك له ولا مثيل.

الجلسة مع الواد علي مرجان قد تكون مفيدة خاصة إذا عمل معي.. سأقترح عليه ذلك مرة أخرى قد يضيف مذاقاً لاذعاً للجريدة. مثل هذا المذاق مطلوب في السوق الحالي.. مشكلة العيال اللي راحوا الخليج.. عادوا بأفكار جديدة وأساليب عمل جديدة والمطلوب التعامل معهم أيضاً بأساليب جديدة.. الكل عاد وعلى لسانه مشقة الغربة والاغتراب، إلا أنهم يجمعون على احترام قيمة العمل هناك وأن المميز في عمله، يحملونه أصحاب العمل فوق رؤوسهم.. خرج من مؤسستي العشرات للعمل هناك وعندما عادوا وانتفخت جيوبهم بالدولارات، أجلستهم في

الجريدة بلا عمل حقيقي ولعدة سنوات في جريدتي القديمة. بعضهم ظل حتى خروجه إلى المعاش دون أن يكتب حرفاً واحداً .

علي بك مرجان.. وصل.. أخبرني الساعي.. قمت من على مكتبي لاستقباله عند الباب.. رحبت به. أمسكت يده حتى بابي.. المحررون الجدد.. لا يعرفونه.. عيونهم عليه إلى أن دخل مكتبي.. نجيب تجاهل قدومه وانشغل في أوراق على مكتبه، دس فيها أنفه وعينيه.

- مبروك الجرنال الجديد.. المكان شيك.

- الله يبارك فيك.. أنا عاوزك معايا يا علي.

- موقفي من الصحافة حددته منذ عودتي.. الصحافة "لمت".. دخلها كل من هب ودب.. دون موهبة أو ثقافة.. أكثر المحررين شهرة وثراء.. هم بتوع الإعلانات.. بعضهم لا يستطيع كتابة خبر.. وسيادتك سيد العارفين.. مش عاوز أقول إنك المنتج الرئيسي لهذه النوعية من الزبالة.

الواد "هيقل" أدبه.. الكلام معه يجب أن يكون بحساب وأنا بالفعل في حاجة إليه.. أحتاج مدير تحرير حقيقي.. غير نجيب الذي يحاول أن يوهمك بأنه يحمل الجرنال على

يديه.. وإذا رفع يديه سيسقط الجرنال.. نجيب له وظيفة أو عدة وظائف أخرى غير الكتابة والتحرير.. مقاله عن رموز الوطن.. أفضل مثال لخلاصة فكره الصحفي. فهو لا يجمع حوله سوى أمثاله.. الخدم.. والصحافة الآن تحولت إلى شيء أخر وعلي مرجان لديه القدرة على جمع مجموعة متنوعة من الصحفيين من الممكن أن تعطي قوة دفع للجرنال الجديد.

- طيب أنا عاوزك تكتب مقال اسبوعي.

- صعب أوعدك.. أنا هكتب لك مقالاً في ثالث أو رابع عدد.. مقال تحية أو كما يقول الخواجات مقال "كومبولموه".

- بلاش تكتب يا عم أو تشتغل معي.. عاوزك تحط إيدك معايا.. تختار لي بعض الصحفيينَ من جيلك والجيل الذي يسبقك.. عاوز باقة من الصحفيين.

أرغب في أن يكون جرنالي الجديد شيئاً مختلفاً.. ظللت طوال حياتي المهنية أكتب لشخص واحد وفي النهاية تخلى عني.. وإذا حاولت أن أكتب لكل الناس، سيسخر مني القراء.. أحتاج مجموعة من الكتاب الذين يتمتعون باحترام ومصداقية.. أريد كاتب إخوانجي مشهور وأخر ماركسى "عتويل" وكاتب شيوعي من التائبين وأخر ناصري متهور

وصحفي ناصري عقلاني وصحفي ليبرالي فاجر.. أريـد باقة تساعدني في الخلطة التي أتمنـى أن أقـدمها وعلـي مرجان قد يساعدني في ذلك.. وفي الوقت نفسه أبحث عمن يدير عملية اشتباك قوية ومخططة بدقة مع الصحف التـي تهاجمني.. علي مرجان هذا قد يفيدني في ذلك. الـسنوات الست التي قضاها في لندن شهدت معارك صحفية كبـرى بين رجل الأعمال المصري الشهير محمد الفايد من جهـة ورجل الأعمال البريطاني دوني رونالد وأشرف مروان من جهة أخرى.. تابعها كلها علي مرجان بدقة وأكيد تعلم كيف تدار مثل هذه المعارك.

– الخلطة يا ريس سهلة.. الكل على اسـتعداد أن يجـد منفذاً للتعبير بحرية عن أفكاره وإذا كان العائـد مجـز.. ستجد العشرات يلبون النداء. أمـا المعـارك الـصحفية، فالنصيحة التي أقدمها لأستاذي أنه إذا دخلهـا سيخـسر.. وبدلاً من التراشق في الصحف يرد على ذلـك كلـه فـي كتاب.. يرد فيه على كل الانتقادات ويكشف أسراراً عـن نفسه وبصراحة. أسراراً لم يتوصل إليها من قبـل الـذين يهاجموك.

كلام الواد معقول.. خاصة وأن هناك من أصدر كتاباً مؤخراً يهاجمني "فاروق عوض.. شوية فوق وشوية تحت". أخشى أن يكون هذا الواطي الذي لا يختلف كثيراً عمن عرفتهم من الواطيين يحاول استدراجي إلى منطقة ملغومة.. ولكن فكرة.. الكتاب أفضل. فأنا أعترف أنني لم أنجح في كل السنوات الماضية أن أعد كاتباً حقيقياً في جريدتي السابقة، كما أن دائرتي كلها كانت من المستفيدين الواطيين الذين رشقوا حرابهم في ظهري بمجرد خروجي من الخدمة. استأذنت علي مرجان لدخول الحمام لأشرب بعض الجرعات من "الكورفوازية" الذي أحمله بصفة دائمة في جيب الجاكت الداخلي العلوي. بعض الجرعات تمكنني من الاستماع له جيداً وتقييم خططه الذي سيعرضها عليَ.

استأذنني علي مرجان ليجلس على راحته ويضع ساقاً على ساق.. ألقى عليَ محاضرة طويلة، بدأها باليابان. لا أعلم سر اليابان تلك معه أو مع شوكت المحامي صديقي.. تحدث عن أهمية الاعتراف كركن إيماني هام لدى المسيحيين. المسيحي المؤمن يذهب إلى الكنيسة ليجلس على كرسي الاعتراف ويقر بذنوبه أمام القس. الغفران لا يمنحه قسيس أو شيخ.. المغفرة من عند الله، إلا أن التوبة النصوحة ألا يعود المؤمن إلى ارتكاب المعاصي مرة

أخرى ويندم على ما فعل.. ينقلني في حديثه بين معتقدات النصارى وإيمان المسلمين الصحيح.. يهدف إلى إقناعي بأن الاعتراف في حد ذاته يخلص النفس البشرية من الكثير من الآلام وليس الآثام.. ما شي.. يا عم علي مرجان.. الواد قالوا عليه زمان انه شيوعي.. إلا أنه يبدو شيوعياً وقبطياً وشيخ طريقه. يقنعني بأن الاعتراف في كتابي سيخلصني من العديد من المشاكل النفسية وكأنه يعلم ماذا يدور بداخلي وحجم ما أعانيه.

قطع حديثنا مكالمة تليفونية من العقيد / مصطفى. الواد الذي طردته هو قريبه. طمأنته.. أنه سيعود إلى عمله وسأطرد من طرده.. دخل عليَ نجيب بخبر من الوكالة يقول أنه تم رفض الاستئناف المقدم من المستشار خليل صديقي.. قرأت الخبر بسرعة وتذكرت وجه خليل الذي لم يفارقني هذا الصباح واستمرت المكالمة.

- أنا عاوز خدمة منك.. عاوز تصريح لزيارة المستشار خليل في سجن مزرعة طرة.

- تحت أمرك.. أعتبر التصريح جاهز.. يمر عليَ في أي وقت نجيب الحاوي لاستلامه.. التصريح مفتوح.. تزور صديقك في أي وقت.

- أحنا معندناش حد باسم الحاوي.

- لأ.. لأ.. نجيب اللي عندك.. الأستاذ نجيب اسمه الرابع.. اسم العائلة.. الحاوي.

هو حاوي بالفعل.. كيف أجهل اسمه وقد عمل معي طوال هذه السنوات.. هو حاوي يلاعب القرود ويعلم لغة الطير ويحرك الرياح.. ولكن لماذا ذكر لي مصطفى بك الحاوي دون غيره للمرور عليه لاستلام التصريح.. ومع من بالضبط يعمل الحاوي هذا؟. وهل مصطفى بك يريد أن يحرق ورقة كان يعمل بها طوال هذا الوقت.. ضباط أمن الدولة كلامهم بحساب. ربما يريد إبلاغي بأن نجيب الحاوي رجلهم في الجريدة الجديدة.. وربما يكون قد ذكر اسمه ليدفعني إلى التخلص منه.. حاوي.. حاوي.. له مهام أخرى ولي فيه أيضا مآرب أخرى.

دعك من ذلك كله.. الحديث الآن مع علي مرجان أهم.. اقتربت من الاقتناع بوجهة نظره بخصوص الكتاب وأنه أفضل في المعركة من النشر في الجرائد.. الكتاب كما يقول من الأسلحة التقليدية الثقيلة.. استمر يحكي لي عن الياباني الذي حاولت جهة معادية تجنيده للعمل معهم.

- إيه حدوتة اليابان دي.. يا علي.. كل ما أقابل شخص يحكي لي عن اليابان.

- اليابان مازالت سراً مغلقاً يحير العالم واحنا لا نعرف عنهم إلا قصارى القصص والحواديت.

واستمر في حديثه.. الجهة المعادية تعرف كل شيء عن هذا الياباني الهدف.. انتظروا سفره إلى بعثة دراسية خارج اليابان.. هناك ألقوا في طريقه بامرأة شابة قوية وضخمة وجميلة.. اليابانيون يسيل لعابهم على المرأة ذات المواصفات الجيدة والتي ينعكس على تقاطيع جسمها الوفرة دون إفراط.. ينزل الياباني من الفندق ينتظر على محطة الأتوبيس.. في اليوم الثالث أو الرابع ظهرت له المرأة في نفس موعد نزوله.. ركبت معه الأتوبيس ونزلت قبله بمحطة أو محطتين نزولها معه قد يثير شكوكه.. في اليوم الخامس أو السادس تبادلا النظرات والتحية عن بعد.. لم تقترب منه.. فهي تعلم أنه قبل سفره حضر في اليابان دورة تدريبية عن كيفية عدم الوقوع في براثن أي جهة أجنبية.. اقترابها منه ربما يخيفه.. تركته هو ليقترب واستمرت تركب نفس الأتوبيس وتنزل قبله بمحطة أو اثنتين والله أعلم. حدثها ذات صباح وسألها أين تعمل وأين تنزل وطلب منها رقم تليفونها وأخبرها برغبته في أن

يتناول معها طعام العشاء.. اتصل بها.. اختارت المطعم.. تناولا العشاء وتكررت المقابلات وانتهت في شقتها بعد ليلة ساخنة واختفت الفتاة ولم يعد يراها بعد ذلك على محطة الأتوبيس. يتصل بتليفونها.. يطلبون منه التأكد من هذا الرقم، فهو غير موجود في الخدمة. أدرك أنه وقع في فخ وقد تكون ليلته الساخنة التي قضاها مع الفتاة تم تسجيلها بالصوت والصورة وأنها ستعاود الاتصال به.. صدق حدسه.. اتصلت به أخبرته أنها في انتظاره في نفس المطعم.. وصل.. قدمت له أحد معارفها.. جلسوا.. قدم له الصديق الجديد مظروفاً به صور له في مختلف الأوضاع.. ابتسم.. أبدى إعجابه الشديد بالصور واللقطات.. طلب من الفتاة أن ترسل له مجموعة أخرى من الصور الجميلة.. ليرسلها إلى زوجته وأصدقائه في اليابان.. الدهشة ألجمت الفتاة وصديقها.. انصرف وطلب منهما تلبية طلبه الأخير. إرسال الصور.. صفعة قوية للمبتزين. فهمت .. ياعلى .. يامرجان .

– يا فاروق بك يا عوض.. هناك كتابان في غاية الأهمية.. كتب سيرة ذاتية.. كتاب أدولف هتلر "كفاحي" وكتاب عثمان أحمد عثمان "حياتي" صفحات من حياتى. يهمنا عثمان.. قال كل شيء في كتابه.. قال كيف جمع

المليون جنيه الأولى في حياته ومهما يقـول خـصومه أو أعداؤه.. فلن يقولوا جديداً.. عليك أن تقول كَل شيء فـي كتابك وإذا هاجمك أحد.. تقول بهدوء وببرود أنك ذكـرت ذلك كله وبنفسك في كتابك.

- كلامك كله تمام.. نتفق.

- أنا هعمل لك الكتاب بعد الاتفـاق علـى الخطـوط العريضة والمواقف والمعارك التي يحتويها الكتاب.

- أجرك كام؟

- مش هقول لسيادتك خلي.. سأخذ منك عشرين ألـف جنيه.. وتتسلم المسودات وكل شيء.. ولن أفضح سـيادتك مثل غيري وأقول أنني صاحب الكتاب الذي وضعت اسمك عليه.

واطيين.. لكن التعامل مع الواطيين أحياناً يكون أضمن وأسهل من التعامل مع من يتـشدقون بالمبـادئ والقـيم. أخبرني أنه لا يخرج كثيراً من منزله العامر فـي طريـق مصر الإسكندرية وإن كنت أرغب في الشروع في الكتاب عليَ زيارته ودفع نصف القيمة كعربون، على أن يسلمنيَ الكتاب بعد شهرين بالتمام والكمال.. نهض وشد على يدي وأكد لي التزامه بإنه سيرسل إليَ مقالاً بعد ظهـور العـدد

الثالث أو الرابع في السوق.. مقاله سيكون في نهاية الأسبوع لصدور الجريدة.. احتضنته مودعاً وشعرت بالندم لفصلي له، فهو وإن كان مثل الواطيين الذين تعاملت معهم.. إلا أنه واطي مختلف.. صاحب فكر.

بمجرد خروجه، دخل عليَ نجيب.. نجيب الحاوي الذي كنت لا أعرف لقبه.. لم يهدأ.. يرغب في معرفة ما دار بيني وبين علي مرجان.. وهل سيعمل معنا في الجريدة ومتى سيأتي؟ لم يحصل مني على إجابة واحدة.. الحاوي له وظيفة أخرى.. عدة وظائف أخرى.. تنظيم اللعب داخل مؤسستي القديمة مع رئيس مجلس الإدارة الجديد الذي يجمع الكل على أنه رأس الحربة في الهجوم ضدي.

- إيه أخبار المؤسسة يا نجيب.؟

- كل يوم قرارات جديدة.. يحاول بها ارضاء ومداعبة العاملين.. آخر قرار أصدره.. صباح اليوم وعلقه في لوحة الإعلانات بمدخل المؤسسة هو الموافقة على علاج المحالين على المعاش على نفقة المؤسسة.

- رأي الناس إيه؟

- ناس مع القرار وناس ضده.. الناس اللي معاه بتقول أن سيادتك كنت تترك المحالين على المعاش هم وأسرهم يتسولون مصاريف العلاج.. بصراحة يا ريس.. القرار ده عمل له شعبية.

- شعبية إيه يا أهطل.. القرار مش هيكلفه حاجة.. ده تعلب.. عاوز الناس تصفق له، لكن القرارات الحقيقية.. مش هييجي ناحيتها.. فين اللائحة اللي وعد بيها.. فين تعديل الأجور والمرتبات.. فين حركة الإنصاف اللي قال عليها. أنا عايز.. يا نجيب يا حاوي شوية قلق داخل المؤسسة.

منذ أن علمت اسمه الحقيقي وأنا أناديه به لكنني اكتشفت أنه لا يحب هذا الاسم.. لو كنت في موقعي السابق لكلفت فريقاً بالبحث عن سبب التسمية وهل كان جده حاوياً بالفعل.. يلف في الموالد والقرى أو أنه مجرد لقب عادى. لم أعد أطمئن إليه بعد مكالمة العقيد مصطفى، فهو فيما يبدو يلعب لصالح الكل وليس لصالحي فقط.. المهمة الأخيرة التي طلبتها منه ستكشفه.. إذا كان يعمل لصالح الأمن والعقيد مصطفى سيتهرب من تنفيذ المهمة، فالأمن يهمه في المقام الأول استقرار المؤسسات وهدوئها وإذا كان

يعمل لصالحي سيعمل على تنفيذ الأمر فوراً ودون الرجوع إلى العقيد مصطفى.

- هتعمل إيه عشان القلق اللي أنا عاوزه.

- سأتصل بكل رجالك في المؤسسة.. أخبرهم بما قلته لكن ليس على لسانك.. بعد غد اجتماع لمجلس الإدارة.. هجمعهم أمام قاعة الاجتماعات لن أكون معهم بطبيعة الحال.. فأنا يا ريس مازلت محسوباً عليك.. هتاف وصراخ وهجوم على أعضاء مجلس الإدارة ويفط سأكتبها الليلة.. تطالب بإعداد اللائحة الجديدة وتعديل المرتبات وسينزل رجالك إلى الشارع.. أمام المؤسسة يستكملون الهتاف.. وكم مصور معنا يلتقط لهم صوراً.. وكم محطة تليفزيون فضائية.. سأتصل بها.. وهنشوفه هيعمل إيه!

- زي ما رفع مرتبات رؤساء التحرير، يرفع مرتبات الغلابة من الصحفيين والإداريين والعمال.

أرغب في أن ينقل نجيب الحاوي هذا الكلام إلى كل الناس.. أعلم أن هناك حالة من الانفلات داخل المؤسسة منذ أن غادرتها.. هذه الحالة لابد من الاستفادة منها.. ليعلم رأس الحربة هذا أنني من الممكن أن أداعبه وأن أصابعي مازالت مغروسة داخل المؤسسة وأن أثاري ستبقى فيها

عقوداً وليس كما يقول بعض السفلة "إن نفاياتي ستظل عالقة بجدران المؤسسة لمدة عشرين سنة على الأقل." الحرب مع هذا الرجل ليست بسيطة أو هينة.. هو رغم مظهره الهادئ وصوته الخفيض ومعرفتي به.. ورئاستي له التي امتدت سنوات.. أعلم أنه ليس بالسهل أو الهين.. دماغه حديد ولابد من تسخين هذا الحديد ليشعر بخطورة وضعه.

جوانا على التليفون.. تسأل عني وإذا كنت سأسهر في الجرنال الجديد إلى وقت متأخر أم لا.

- سيمر عليك سيد السائق.. اجلسي في المقعد الخلفي.. مقعدي.. سيأتي بك إلى هنا في الجرنال وفي نهاية الليلة سنذهب سوياً إلى الفندق.. الجرنال الجديد وإن كان أخرجني من عزلتي وإحساسي بسجن النفس والانقباض وأعاد إليَ بعض السلطة والنفوذ اللتان افتقدتهما، أخذ مني جوانا وأبعدها عني وهي التي كانت الملاذ والملجأ في ساعات القهر والوهن.. ليلتي سأقضيها مع جوانا في الفندق وسأجعل الفندق هو مقري المؤقت لاستفيد قدر استطاعي بالفترة الباقية من قيمة إيجار الحجرة التي دفعتها مؤسستي مقدماً.

يوسف النجار.. سكرتيري.. الرجل الوحيد الذي عمــل معي يتصل تليفونياً.

- أنا عايزك يا يوسف.. تمر عليَ في الفندق الليلــة.. آه.. في القاهرة.. عشان نتكلم في كيفية تنظيم حفل استقبال ضخم مع ظهور العدد الأول من جريدتي الجديدة "الزمن".

- سأمر على سيادتك غداً صباحاً.. قبل ذهــابي إلــى البورصة.. فأنا أقيم الآن في وسط البلد.. يوسف لديه أجندة تليفونات كل معــارفي وأصــدقائي وتليفونــات الــوزراء الحاليين والسابقين.. وعندما خرجت من الخدمة.. طلبــت منه أن يسلمني الأجندة. إلا أنه تحجج بأنها قديمة وممزقة.. وسينقل الأسماء في أجنده جديدة ويسلمها لي.. بالطبع أبــر بما وعد إلا أنه لم يكتب أو ينقل كل التليفونات والأســماء متعمداً.. واكتشفت أنا ذلك في حينــه عنــدما قلبــت فــي صفحات الأجندة.. واحد آخر من الواطيين.. لحم أكتافه من خيري.. إلا أنه أمن نفسه بكل الطرق قبل وبعد خروجــي من الخدمة.. أقل من شهر وبعدما تم فتح بالوعات الصرف الصحي ضدي في الجرائد إياها.. سوى معاشه وخرج هو أيضاً من الخدمة واختفى تماماً ولم تمسه صحف المعارضة من قريب أو بعيد وأشــك أن بعــض أخبــاري القديمــة وعلاقاتي التي يرونها مشينة، يوسف هذا وراء تسريبها.

عندما اختلى بنفسي يدق رأسي سؤال وهو كيف جمعت هؤلاء "الواطيين" حولي.. وهل جاءوا بأنفسهم أم أنا قمـــت بنفسي باختيارهم وهل كلام الواد " الواطي " بأنني "أقرب الأسافل مني كأنني أحن إلى عرق فيَ " كلام صحيح.. أو أن الكرسي أو المقعد يجذب هؤلاء الواطيين من كل حدب وصوب كالورقة المدهونة عسل التي يتجمع عليها الذباب.. فترة وانتهت.. ويجب عليَ أن أنسى مثل هذه التفاصـــيل.. الاعتراف والكتاب على رأي علي مرجان قد يخلصني من هموم كثيرة ومنها هؤلاء الأشخاص الذين يجب تعـــريتهم وفضحهم.. ليس على صفحات الجرائد التي لا تعيش أكثر من يوم واحد ولكن في كتاب يعيش عشرات السنين. جـــاء سيد بجوانا من التجمع الخامس.. إلـــى الفنـــدق ذهبـــت.. اغتسلت وقضيت ليلتي أغسل بعض همومي مع جوانا.

* * *

نهاية خدمة الغز

الزمن .. جريدة " الزمن " أعادت اليَ اتزاني النفسي وبعضاً من كرامتي .. الزمن وجوانا ، حافظا عليَ ودفعاني للطفو فوق سطح الماء مرة أخرى ومكناني من التنفس . سكرتارية جديدة وحراس اخترتهم بنفسي ، اشداء طوال عراض .. اثنان منهما يحملان سلاح والثلاثة الباقين عليهم الهيبة .. الجريدة أعادت من قطعني ووصلت من ابتعد عني .. التليفونات لا تهدأ .. حتى المسئول الكبير عاود الاتصال بي .. مرة كل يومين على الأقل .. يسأل عني وعن اخبار الجريدة ومدى انتشارها وارقام توزيعها ويدعو لي بالنجاح .. نسى انه سبني مرة بأمي .. نسى أو تناسى انه قال لي " يابن .... " .. مصالح ولابد من التعامل معها .. فوق الكرسي وتحت الكرسي .

عندما تكون فوق الكرسي تأمر فتطاع ، تلقي بالأوامر وتجد العشرات يهرولون لتنفيذها وعندما تكون تحت الكرسي تبحث عن ملاذ وتفكر في البحث عن حماية وتفكر أحيانا في الهروب بجلدك حتى لا تسلخ ولا تجرح ولا تقتل باللعنات .. الخروج من المنصب يكسب الفرد فضائل

جديدة، منها فضيلة الاستماع إلى الرأي الآخر حتى ولــو جاء من شخص تراه عديم القيمة والأهمية.. عندما جاءني سكرتيري السابق يوسف النجار إلى الفندق وتحدثت معــه في تنظيم حفل استقبال يليق بالجريدة الجديــدة، نــصحني بالتريث.. أشار علي بالانتظار لبعض الوقت إلى ان تحقق الجريدة بعض الانتشار ويعود كبار القوم يخطبون ودي كما كانوا يفعلون سابقاً وعند ذلك تقام الافراح والليالي الملاح.. وبدلاً من الحفل الواحد يصبح هناك عشرات الاحتفالات.

يوسف هذا لم استمع أبداً لرأي له ، ولم يجــرؤ طــوال خدمته معي أن يبدي رأياً أو يقدم اقتراحــاً.. الان اصــبح صاحب رأي واقتراحات وصاحب ملايين.. جاءني الفندق وفي معصمه ساعة ذهبية ممن كنــت اشــتريها بــاموال المؤسسه لتوزيعها كهدايا لأصحاب المقامات الرفيعة والذين اثبت الزمن انهم " واطيينن " مثل غيرهم.. كانت الهــدايا التي تبلغ الملايين سنوياً أنواعاً وأشكالاً توزع على كبــار المسئولين.. بعضهم كان يطلبها بلسانه ويحدد النوعيــة.. منها الساعات والأقلام والولاعات الذهبية .. أنواع أخــرى من علب القطيفه الحمراء والخضراء والزرقاء بها جنيهات ذهبية.. الملك جورج.. تختلف احجام العلب المقدمة طبقــاً لمكانة المسئول وأهميتة.. بالنسبة للمؤسسة وبالنــسبة لــي

وهل هو من اصحاب القرار في بقائي في منصبي أو أنـــه مجرد مسئول ديكور .

علب الجنيهات الذهبية كانت خمسة أنواع ، ترقد فيهـــا اعداد مختلفة من جنيهات جورج على شكل هرم.. فئات.. علبة بها ستة جنيهات.. وعشر جنيهات وخمـــسة عـــشرة جنيهاً وإحدى وعشرين جنيها والعلبة الكبرى كان بها ثمان وعشرون جنيها. العلبه الاخيرة كانت للصفوة مـــن أمثـــال المسئول الكبير الذي سبني بأمي. كانت تصله مـــع هـــدايا اخرى بمناسبة رأس السنة. المكلف بتوزيع الهـــدايا هـــو يوسف النجار.. يتسلم مني كشفاً بالأسماء ونـــوع الهـــدايا ويقوم بإعدادها وتسليمها.. ظل سنوات يؤدي هذه المهمة.. إلا إنه خان الأمانة.. كان لصاً .. اتصل بي المسئول الكبير ذات مرة.. سألنى.. هل المؤسسة افتقرت هذا العام.؟ سألت إذا كانت هديته وصلت أم لا؟ اخبرني أن علبة الجنيهـــات وصلته بالفعل ولكن بها خمسة عشر جنيها ولـــيس ثمـــان وعشرين مثل كل عام !

سألت يوسف.. اعتذر وتأسف وقال إنه سيرســـل اليـــه على الفور علبة أخرى بخمسة عشرة جنيهاً ذهبياً.. وبخته وطلبت منه أن يرسل له علبة أخرى من الفئـــة الكبـــرى وعلمت أنه لص.. وها هو يأتي إلى الفندق وفي معـــصمه

ساعة من الذهب الخالص لا تقل قيمتها عن اربعين ألفاً من الجنيهات. وماذا تساوى هذه الساعة فيما يلعب به الآن في البورصة كما قال لي نجيب الحاوى.. سبعة مليون جنيه.. من المؤسسه.. إن لم يكن سرقهم هو كانوا دخلوا جيبي أنا. عندما عرضت العمل عليه معي مرة أخرى في الجريـــدة الجديدة.. رفض بأدب مؤكداً أن العمل في البورصة.. بيع وشراء أسهم.. أكثر عائداً من العمل في جريدة . ورغم قلة أدب هذا الواطي، قبلت باقتراحه بتأجيل حفل الجريدة، على أن يقوم هو بتنظيمه في فندق كبير .

أفكر في الذهاب إلى قريتي بالموكب الجديد والحـــرس على ألا اقابل زوج خالتي الثقيل.. أمنع دخوله إلى المنزل وأجعل سيد السائق يخبره.. بأنني سأمكث ساعة أو أكثر ثم أعود إلى القاهرة ولا وقت لدي لمقابلة أحد.. أريد أن يعلم الواطي ان فاروق عوض عاد.. عاد مرة أخرى وبـــنفس القوة وليعلم الذين رفعوا اسمي من على المدرسة ومن على المجمع الطبي أي منقلـــب ينقلبـــون.. أخرجنـــي رنـــين التليفونات من هذه الفكرة مؤقتاً. هناك من يشيد بالجريـــدة وجرأتها ويهنئ بصدورها.. بعضهم تـــأخر فـــي التهنئـــة ليستكشف الوضع الجديد.. هناك من اثنى على مقال علـــى

مرجان.. مقاله اليوم لا يستطيع نجيب الحاوي أو الشيخ اياه صاحب تعبير حنا المشّاء أن يكتب مثله .

مقال على مرجان بعنوان " الله لا يحب الفساد " يتحدث فيه عمن تاجروا بالوطن وباعوه.. عن الذين أخذوا مئات الأفدنه بملاليم وباعوها بملايين.. يطعم كتاباته بآيات قرآنية وأحاديث شريفة وكلام شيوعيين.. لم احذف كلمه واحدة من مقاله. فالمقال رسالة فحواها إن فاروق عوض ليس الفاسد الأوحد.. هناك المئات لم يمسهم أحد بسوء ولم تهاجمهم الجرائد ولم ينهش لحمهم الصحفيون الذين ظهروا فجأة على الجرائد وفي التليفزيونات. أكثر من مسئول سابق وحالي أشادوا بمقال على مرجان هذا.. في الزمان الأول، عندما كان يشيد أحد بمقال أو تحقيق كتبه احد المحررين، أنقله على الفور إلى الأرشيف أو قسم الاستماع ولا أسمح له مرة أخرى بكتابة حرف واحد.. الأمر يختلف الآن.. أنا في حاجة إلى أكثر من على مرجان واحد وإذا استطعت استدراجه وإقناعه بكتابة أكثر من مقال في الأسبوع للجريدة سيصبح إضافه لها.. طلبت السكرتارية ليطلبوا لي رقم تليفون على مرجان.

- صباح الخير .. يا على بك .. مقالك اليـوم عامـل شغل.. التليفونات لم تنقطع.. عاوزين اكثر من مقال فـي الاسبوع.

- رأيي قلته لـسيادتك.. وأنـا مـشغول الان بكتـاب حضرتك، طبعا فى إطار الخطوط العريضة التـي اتفقنـا عليها وانا في انتظارك لتقضي معي يوماً في منزلي لنضع الرتوش النهائية .

- أنا على وعدي.. سأزورك أنا وجوانا وسنقضي معك يوماً كاملاً .. فأنا في حاجة إلى الخروج من ضغط العمل.

- مرحباً بك.. وتحياتي .

تليفون آخر من المسئول الكبير.. لابد أنه قـرأ مقـال زوجته السابقة.. طليقته التي تتحدث فيه عن نوعيـة مـن الرجال.. لا تشبع من المال الحلال أو الحرام وتجري وراء الفتيات الصغيرات رغم الإهانات التي تلحق بهـم.. إلا أن الإهانة جزء من اللذة لديهم. أشاد بمقـال علـي مرجـان وحذرني مرة أخرى من الاشتباك مع الصحف الأخرى.

- خليك فيما أنت فيه.. لا تغمز أو تلمز في جريـدتك الجديدة.. أنت قلت هتكتب كتاب ترد فيه على كل الناس.. الكتاب أفضل.. يا فاروق.

- أنا الآن أكتب في الكتاب يا باشا وعلى وشك الانتهاء منه.. قررت أن أكتب فيه كل شـــيء.. أعتـــرف وأعلـــن التوبة.. وخير الخاطئين التوابون. آه.. يا باشـــا.. هنعمـــل حفل استقبال بمناسبة صدور الجريدة والـــدعوة ستـــصلك وعاوز سيادتك تشرفنا.

- ماشي يا فاروق.. بس حط الكلام اللي بقول هولك.. حلق في ودنك.. وإلى اللقاء.

نجيب الحاوي غير مطمئن لبزوغ نجم علي مرجان من جديد.. كانوا شلة في الجريدة القديمة.. إذا وجدوا شخـــصاً يقرأ له.. تبدأ المؤامرات ضده.. كانوا يشوهون موضوعه بالحذف أو الإضافة في البروفات النهائية للـــصفحة قبـــل نزولها إلى المطبعة.. نجيب الحاوي الآن وحده.. العصابة تفرقت بها السبل.

- قرأت مقال علي مرجان.. يا نجيب. يا حاوي؟

- طبعاً يا ريس.. بس طويل شـــوية.. كنـــت عـــاوز اختصره.

- لأ.. مقال علي مرجان يأتي لي مباشرة ولا تمد يدك فيه.

- ماشي.. يا ريس.. تصريح زيارة المستشار خليل وصل.. ممكن تزوره في أي وقت.

لم اسأله إذا كان التصريح قد وصله على الجريدة أو ذهب بنفسه إلى العقيد مصطفى واستلمه منه.

- العقيد مصطفى.. أرسله وسيادتك كنت مش موجود.

- إيه أخبار المؤسسة؟

- علقوا ورقة الصبح.. بيقولوا أن لجنة ستبحث قضية الأجور وتستمع إلى كل الاقتراحات وستعلن النتائج خلال شهر.

- فلح إن صدق!

- ناس كتير متفائلة وبعض من كانوا ضده أصبحوا معه.. ناس للأسف من رجالتنا.

- عاوزين برضه شوية قلق في المؤسسة وفي النقابة.. الصور.. صور المظاهرة الهزيلة أمام المؤسسة اللي نشرتها الجرايد مش كفاية.. إنت مش هتغلب يا حاوي.

وبدأ يعرض عليَ بعض الموضوعات.. توقف عند مقال المذيعة إياها.. قال أن هناك كلاماً خارجاً لا يصح نشره.. نظرت إلى المقال وعلمت عليه بقلمي الأحمر √ صح.. لم

يعلق.. انصرف دون أن يغلق الباب خلفه.. هذا الــواد لا أعلم مع من يعمل بالضبط ولكن وجــوده فــي الجريــدة مطلوب الآن.. كل ما أفكر فيه رحلــة زيــارة المســتشار خليل. الأفضل أن أخرج من التجمع الخامس إلـــى طــره مباشرة عن طريق الأوتوستراد ثم أعود إلى الجريــدة، إلا أنني لا أستطيع تحديد اليــوم الآن.. مقــابلات وتكليفــات وتليفونات.

أخذتني الأيام.. سعادتي بالجريدة الجديدة والثناء عليهــا وعلى جرأتها في تناول الموضوعات، أنــساني موضــوع زيارة المستشار خليل التي أشعر أنني في أشد الإحتياج لها من خليل نفسه.. أحتاج أن أراه.. أرى كيف يتعامــل مــع أزمته، خاصة بعد رفض الاستئناف وهل مــا زال بقوتــه وجبروته أو أنه ضعف وانكسر.. بعد ثلاثة أو أربعة أيام.. وبعد تناول الإفطار في حديقتي كما أفعل.. توجهــت إلــى السيارة.. أمرت سيد السائق أن يتجه إلى طــره.. ســجن طره. الباب الرئيسي وليس باب الزيارات.. أقابل مــأمور السجن ويطلب لي المستشار خليل في مكتبه.. أجلس معــه بعض الوقت ثم أعود إلى الجريدة في المهندسين.

الطريق من التجمع الخامس حتى طره، علــى جانبيــه أراض شاسعة. بلدوزرات ثقيلة تــسوي الأرض وأخــرى

تقوم بالحفر.. عشرات الكيلو مترات.. عليها أسماء شركات تعمير.. وبعضها يحمل لافتات بأسماء أشخاص.. كل هذه الأراضي من أخذها.. وكم دفع فيها.. مدن ستقام هنا وملايين ستحصد وأنا يتهمني البعض باستغلال السلطة وحصولي على ألف فدان في طريق مصر الإسكندرية. لو كنت شاهدت هذا الطريق من قبل لكنت فكرت في الحصول على قطعة أرض على أحد جوانبه.. هنا أقرب من طريق مصر الإسكندرية والمتر سيكون سعره مرتفعاً. الطريق به الكثير من المنحنيات والحفر والمطبات.. قالوا إن مسئولي الشركة المشرفة على تنفيذ هذا الطريق وكبار المقاولين تم التحقيق معهم.. وانتهى التحقيق لعدم وجود شبهة إهدار أو اختلاس المال العام.. كل شبر في الطريق يؤكد وجود إهدار ووجود اختلاسات، إلا أن المتهم الرئيسي يبدو أنه راضي الكل.. تختلس وحدك.. تذهب السجن غير مأسوف عليك ويطبق عليك وحدك شعار "لا تستر على فساد".. تراضي من فوقك ومن حولك تصبح في أمان إلى حين!

اقتربنا من السجن.. سور وأبراج عليها حراسة. المنظر العام مقبض.. أشعر بضلوع صدري تضيق عليَ. لا أعلم

كيف سيكون اللقاء مع المستشار خليل.. وهل سيأتي لمقابلتي في حجرة المأمور أو سيرفض المجيء.. العديد من السجناء أمثال المستشار خليل يرفضون زيارات الأصدقاء. لا يرغبون أن يراهم الغرباء في وضع انكسار، يكفي منظرهم أمام الأسرة والأبناء.. أظهر سيد السائق التصريح لجنود الحراسة.. دخلنا بالسيارة من بوابة السجن.. حتى باب مكتب المأمور. أبدى المأمور إعجابه بالجريدة الجديدة وسأل عن سر التحول.. وهل أصبحت من المعارضة.. فمنذ العدد الأول للجريدة وأنا أهاجم الحكومة.. وهل جئت لزيارة صديقي المستشار خليل؟ أم أن الهدف تفقد السجن والمعاملة فيه.. ضابط ظريف.. الرتب العليا في الشرطة يسهل التعامل معهم وتتبدل وجوه أصحابها ويصبحون أكثر بشاشة وأقل توتراً.

جاء المستشار خليل.. يرتدي ملابس رياضية بيضاء.. تركنا المأمور، موضحاً أن اللقاء لا تزيد مدته عن نصف ساعة.. ارتمى خليل في حضني.. يمسك دموعه إلا أنه لم يستطع التحكم في انتفاض كل عضلات جسمه، أشعر به.. لا يبكي ولكن صوت النهنهة ارتفع.. ربت بكلتا يدي على

ظهره وأبعدته عني قليلاً وقبلته.. لم يستطع أن يمسك نفسه.. انفجر في البكاء.

- أنت أول صديق يأتي لزيارتي.. الكل اختفى.. الكل تبخر.. لم يسأل عني أحد.. ولم يسألوا حتى على زوجتي وأبنائي.

- الظروف صعبة!

- الوحيد الذي سأل عني نعيم مطر.. مديرك المالي والإداري السابق.. ارسل شيكاً لزوجتي من أمريكا بعشرة آلاف دولار.. وله ابن أخ هنا.. ضابط في السجن.. أوصاه عليَ والباقي ظهرت "قلة أصله".. عارف شوكت المحامي.. صاحبنا.. أخذ من زوجتي سبعين ألف جنيه للترافع عني.

- معلش.. أزمة وهتعدي.. وإذا كان الاستئناف لم ينصفك.. فستحصل على البراءة بإذن الله أمام النقض.

كلام خليل يمزقني إلا أنني حاولت التماسك قدر المستطاع.. حتى شوكت صديقنا.. لم يرحمه.. ولم يرحم أسرته وهو الذي قال لي إن خليل ليس ضده دليل إدانة واحد.

- أنا مش عارف أنا عملت إيه يا فاروق عشان ده كله.. دنا كنت خدام ومطيع.. ياما حبست ناس بالتليفون.. بالأمر.. ما قلتش لأ لحد فيهم أبداً.. دول يا فاروق ناس مالهمش أمان. مالهمش أمان!

أخذ يبكي بمرارة واضعاً وجهه بين كفيه.. لم أكن أعلم أن له علاقة بنعيم مطر وأن هذه العلاقة تبدو أنها أسرية لدرجة أن نعيم مطر المعروف ببخله الشديد، يرسل لزوجته عشرة آلاف دولار.. يبدو أن الكل يعرف بعضه.. شبكة.. الظاهر منها أقل من المختفي.. وعدته بزيارة أخرى عندما دخل المأمور قبل انتهاء النصف ساعة التي منحني إياها.. خرجت.. ركبت السيارة.. أردد بيني وبين نفسي جملته الأخيرة.. دول ناس مالهمش أمان.. مالهمش أمان.. لم أجلس في الجريدة أكثر من نصف ساعة، طلبت من نجيب الحاوي أن يدير العمل أثناء غيابي، ربما أذهب إلى الغردقة أو شرم الشيخ لمدة ثلاثة أيام.

لا غردقة ولا شرم.. ظللت الأيام الثلاثة في منزلي.. جوانا ترى أنني في حاجة إلى أجازة وحتى سيد السائق يقول أن الجريدة الجديدة أخذت كل وقتي ولم تعد تسمح لي حتى بالسهر إلى وقت متأخر كما كنت أفعل قبل صدور الجريدة.. الأجازة مطلوبة وطلبات جوانا يجب الاستجابة

لها.. بدأت أعود لعادتي القديمة وهي قراءة الجرائد قبل النوم.. لم تعد تشغلني جرائد المعارضة.. فكل هذا سيرد عليه في الكتاب الذي يعده علي مرجان.. تذكرت علي مرجان والوعد الذي قطعته على نفسي بقضاء يوم كامل في منزله وتذكرت موقف نجيب الحاوي منه ومن مقالاته.. اتصلت بالحاوي طلبت منه ألا يحذف كلمة أو جملة من مقال علي مرجان، يرسله إلى المطبعة مباشرة ولا يقترب من بعيد أو قريب من عمود المذيعة.. أعدت جوانا لوازم السهرة وذهب سيد السائق لإحضار الصحف.

أنظر في صحيفتي السابقة أولاً.. ثم جريدة واحدة مستقلة.. جريدتي القديمة تنشر خبراً على أربعة أعمدة في الصفحة الأولى بعنوان "موافقة مجلس الإدارة على تعديل الأجور في المؤسسة.. أعلى نسبة زيادة منذ أربعين سنة" وتحته "اللجنة النقابية تشكر رئيس مجلس الإدارة وتعاهده باسم العاملين على بذل المزيد من الجهد" وخبر آخر في نفس الصفحة "مجلس نقابة الصحفيين يستدعي فاروق عوض للسماع إلى شكواه".. لن أذهب إليهم.. في كتابي سأرد على كل ألاعيبهم.. الصفحة الأخيرة من الجريدة المستقلة.. صورة على ستة أعمدة بها سرير وكمودينو

ومنضدة صغيرة.. عليها أباجورة "حجـرة نـوم فـاروق عوض الملحقة بمكتبه" تدعي الصحيفة أن دخولها الحجرة وتصوير محتوياتها سبق صحفي.. ضحك على الـدقون.. من وضع الخبرين في الـصفحة الأولـى فـي جريـدتي القديمة.. هو نفسه الذي مكن مصور الصحيفة من دخـول حجرتي وتصويرها.. الزمن هو اللي هيخلصلى تـاري.. الكتاب سيكشفهم جميعاً.. من لعبوا معي ومن لعبوا ضدي ومن فضلوا الوقوف على الخط بعدما تربحـوا وتكـسبوا وأصبحوا من أصحاب الملايين.

جلس معي سيد ليشرب ويسألني إذا كانت الزيادة التـي قدرها رئيس مجلس الإدارة الجديد سيستفيد هو منها أم لا؟ خاصة وأنه في أجازة بدون مرتب والزيادة كبيرة.. تقترب بالنسبة له من مائتي جنيه.. تظاهرت بعدم سماعه وألقيـت بما في الكوب في جوفي المتأجج ناراً.. عاد ليسأل من أين سيدبر رئيس مجلس الإدارة الجديد ميزانية هذه الزيادة وهو يكتب باستمرار أن المؤسسة مدينة للبنوك بمبـالغ طائلـة. تركته يتحدث.. عمال الصحف وإداريوها أكثر خبثاً مـن الصحفيين.. يعلمون كل كبيرة وصغيرة داخل مؤسـساتهم

ويستعبطون، حتى هذا السائق الواطي لا يريد تركي في حالي.

- الزيادة.. يا سيد ممكن تأخذها لو قطعت الأجازة وعدت للعمل في الجراج مرة أخرى.

- أرجع تاني الجراج يا ريس.. للعربيات الخربانة والصحفيين الصغيرين المغرورين.

- غير كده لن تحصل على الزيادة.

- مش ممكن سيادتك تعوضني؟

- أنا باعوضك شرب كل ليلة بأكثر من الميتين جنيه في الشهر.

- بعدين نبقى نتكلم يا ريس.

- لأ.. كفاية عليك الليلة.. وروح!

من حجرة مكتبي إلى حجرة جوانا.. أستكمل السهرة وأقضي ليلتي دون إزعاج.

الشهور التي قضيتها بلا عمل.. أنتقل فيها من الحديقة إلى غرفة مكتبي.. إلى غرفة نومي.. إلى غرفة جوانا أصابتني بالبلادة والاسترخاء.. لم أعد قادراً على التركيز فترة طويلة، كما أن نوم العصاري ووجبات جوانا الدسمة

ساعدت في زيادة وزني بطريقة ملحوظة.. لا أستطيع العودة إلى لياقتي السابقة، بالفعل أنا في حاجة إلى أجازة طويلة.

الجرنال وقف على رجله.. نجيب الحاوي يديره بطريقة معقولة.. الشباب يبذلون قصارى جهدهم.. وكتّاب الأعمدة والمقالات يرسلون إنتاجهم بالفاكس أو النت.. ولكن إذا فكرت في أجازة حقيقية أين أقضيها؟ هل أسافر خارج مصر أو أظل فيها؟ شرم الشيخ والغردقة والساحل الشمالي لم يعد فيها ما يثيرني.. فنادق.. ونوم وأكل وأشرب.. قريتي كرهت ناسها.. أقاربي منذ زمن اكرههم.. ماذا لو فكرت في قضاء يوم فيما يسمى بالريف الجديد.. أذهب إلى علي مرجان.. أقضي معه يوماً كاملاً أو أبيت عنده ليلة أو أكثر أنا وجوانا. أراجع معه فصول الكتاب الذي قال أنه على وشك الانتهاء منه.. وأضع الرتوش الأخيرة بالحذف أو الإضافة ونختار عنواناً للكتاب.

- جوانا.. سنسافر إلى صديق في قرية حديثة نقضي هناك يوماً.

- أوكي.. متى؟

- سأجري عدة اتصالات تليفونية.. اطمئن أن كل شيء على ما يرام.. ونسافر غداً.

اتصلت بنجيب الحاوي أولاً، حاول أن يدخلني في أمور لم تعد تهمني.. تحدث عن المؤسسة والقرارات الجديدة التي أصدرها رئيس مجلس الإدارة.. يقترح عليَ أن اسمح له بتنظيم اعتصام داخل النقابة للاعتراض على أداء المجلس الذي رفض أن يتخذ إجراءات ضد الصحف التي تهاجمني ويطالبني بالحضور أمام لجنة للاستماع لأقوالي.

- كل ذلك لم يعد يهمني.. الراجل الجديد خلاص ثبت أقدامه وقدر يلم الدور.. ما يهمني الجرنال يا نجيب.. الشغل يا نجيب.

- كله تمام يا ريس.. الجرنال ماشي زي الساعة لا تشغل بالك.

- إذا ظهرت أي مشكلة.. اتصل بي في التليفون وشوف يوسف النجار عمل إيه في حكاية حفل الاستقبال.. عدد الضيوف لن يقل عن ثلثمائة.

أحب السفر صباحاً قبل الشروق أو بعد العصر وقبل الغروب سواء صيفاً أو شتاء.. الطرق في مصر وخاصة طريق مصر الإسكندرية يكون فيه الضغط المروري أقل..

واستطيع أن استمتع بالطريق.. اتصلت بعلي مرجان أخبره أننا سنزوره غداً وربما نقضي معه يوماً وليلة أو أكثـــر.. رحب بالزيارة وجاملني بطريقة الفلاحين.. معربـــاً عـــن رغبته في فرش الطريق بالرمل والزهور.. لا أستطيع أن أقول عنه هذه المرة "واطيين" ولكنه "أونطجي".. اعتدت أن أخبر سيد بالجهة التي أرغب الذهاب إليها بعـــد دخـــولي السيارة.. إلى الإسكندرية يا سيد.

- السرعة لا تزيد عن ثمانين.. تسعين كيلو عـــاوزين نستمتع بالطريق.. يا سيد. سأجلس أنا بجانبك.. وجوانا في المقعد الخلفي.

حددت له خط السير.. من التجمع الخامس حتى الهـــرم ومنه إلى أول الطريق الصحراوي.. سيارتي هـــذه بـــدون ستائر وأنا لا أعرف سبب الهوجة فـــي تركيـــب الـــستائر بالسيارات.. يبدو أنها تضيف أبهة على راكبيها، أو أنهـــا عدوى انتقلت من مسئول إلى آخر ثم نزلـــت إلـــى أدنـــى الأشخاص الذي يظنون أنفسهم من أصـــحاب المـــسئوليات. الستائر تبدو رغبة في العزلة والانعـــزال. المـــسئولون لا يرغبون في رؤية الناس ولا يرغب الناس رؤيتهم، كـــأنهم ابتليوا فأستتروا.. المقعد الأمامي يتيح مجالاً أفضل للرؤية

ويعطي رحابة للتأمل والتفكير.. لم يكن في أول الطريق الصحراوي سوى فندق واحد.. كيمولاند.. الفنادق انتشرت على جانبي الطريق.. كان هناك تجمع سكني واحد، له سور وبوابات وحراسة.. أول تجمع.. اطلقوا عليه المسمى الانجليزي "كمبوند"".. كان "كمبوند جرانه" هو الوحيد.. عشرات المجمعات الآن بأسماء مختلفة.

الطريق لم يعد صحراوياً كما كان.. اختفت الرمال من على الجانبين.. حلت محلها أشجار.. ومزارع.. سيد يقول إن بعض الزراعات امتدت إلى عشرة وخمسة عشر كيلو متر على جانبي الطريق وهناك مناطق تدخل فيها إلى ما هو أبعد عن أربعين كيلو.. كبار المسئولين اقتسموا الأراضي فيما بينهم.. ثم باعوها للناس.. أما أراضي مستصلحة أو أراضي بناء.. هنا بالفعل أنا أخذت ألف فدان.. قطعة واحدة.. قسمتها وبعتها. كلفت محرراً بتلك المهمة، ابتداء من تسجيل الأراضي حتى تسليمها للمشترين.. حصته كانت ثمان وثمانين فداناً.. طباخ السم لابد أن يتذوقه وتحول من غلبان إلى ثري.. ثم تحول إلى ثري واطيين وابتعد عني بعد خروجي وكأنني لست أنا ولي نعمته وصاحب الفضل عليه.

كل ما هو غير قانوني أو شرعي في هذه البلـــد ينمـــو بسرعة شديدة ويتطور بسرعة أكثر.. المشروعات حتـــى ولو كانت رصف طريق أو بناء كوبري تستغرق ســـنوات وسنوات والحجج جــاهزة.. محاولـــة تـــدبير ميزانيـــة.. والطريق كله.. تحول إلى مزارع ومجمعات ســـكنية فـــي شهور.. جرافات عملاقة تعمل على تسوية الأراضي التي لم تستصلح بعد.. هذه المعدات ملـــك أفـــراد أو شـــركات خاصة.. الميزانية لديهم جاهزة.. والأموال تتدفق ومجـــرد رفع لافتة عن بيع أراضي يظهر بدل المشتري عـــشرة.. يدفعون مبالغ طائلة.. وتدور الدائرة وينتقلون إلى أراضي جديدة في أماكن بعيدة. لست أنا الوحيد الذي حصلت على مثل هذه الأرض.. ألف فدان ليسوا بالمساحة الكبيرة فـــي المليون كيلو متر المربع.. مساحه مصر.

- سيد.. سنلف شمال بعد " وادي فودز" ثم ندخل يميناً.. إلى منزل أو مزرعة علي بك مرجان.

- شايف إن الطريق عاجب سيادتك.. نمشي فيه شـــوية ثم نعود.

- عشرين.. ثلاثين كيلو كفايه.

- ماشي يا ريس.

جوانا مبهورة بالطريق.. أول مرة تسير فيـــه نهـــاراً.. الخضرة والزراعات وحركة بعض السيارات النصف نقل المحملة بالفاكهة والخضروات.. تجبرها على السؤال عـــن سبب استيراد مصر لكميات كبيرة مـــن احتياجاتهـــا مـــن الخارج.. سؤالها ليس له إجابة وإن كان الناس في مصر لا يطبخون الموز أو التفاح أو الفراولة.. الناس تريـــد خبـــزاً والخبز من القمح والقمح فيما يبدو محصول غير عـــاطفي بالنسبة للمسئولين والحكومـــة وحتـــى الفلاحـــين ومـــلاك الأراضي الجدد. الناس تعلمت من الحكومة.. تعلمت البحث عن المكاسب.. هل يعقل أن في مصر زراعات البرســـيم تلتهم أجود الأراضي الزراعيـــة وأقربهـــا إلـــى منـــاطق العمران.. غذاء الحيوان أهم من غذاء الإنسان.. الفلاحون لا يفكرون في حيوان أو إنسان.. كلهم مثل زوج خـــالتي.. الرجل الثقيل الجشع.. يزرعون البرسيم لأنهـــم يحـــصلون قيمته على رأس الغيط.. البرسيم محصول نقدي. إدفـــع.. شيل!

انحرف سيد يساراً.. ثم دخل إلى اليمين.. طريق طويل توقف وسأل عن مزرعة السعد.. ثلاثة أربعة كيلو جـــوه.. محدثه سأله.. إذا كان يريد مزرعة الحاج علي مرجـــان، فهناك عدة لافتات في الطريق تشير إلى اتجـــاه مزرعـــة

الحاج.. وصلنا.. إلى البوابة استقبلنا الحاج مرجان.. انبهرت جوانا من مدخل المزرعة.. قالت "رانش".. مثل مزرعة الرئيس الأمريكي بوش.. على بعد عشرات من الأمتار.. منزل صغير بقباب مصمم على طريقة المهندس المعماري المعروف حسن فتحي.. عدة أبراج للحمام.. بعض الماعز الأبيض.. لم أره من قبل.. استقبلنا على مرجان بحفاوة شديدة.. سألنا.. نجلس داخل المنزل أو خارجه.. جرت جوانا إلى معزة بيضاء لتمرر كفها على ظهرها.. هذا ماعز سويسري.. أوضح لنا علي مرجان.. فضلنا أن نجلس خارج المنزل.. ترابيزة وعدة كراسي من جريد النخل.. ظهرت زوجته وأولاده.. رحبوا بنا ثم اختفوا.

المنزل في مقدمة المزرعة.. أراضي مزروعة فيما يبدو نبات عباد الشمس بأقراصه الذهبية وأوراقه الخضراء وسيقانه الطويلة.. اقترح علي مرجان أن تدخل جوانا البيت، لتغير ملابسها وترتدي جلباباً واصر أيضاً أن أغير ملابسي لنجلس على راحتنا.. الجلسة ستطول والكتاب طويل.. والنقاش قد يمتد وقد نبيت ليلتنا هنا.. ابتسم علي مرجان قائلاً.

- لن أسألك عن البطاقة الشخصية أو قسيمة الزواج كما تفعل الفنادق.

دخلت جوانا المنزل.. خرجت ترتدي جلباباً وتضع على رأسها منديلاً مزركشاً وتحمل صينية عليها براد شاي كبير وثلاثة أكواب.. جلسنا، دخل علي مرجان في الشغل مباشرة.. أمامه ملف ورقي ضخم.. وفتح لاب توب.

- الكتاب تقريباً جاهز ومناقشة فصوله مش هتستغرق وقت.. أظن أننا هنتكلم ساعات عشان اختيار العنوان.

تحدث بعض الشيء عن منزله ومزرعته.. أكد أن كل طوبه فيه حلال.. غربة سنوات.. سبعة أفدنة لا غير. جاء بناس بلدياته.. يعملون لديه بالأجر.. منزله ومزرعته تشعرك بالطمأنينة والراحة.. فيلتي في التجمع الخامس تفتقد مثل هذا الشعور.. والأهم.. هو نفسه.. مرتاح البال والضمير.. لا يشغله شيء كما يقول سوى الحفاظ على ما جمعه من حلال والعمل على تنميته.. لا أعلم لماذا يصر على كلمه الحلال هذه.. دخل في الشغل.

- يا ريس أنت قعدت عشرين سنة رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير.. في مؤسستك سبعة وعشرون شركة ولديك عدة آلاف من المستخدمين.. لو ظلمت أو عذبت كل

سنة اثنين في هذه الشركات.. هذا لن يضيرك، فهناك حكام يظلمون ملايين من شعوبهم.

تحدث عن الكتاب الذي قسمه إلى فـصول.. فـصول تحمل أسماء معارك فاروق عوض وخطايا فاروق عوض ومراجعات فاروق عوض. الكتاب فيه كل شيء ويرد على كل شيء. فصلي للمحررين والعمال والإداريين وأسـباب الفصل.. الأموال التي أغدقتها على البعض ودوافع ذلـك.. القروض الحسنة التي منحتها للبعض بـالملايين وخاصـة النساء منهن كما تشيع صحف المعارضة.. كل شيء فنده.

- موضوع القروض الحسنة هذه كتبت فيهـا كثيـراً، خاصة وأن بعضها ذكرت في قرارك أنهـا تـسدد علـى عشرين عاماً وواحدة من الحاصلات على هذه القـروض أمامها عامان وتخرج للمعاش.. امرأة فـي الـستين مـن عمرها منحتها قرضاً لظروف إنـسانية.. لا تبغـي منهـا شيئاً.. فهي من قواعد النساء اللاتي لا يبغين نكاحاً.

عفريت.. كلامه منطقي ودخلنا على اختيـار عنـوان الكتاب. اقترحت عليه أكثر من عنوان.. رفضهم جميعـاً.. أخذ يحكي عن العناوين الجديدة والهدف من العنوان والجهة التي يخاطبها العنوان والتأثير المرجو من العنوان.. لـيس

لدي القدرة على سماع مثل هذا الكلام وكأنني في محاضرة أو في فصل دراسي ممل. إقترح هو عنوان واحد واصـــر عليه.. " أهل الظلم" مثل أهل الجنة وأهل النار، من يقــرأ العنوان يربط بينه وبين اسم مؤلفه فاروق عــوض الــذي يتهمه خصومه بالظلم وعندما يقرأون الكتــاب أو بعــض فصوله، يرون أن فاروق عوض ظُلم ولم يَظلم. يوم كامل أمضيناه تخلله غداء وعشاء ووعد بأن يرسل الكتاب كلــه على الإيميل وأن أنشره وقتما أشاء على ألا أنسى أن أرسل له بقية المبلغ.. عندما حل المساء طلب أن تنام جوانا ليلتها مع زوجته وبناته.

لم يغمض لي جفن طوال الليــل.. أنظــر فـــي ســقف المضيفة التي قضينا ليلتنا فيها.. أربعة أسرة.. نــام ســيد السائق بمجرد أن وضع دماغه على الوسادة.. ونام علـــى مرجان وظللت أنا والسرير الفارغ ننظر إلى السقف.. كيف جمع على مرجان كل هذه الأوراق والمستندات.. ذكرنـــي بأشياء قد نسيتها.. قرارات اتخذتها.. علق عليها في الكتاب وبرر ظروف إصدارها.. من القرارات ما هو مــضحك.. ترقية صحفي إلى نائب رئيس التحرير لــشئون الــصيانة والإنشاءات. قرار بتحويل مبلغ يساوي سبعة ملايين جنيه

لتسوية قضية تحرش جنسي تورط فيها أحد مديري مكاتبنا في الخارج.. قضية بيع الأرض التابعة للمؤسسة بثمن يقل عن سعرها بأربعين مليون جنيه.. كيـف وصـلته تلـك الأوراق والمستندات.. في ثنايا كلامه أوضح لي أنه بعد أن فصلته وسافر للخليج، لم تغب عن تفكيره المؤسسة للحظة واحدة.. كانت اتصالاته بالزملاء مستمرة.. يرسـلون لـه بالفاكس صوراً للقرارات وحتى الأوراق والمذكرات التـي كنت أعلقها على لوحة الإعلانات.

يبدو أن هذا الكتاب قد أعده من قبل.. أعده لإدانتـي.. لفضحي وعندما اتفقت معه ودفعت له العربون أدخل عليه بعض التعديلات لتبرئتي.. على مرجان يعرف قيمة الكتابة والكتب.. في جلسة معه، أوضح لي أن السلطان يـزول والنفوذ يندثر ودول تختفي ويبقى الكتاب.. شرح لي العلاقة بين كافور الأخشيدي الذي حكم مصر و المتنبي.. الشاعر أبو الطيب المتنبي.. سألني أين كافور.. راح فـي داهيـة وبقى المتنبي وذكر بعض أبيات المتنبي في هجاء كافور :

وتعجبني رجلاك في النعل أنني

رأيتك ذا نعل وقد كنت حافيـاً

ومثلك يأتي من بلاد بعيـــدة

ليضحك ربات الخدور البواكيا

المتنبي صور كافور قبل ظهور الكاميرا.. عرفنا أنه عبد أسود.. حافٍ.. مثل القرد.. مهرج يرقص أمام النساء.. كافور راح في داهية وبقى المتنبي.. الواد علي مرجان يريد أن يقول لي أين أنت الآن وأين أنا الذي فصلتني؟.. هو المتنبي وأنا كافور. لم أنم ولم يغمض لي جفن.. ثلاثين ملزمة من القطع المتوسط، ٤٨٠ صفحة.. كم واحد مثل علي مرجان.. أعد لي كتباً وينتظر التوقيت المناسب للنشر! الزمن هو اللي هيخلصلي تاري والعمل سيثبت للجميع أن فاروق عوض موهبة لا يجود الدهر بمثلها كثيراً..

الجريدة الجديدة أعادت لي الحياة أو أعادتني للحياة بالفعل.. التليفونات عادت ترن من جديد.. المسئول الكبير إياه نسى أنه سبني بأمي ويتصل بي كل يوم أو كل يومين.. يشيد بمقال نشر أو تحقيق كتبه صحفي شاب.. يوسف النجار حجز قاعة في فندق كبير وطلب إعداد الدعوات لحفل الاستقبال.. الخميس المقبل سيكون يوماً فاصلاً جديداً. العمل يأخذني، إلا أنني استجبت لنصيحة جوانا.. يوم أذهب إلى الجريدة صباحاً حتى الرابعة ويوم أخر ابدأ من الرابعة حتى الحادية عشر. من الرابعة حتى نهاية اليوم ملكي وحدي وملك جوانا.. أنام عصراً لمدة

ساعة أو أطول قليلاً وأقوم لأجلس في الحديقة. جوانا أعدت منضدة صغيرة ووضعت عليها جهاز تليفزيون لأتابع كما كنت فيما مضى البرامج التليفزيونية المختلفة. التليفون يرن.

- أيوه يا نجيب.. عند يوسف قائمة بأسماء المسئولين والأصدقاء السابقين.. اكتبوا الدعوات وأرسلوها.. ثلثمائة مدعو لا يزيدون.

- ماشي.. يا ريس. الجرنال كله مجند لإنجاز هذه المهمة.

فجأة.. بوابة الفيلا الالكترونية تفتح.. نظرت إلى جوانا.. ليس هناك من هو خارج المنزل.. من فتح البوابة.. قبل أن تجيب.. ثلاثة سيارات تدخل وراء بعضها.. ينزل مجموعة من الرجال يرتدون ملابس كاملة.. بدل ورباطات عنق. يعتذر كبيرهم عن الحضور في مثل هذا الوقت ويطلبون تفتيش الفيلا.. لا ينفع معهم أن أطلب منهم إطلاعي على إذن التفتيش أو غيره. نهضت جوانا وهرعت إلى داخل المنزل.

- تفضلوا.

- سنفتش فقط حجرة نومك وحجرة مكتبك.

- بكل سرور.

أحاول أن أتماسك.. دخلوا.. فتشوا.. في حجرة نومي.. لا توجد اية أوراق أو مستندات. الموجود أدوية وفيتامينات ومقويات.. نزلوا إلى حجـرة المكتـب فتحـوا الأدراج.. فتشوا.. أخذوا بعض الأوراق.. وضعوها فـي صـندوق كرتوني يحمله أحدهم.. ابتسمت بيني وبين نفسي.. الأوراق التي أخذوها كان شوكت المحامي أوصاني بأن أحتفظ بهـا داخل مكتبي.. كلها صور وليست المـستندات الأصـلية. صور إيصالات إيداع لكبار المسئولين بأسمائهم أو أسـماء زوجاتهم في حساباتهم بالخارج.. كان يقوم بالمهمة مديرو مكاتب المؤسسة في باريس وبرلين وبرن وجنيف وغيرها. أوراق سيارات استوردتها المؤسسة وقدمتها هدايا إلى كبار القوم.. أشياء كثيرة تدينهم هم.. لا تـدينني. انتهـوا مـن المهمة وطلبوا ذهابي معهم.

إلى مدينة نصر.. دخلت معهم المبنى.. الدور الحـادي عشر.. نفس الدور الذي اقتادوا إليه صديقي المستشار خليل في البداية. نفس الدور الذي حجزوا فيه رجـل الـصناعة المعروف وفاوضوه أن يحضر عدة ملايين مـن الأمـوال التي هربها إلى سويسرا مقابل الإفراج عنـه دون توجيـه اتهام جنائي.. وافق.. وبعدما حصلوا على الفلوس أرسلوه

إلى النيابة ومنها إلى المحكمة ومنها إلى السجن ليقيم الآن مع المستشار خليل .

ادخلوني حجرة واسعة بها مكتب ومقعدان أمامه وأريكه جلدية كبيرة.. الحجرة بها ثلاثة أبواب قادونى باحترام إلى هذه الحجرة..

- تفضل.. إنتظر ولو سمحت تليفونك المحمول!

قدمت التليفون للشاب الذي طلبه وسألته هل الاتصالات ممنوعة.

- لا.. التليفون فقط لعدة دقائق.. ننقل منه أرقام اتصالاتك الأخيرة.. ثم أسلمه لك.

أقل من نصف ساعة أعاد التليفون لي ونصحني بعدم إجراء أية اتصالات، من الممكن أن أرد فقط وإذا سألني أحد عن مكاني، أخبره أنني في مدينة نصر فقط.. كلام الشاب محدد، بعد كل تعليمه يؤكد أنها "فقط". المشكلة إلى متى سأظل هنا.. قد يطول الوضع.. وموعد الحفل والضيوف والدعوات والجرنال.. وهل هي "شدة ودن" أو ترحيلة بعيدة مثل المستشار خليل.. وماذا عن الوعد الذي قطعه لي رجل الأعمال البحريني صديقي، بأن لن سيمسني أحد بسوء. دخل شاب يرتدي أيضاً ملابس كاملة، إلا أنه

يبدو جرسونا.. يرتدي في يديه قفازاً أبيض.. سألني عما أرغب في شربه.. طلبت ماء فقط.. خرج من الباب الثاني للحجرة.. علمت أن هناك باب للدخول وأخر للخروج ولا أعرف وظيفة الباب الثالث.. عاد بزجاجة مياه معدنية مثلجة وكوب.. أخرجت شريط الفاليوم.. ابتلعت قرصين.. لابد أن هناك تحقيقاً.. هم جاءوا بي إلى هنا لهذا السبب. دخل رجل محترم كبير السن شعره أبيض وشاربه بين الأبيض والأسود.. رمادي.. سألته.. لماذا جاءوا بي إلى هنا؟

- اهدأ.. يا أستاذ فاروق؟

- هل سيجري معي تحقيق؟

- نحن لسنا جهة تحقيق.. نحن فقط نجمع الأدلة والمعلومات والمستندات ونقدمها إلى الجهات الذي يخولها القانون سلطة التحقيق.

- أنا هقعد هنا قد إيه؟

- أنا لا أعلم على وجه التحديد.

- أنا عاوز أقابل مسئول كبير.

- أنا المسئول في حالتك هذه وليس هناك مسئول بعدي.

يجب أن أهدأ بالفعل واستمع إلى النهاية.. وأرى ماذا سيحدث. سألني عن أملاكي وثرواتي.. قدم لي ورقة بيضاء لأكتب ما أمتلك.. لا أكتب فيها إلا ما تزيد قيمته عن ثلثمائة ألف من الجنيهات. الكرسي الذي أجلس عليه، المواجه للمكتب له مسند مثل كراسي محاضرات الجامعة.. كتبت فيلا التجمع الخامس.. فيلا أبو تلات.. شاليه العين السخنة.. السيارة المرسيدس التي اشتريتها بعد خروجي من الخدمة.. قدمت اليه ما كتبته.. قرأه بصوت عال، معلقاً.

- بس.. فين اليخت اللي في الغردقة وفيلا الربوة في ٦ أكتوبر؟

قدم لي ورقة أخرى لكتابة ما نسيت.. طلب مني أن أكتب كل شيء تزيد قيمته عن المبلغ الذي ذكره.. قدمت له الورقة.. عاد ليسألني.

- بس.. فين الشقق؟

وقدم لي ورقة أخرى.. كتبت.. شقتين في الإسكندرية واحدة في كفر عبده والأخرى في جليم.. شقة في بور فؤاد.. شقتان بالقاهرة.. واحدة في مدينة نصر والأخرى في مصر الجديدة وعوامة على النيل بالقرب من الزمالك. قدمت له الورقة.. نظر إليها.. سألني لماذا لم أذكر شقة شيراتون المطار.

- هذه ليست ملكي.. إنها ملك المؤسسة.. كانت استراحة للصحفيين المسافرين إلى الخارج.

- عاوزك تكتب ورقة أنها ليست ملكك ولكنها ملك المؤسسة وأن المؤسسة اشترتها من مالها.

قدم لي ورقة.. كتبت له ما طلب. سألني عن شاليه لسان الوزراء في الاسماعيلية وشالية مراقيا نهض ليخرج من الباب الثاني.. سألته إلى متى سأظل هنا.. وهل سأقضي الليل بملابسى هذه إذا كانوا مخططين لاستضافتي فترة أطول.؟

- لا تقلق.. كل شيء معمول حسابه.

خرج من الباب الثاني بالفعل.. بعد دقائق.. طرقات خفيفة على الباب الأول.. دخل شاب أخر يحمل في يده حقيبة.. وضعها أمامي.

فيها ترينج سويت.. وفوطة وشبشب وأشار إلى الباب الثالث، موضحاً أنه حمام.

لابد لهم من بعض الوقت لفحص صور المستندات التي أخذوها من منزلي قبل البت في أمري.. ربما أبيت ليلتي هنا على الأقل.. التليفون يرن.. شوكت المحامي.. يسألني

أين أنا.. جوانا اتصلت به وأخبرته.. لن استطيع أن أخبره بأكثر مما طلب مني..

- أنا في مدينة نصر والحقني.. اتصل بصديقي في البحرين.. وجودك هنا قد لا يفيد.

- تماسك.. لا شيء يدينك.. ستخرج أقوى مما دخلت.

ربما يكون قد قال مثل هذا الهراء إلى المستشار خليل حتى سلمه بنفسه إلى السجن وربما يكون صادقاً. دخل الشاب ذو القفازات البيضاء.. طلب مني أن أغير ملابسي وأطلب ما أشاء للعشاء.. ابتسمت.

- كل ما تطلبه موجوداً.. نحن لدينا مطعم فاخر وشيف ممتاز في الدور الرابع عشر.

قبل العشاء.. دخل المسئول الكبير وسألني عن أصول المستندات التي كانت في حوزتي والتي حصلوا عليها من منزلي.. أصولها في الخارج.. لدى مكاتب الجريدة في الخارج.. سألني عن حساباتي في البنوك وأرقامها. لي حساب واحد في بنك خليجي وأخر هنا في بنك مصري وقدم لي ورقة لأكتب فيها أسماء البنوك وأرقام الحسابات.. قدمتها له.. تركني وخرج من الباب الأخر ودخل الجرسون

يحمل صينية عليها العشاء.. ميكس جريل.. وكوب عصير.. وعلبه زبادي وسلطة خضراء.. نحيتهم جانباً.. غيرت ملابسي وارتديت الترينج سويت ونمت على الأريكة الجلدية.. كل ما أفكر فيه كيف سيتم ترحيلي إلى النيابة بعد ذلك؟. وكيف سينشر الخبر في الجرائد.. وكيف سيكتبه سيد فانلة في "عين الصقر"؟

في الصباح.. إفطار كونتننتال.. بيض ومربى وقطعة جبن وعسل نحل وخبز.. ومجموعة من جرائد الصباح.. سألت الجرسون.. إلى متى سأظل هنا؟ لم أجد غير الجرسون لأسأله. أجابني بعدم معرفته، إلا أنه أشار إلى جهاز تليفزيون معلق في الحائط.. وجاءني بالريموت كنترول.. وأشار إلى جرس بالقرب من المكتب. إذا رغبت في أي شيء.. استخدمه.. يوم كامل لم يسأل عني أحد.. الغداء دخل في موعده.. والعشاء في وقته والجرائد كلها قرأتها.. لم ينشر خبر واحد عني وعن التحقيق معي.. حرية صحافة وصحفيون أحرار.. أمروهم بالطبع ألا ينشروا كلمة.. ليلة أخرى على الأريكة الجلدية وبعد إفطار اليوم التالي.. دخل شخص أكثر تجهماً من الذي جلس معي أول مرة.. يصحبه أخر أصغر سناً.. جلسا.. وفتحا تحقيقاً

فيما يبدو رسمياً.. سين وجيم.. نفس أسئلة أول أمــس، إلا أن السكرتير الذي معه يسجل كتابة كل ما أقوله سؤال عن الأملاك والشقق.. أعدت عليه ما قلته.. سألني عــن اســم البنك الذي اودعت فيه قيمة العمولة- ١٥ مليــون جنيــه- مقابل أرض المؤسسة التي بعتها لشركة مقاولات.. تذكرت نصائح شوكت.

- لم يحدث أن تلقيت عموله وأودعتها في البنك.

- رئيس تحرير سابق ومجموعة من المحررين تقدموا ضدك ببلاغ بخصوص هذا الموضوع.

- تم التحقيق فيه وحفظ البلاغ.

- قيمة الألف فدان التى حصلت عليها وتم بيعها.. أين أودعت الأموال؟

- في البنك المصري.

- ما قولك في انك سحبت اقرارات ذمتك المالية قبــل خروجك من الخدمة بعدة ايام؟

- لم يحدث.

- أذكر كل أملاكك.. حتى الشقق الصغيرة التي حصلت عليها سواء من وزارة الأوقاف أو في المحافظات المختلفة.

ذكرت كل شيء وبالتفصيل، فأنا أعلم بالتفصيل أيضاً ما حدث هنا لرجل الصناعة الشهير الذي حاول أن يراوغ في بداية التحقيق معه. أخبروه أن لم ينطق، سيلقي بـــه مـــن الدور الحادي عشر وسيتم نشر خبر صغير في الجرائد عن انتحاره.. لم يترك المحقق كبيرة أو صـــغيرة إلا وســـألني عنها.. سألني عن قصة اغتصاب شـــقة وطـــرد الـــساكنه العجوز وابنتها بمعاونة ثلاثة من المحررين وذكر اسماءهم وتهديد مأمور القسم إذا حاول أن يتلقـــى بلاغـــاً أو يفـــتح محضراً حول هذا الموضوع.. أجابتي محددة: لم يحدث.. عمولات شراء الماكينات وشـــركائي.. لـــم يحـــدث.. لـــم يحدث.. سألني عن شقة لندن ومتى اشتريتها وثمنها.. إنها شقة ابني ويقيم هناك، سألني عن شقة الشانزلزيه بباريس.. إنها ملك زوجتي.. سألني عن حساب دويتش بنك.. فتحته عندما كنت أعالج هنـــاك.. وغـــادر المحقـــق وســـكرتير الحجرة.

ليلة ثانية قضيتها في ضيافتهم.. في صباح اليوم التالي، دخل عليَ المحقق الأول.. أخبرني بأنه يمكنني أن أذهـــب إلى منزلي ومكتبي معززاً مكرماً.. لم ينس أن يبلغنـــي أن في انتظاري سيارة ليموزين، ستحملني إلى المكان الـــذي أريده.. والأجرة مدفوعة.. شكرته.. حملتني السيارة إلـــى

التجمع الخامس.. كل ما أخشاه أن يكون سيد السائق قد علم بالحادث وما يشغلني هو كيفية توصل جوانا إلى تليفون شوكت ومكالمتها له.. أخبرتني أن شوكت أعطى لها رقم تليفونه خلسة عندما سهر معنا ذات ليلة في الفيلا.. سأنتظر يوماً أو أكثر.. سأحاول أن أتحقق بطريقتي إذا كان هناك من يعرف خبر استضافتي في مدينة نصر.. لم تكتب جريدة خبراً ولم يعرف أحد به. تليفون من شوكت يؤكد لي أن صديقي البحريني كان على وعده وهو الذي عجل بخروجي.

الاستعداد لحفل الجريدة يتم على قدم وساق. تأكدت أن الدعوات وصلت إلى الجميع، خاصة دعوة رئيس مجلس إدارة مؤسستي.. والذي لم يعد جديداً.. كل شيء يسير على ما يرام.. الذهاب للجريدة صباحاً.. أو عصراً وبقية اليوم أقضيه في منزلي وقلق جوانا عليَ أصبح واضحاً.. إذا تأخرت في الوصول.. لا تنقطع عن طلبي في التليفون.. وإذا قلت لها أنني في الطريق.. تتصل بمعدل كل خمس دقائق.. لا تهدأ إلا بعد دخولي المنزل.. طلبت منها الاستعداد لحضور حفل الاستقبال.. تخلت عن وقارها

وقفزت عليَ وقبلتني. وأخبرتني أن السهرة في حجرتها الليلة.. ليلة لن تنسى.. زوجتي في ٦ أكتوبر.

المانشيت الرئيسي في جريدتي "الزمن" عن الحفل الذي سيجرى الليلة وكبار المسئولين الذين سيحضرون والفنانين والفنانات.. احتفالاً بصدور العدد رقم مائة. تفكير يوسف النجار جدير بالاحترام.. لابد من خلق مناسبة للاحتفال.. من التجمع الخامس.. إلى الفندق.. على كورنيش النيل.. بجواري جوانا في السيارة وسيارة الحرس أمامي. المرور مزدحم بعض الشيء.. استغرقنا أكثر من عشرة دقائق لنخرج من النفق المار تحت كوبري قصر النيل. هنا.. بعد النفق بعدة أمتار لقى رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق حتفه.. أطلقوا عليه الرصاص أثناء مروره. الدكتور رفعت المحجوب صاحب التعبير الشهير "القطط السمان".. لم يكن تعبيره.. بل استعارة من الفرنسيين كما عرفت فيما بعد.. الدكتور رفعت هاجم القطط، ومات فطيس.. فماذا يكون مصير من يهاجم الديناصورات؟!

تصفيق حاد عند دخولي قاعة الاحتفال أنا وجوانا. منذ مدة وأنا لا أرى مثل هذا الحشد ولم أسمع مثل هذا التصفيق.. وجوه كانت اختفت، عادت للظهور.. تهنئ

وتبارك بإصدار العدد المائة من جريدتي "الزمن".. الـــزمن عاد للوراء مرة أخرى.. يا فاروق.. يا عوض وما حـــدث مجرد خدوش.. نتوءات ستختفي بمرور الـــزمن.. نجيـــب الحاوي مثل أم العروسة "فاضي ومشغول".. يتحرك فـــي القاعة يرحب بالضيوف ويخرج إلى البوابة.. ثـــم يعـــود يهمس في اذني بوصول ضيف ما.. كنـــت أتحـــرك إلـــى خارج القاعة لأستقبل بعض الضيوف الذين أرى أن لهـــم أهمية خاصة بي أو بالجريدة.. آخرون كنت أتركهم لنجيب الحاوي أو يوسف أو لطقم السكرتارية يستقبلونهم.. جـــاء نجيب الحاوي يهمس في أذني بأن المذيعة وصلت ومعهـــا طقم تصوير لتسجيل الحفل وبثه فيما بعد فـــي برنامجهـــا الأسبوعي.. أوصيته أن يحسن استقبالها.. جـــاءني مـــرة أخرى يخبرني بأن المسئول الكبير وصل.. الكبيـــر الـــذي سبني من قبل بأمي.. أشرت إليه بأن يتركه يأتي وحده إلى وسط القاعة.

جاء بنفسه ليرى.. لم ينتظر وصـــول التقـــارير إليـــه. حضر ليتأكد بنفسه إن فاروق عوض قد انكسر.. إن لم تكن الألاعيب السابقة والتحريض ضدي جاءت بنتـــائج، فـــإن

زيارتي الأخيرة لمدينة نصر وحجزي هناك ليلتين والتحقيق معي سيكون له مردوده على وجهي.. مد يده بالسلام ولسان حاله يسألني.. هل يكفي ما فعله معي أو أنني مصر على مناطحته إلى النهاية.. بادرته بالقول.

- كله تمام يا باشا.

- مش تمام قوي!

يبدو أن الواطي يعد لي جولة جديدة. شوكت أكد لي أن ما تم معي هو نهاية المطاف.. وصلوا آخر الخط.. ولن يمسسني أحد بسوء.. أخذ المسئول الكبير خطوة إلى الوراء يوزع الابتسامات على الضيوف الكبار والصغار.. وجملة المستشار خليل ترن في أذني: ناس ملهمش آمان.. ملهمش آمان.. يا فاروق.. يا عوض!

الأصدقاء القدامى، لم يحضر منهم سوى محيي ربيع وشوكت ومن العاملين بالجريدة القديمة مجموعة ممن يحتلون مناصب لا يستحقونها، كنت أصدرت قرارات بترقيتهم في وقت الريبة، قبل خروجي مباشرة من الخدمة. بعضهم جاء يبحث عن فرصة عمل إضافية في جريدة "الزمن" بعدما سمعوا عن المرتبات الخيالية التي يحصل عليها العاملون فيها.. البعض الآخر جاء ليؤكد أنه مازال

على العهد والولاء.. شيخنا صاحب تعبير "حنا المشّاء".. يتقدم نحوي ليبارك وينظر حوله خشية أن يكون هناك عيون لرئيس مجلس الإدارة الجديد.. منظره يدعو للخجل.. عيناه تبحثان عن الطعام.. والشراب.. قبل أن يصل إليَّ ويمد يده بالسلام، أعطيته ظهري.. هذا ما يستحقه.

نجيب الحاوي يهرول.. يهمس في أذني أن رئيس مجلس الإدارة الجديد وصل وأنه أرسل إليه دعوة بناء على تعليماتي. خرجت إلى باب القاعة لأكون في استقباله.. المعركة معه انتهت بالتعادل السلبي.. هو أحكم سيطرته على المؤسسة ورجالي أو ممن كنت أعتبرهم رجالي.. "باعوني".. نصيحة زوج خالتي الثقيل "اليد اللي متعرفش تقطعها.. بوسها" مددت له يدي بالسلام والتحية.. مد يده بتثاقل غريب، لم يشجعني على احتضانه وتقبيله، فهو نوع من الرجال غير الميالين لمثل هذه المظاهر الاجتماعية.. هنأ وبارك وتركته يتحرك براحته في القاعة.. هرول إليه بعض العاملين في المؤسسة.. عيونهم تبحث عني خشية أن أكون رأيتهم.. تظاهرت بالانشغال مع المذيعة.. والتي تعمل معي الآن في الجريدة.. لا تريد أن تتركني.. تتحدث في أشياء ليست ذات أهمية، وتلتفت يميناً ويساراً عسى أن يكون مطلقها المسئول الكبير يراها معي.

تورته كبيرة على منضدة في منتصف القاعة، إجتمع الضيوف حولها.. أفسح الضيوف الطريق للمسئول الكبير.. جاء ليقف بجانبي.. المذيعة تأمر طاقم التصوير بالبدء في العمل.. ناولني الجرسون سكيناً طويلاً لم أر مثله في حياتي.. أحتاج لمثل هذا السكين لقطع كل الرقاب .. مسك مقبضه معي.. وضغطنا سوياً على جزء من حافة التورتة المستطيلة وصفق الحاضرون.. إنتحى بي المسئول الكبير جانباً.. أشاد بالجريدة وذكرني بما سبق أن قاله لي وألا أستخدم الجريدة للرد على من يهاجمني في الجرائد الأخرى.. أخبرته بالتزامي بالتعليمات وأنني أعددت كتاباً للرد على كل ما أثير وما قد يثار مستقبلاً وأن الكتاب جاهز لدخول المطبعة.. إعتذر عن البقاء معي وقتاً أطول.. لديه ارتباطات ومواعيد وهمس في أذني.. مؤكداً أن ما سيقوله أمر، هو مجرد ناقل له ليس أكثر.

- الكتاب.. يا فاروق.. غير مسموح بنشره!

انتهت بحمد الله

٢٠٠٨/٤/٣٠

الروايـــة

الفصـــول	صفحه
الأيام القادمة	٥
الأسوار العالية	٣٠
الدعوة عامة	٥٨
بيت العز	٨٦
دعاني .. لبيته	١١٨
غسيل القلوب	١٤٦
الليالي الصعبة	١٧٦
نهاية خدمة الغز	٢٠٩

محمد غزلان

– صحفي في جريدة المساء – دار التحرير للصحافة (الجمهورية)

– عمل في التدريس والترجمة والتصوير الضوئي والأفلام التسجيلية

* صدر للمؤلف :

– لغز ماكسويل امبراطور الصحافة البريطانية

على نفقة المؤلف – عام ١٩٩١

– الخروج من بغداد (رواية)

طبعة أولى – على نفقة المؤلف – ديسمبر ٢٠٠٤

طبعة ثانية – الهيئة العامة للكتاب ابريل ٢٠٠٨

– أول القصيدة بسيطة (رواية) ٢٠٠٨

دار اكتب للنشر والتوزيع

للمؤلف تحت الطبع :

– مذكرات عبده ريال (رواية)

– افتكرني (رواية)

ghozlanmisr@yahoo.com